

جعفر السبحانى


بسم الله الرحمن الرحیم

الاقسام فی القرآن الکریم

کاتب:

آیت الله العظمی جعفر سبحانی (دام ظله)

نشرت فی الطباعۀ:

موسسه‌الامام‌الصادق (ع)

رقمی الناشر:

مرکز القائمیۀ باصفهان للتحریات الکمبیوتریۀ

الفهرس

الاقسام فی القرآن الکریم

اشارة

سرشناسه : سبحانی تبریزی جعفر، - ۱۳۰۸
عنوان و نام پدیدآور : الاقسام فی القرآن الکریم دراسه مبسطه حول الاقسام الوارده فی القرآن الکریم تالیف جعفر السبحانی
مشخصات نشر : قم موسسه الامام الصادق ع ، ۱۴۲۰ ق = ۱۳۷۸.
مشخصات ظاهری : ص ۲۰۰
شابک : ۹۶۴-۶۲۴۳-۶۹-X۶۵۰۰ریال وضعیت فهرست نویسی : فهرستنویسی قبلی یادداشت : عربی یادداشت : کتابنامه به‌صورت زیرنویس عنوان دیگر : دراسه مبسطه حول الاقسام الوارده فی القرآن الکریم موضوع : سوگند در قرآن شناسه افزوده : موسسه امام صادق ع
رده بندی کنگره : BP۱۰۴/س۹۳ س۲ ۱۳۷۸
رده بندی دیویی : ۲۹۷/۱۵۹
شماره کتابشناسی ملی : م۷۸-۱۲۹۱۰

مقدمة المؤلف : القرآن والآفاق اللامتناهیة

مقدمة المؤلف : القرآن والآفاق اللامتناهیة (۲)

الأقسام فی القرآن

دراسة مبسطة حول الأقسام الواردة فی القرآن الکریم

تألیف

العلاّمة المحقّق

جعفر السبحانی (۳)

(۴)

(۵) بسم اللّه الرحمن الرحیم القرآن والآفاق اللامتناهیة

الحمد للّه الذی علّم بالقلم، علّم الاِنسان مالم یعلم، والصلاة والسلام على سیدنا ونبیّنا محمّد خیر من طاف الاَرض وحکم، وعلى آله الاَئمّة السادة هداة الاُمّة إلى الطریق الاَقوم.

نزل القرآن الکریم على قلب سید المرسلین هادیاً للاِنسان ومنیراً له طریق السعادة، وقد وضع علماء الاِسلام علوماً جمة لفهم حقائقه وکشف أسراره ومعانیه، وعلى الرغم من ذلک، لم یزل المفسرون فی کلّ عصر یستخرجون منه حقائق غفل عنها الاَقدمون، وکأنّ الاِنسان أمام بحر موّاج بالحقائق العلمیة لا یُدرک غوره ولا یتوصل إلى أعماقه، ولا یمکن لاَحد الاِحاطة بأسراره وعجائبه.

وکأنّ القرآن هو النسخة الثانیة لعالم الطبیعة الذی لم یزل یبحث عن أسراره الباحثون، وهم بعد فی الاَشواط الاُولى من الوقوف على حقائقه الکامنة. ولا غروَ أن یکون الکتاب العزیز کذلک أیضاً، لاَنّه کتاب صدر من لدن حکیم علیم لا نهایة لوجوده وعلمه، فیجب أن یکون کتابه المنزّل رشحة من رشحات وجوده.

وهذا هو متکلّم قریش وخطیبهم الولید بن المغیرة المخزومی لمّا جلس إلى النبی (صلى الله علیه وآله وسلم) وسمع شیئاً من آیات سورة غافر ، ذهب إلى

(۶)

قومه ليبيّن موقفه من الكتاب، وقال: واللّه قد سمعت من محمّد آنفاً كلاماً ما هو من كلام الإِنس ولا من كلام الجن، وانّ له لحلاوة، وانّعليه لطلاوة، وانّ أعلاه لمثمر، وإنّأسفله لمغدق، وانّه ليعلو وما يعلى عليه. (۱)

فقد أدرك مُنطيق قريش بصفاء ذهنه ما يحتوى عليه القرآن من أسرار وكنوز.

نعم، قد سبقه رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فى ذلك حيث عَرّف القرآن، بقوله:

«له ظهر وبطن، وظاهره حُكْم، وباطنُه عِلْم، وظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه، ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى و منار الحكمة». (۲)

وقد أفاض الإِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى بيان أبعاد القرآن غير المتناهية، وقال فى خطبة يصف فيها القرآن بقوله: «أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده، وبحراً لا يدرك قعره ـ إلى أن قال: ـ و ينابيع العلم و بحوره، ورياض العدل وغدرانه، وأثافى الإِسلام وبنيانه، وأودية الحق وغيطانه، وبحر لا ـ ينزفه المنتزفون، وعيون لا ـ ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون». (۳)

وقد أثبت توالى التأليف حول القرآن الكريم على مختلف الاَصعدة، انّه كتاب القرون والاَعصار، وحجّة خالدة للناس إلى يوم القيامة، وقد استحوذ الكتاب العزيز على اهتمام بالغ لم يَحظ به أى كتاب آخر________________.

۱ ـ مجمع البيان:۱۰|۳۸۷.

۲ ـ الكافى:۲|۵۹۹، كتاب القرآن.

۳ ـ نهج البلاغة: ۲|۲۰۲، طبعة عبده.

(۷) إلماع إلى بعض آفاقه اللا متناهية إنّ من آفاق القرآن و معانيه السامية هو أقسامه، فقد أقسم القرآن الكريم بأُمور مختلفة ربما يبلغ عدد أقسامه إلى أربعين حلفاً أو أكثر، وتمتاز عن الاَقسام الرائجة فى العصر الجاهلى بأنّها انصبت على ذوات مقدسة أو ظواهر كونية ذات أسرار عميقة، فى حين امتاز القسم فى العصر الجاهلى بالحلف بالمغانى والمدام (۱).

وجمال النساء، إلى غير ذلك من الاَمور المادية الساقطة. حلف سبحانه فى كتابه مضافاً إلى ذاته، بالقرآن ، الملائكة، النفس، الشمس، القمر، السماء، الاَرض، اليوم، الليل، القلم، و غير ذلك من الموضوعات التى تحتوى على أسرار مكنونة، ويصحّ فى حقّها، قوله سبحانه: (وَانّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيم) . (۲)

ينقل السيوطى انّ أوّل من أفرد أقسام القرآن بالتأليف هو شمس الدين محمد بن أبى بكر المعروف بابن قيم الجوزية (المتوفّى۷۵۱هـ) ولم يذكر كتاباً غيره، ثمّ جمع السيوطى أقسام القرآن و جعله نوعاً من أنواع علومه، فبحث عنها بحثاً موجزاً لا ـ يتجاوز عن خمس صفحات. (۳)

وقال الكاتب الچلبى فى «كشف الظنون» ـ بعد سرد ما قام به السيوطى ـ : وتبعه صاحب مفتاح الكرامة حيث أورده من فروع علم التفسير. (۴)

ولم نقف على كتاب مفرد حول أقسام القرآن فى الاَوساط الشيعية مع ما

---

۱ ـ المدام والمدامة: الخمر .

۲ ـ الواقعة:۷۸.

۳ ـ الاِتقان فى علوم القرآن:۴|۴۶ـ ۵۱.

۴ ـ كشف الظنون: ۱|۱۳۷ـ ۱۳۸.

(۸)

فیها من بحوث هامة سوی ما ألّفه ولدی العزیز الروحانی الحائز علی مقام الشهادة الشیخ أبو القاسم الرزاقی (۱) تحت عنوان «سوگندهای قرآن»، و هو کتاب قیّم حافل بنقل الآراء حول القسم فی القرآن، وقد طبع فی حیاته بتقدیم منّیا تغمده اللّه برحمته وأسکنه فسیح جناته.

ثمّ إنّ ابن قیم الجوزیة وإن کان أوّل من ألّف ـ حسب ما نعلم ـ ولکن کتابه یعوزه المنهجیة فی البحث حیث لم یذکر الاَقسام الواردة واحداً تلو الآخر حسب حروف التهجّی أو حسب سور القرآن، وإنّما ذکر أقسام کلّسورة فی فصل واحد.

لکن ما ألّفه الشیخ الرزاقی خال من هذه النقیصة، فانّه ألّف کتابه علی نمط التفسیر الموضوعی، فجعل لکلّ حلف فصلاً خاصاً، وذکر جمیع الآیات الواردة فی خصوص ذلک الحلف، مثلاًـ ذکر الآیات التی أقسم اللّه فیها بنفسه فی فصل خاص، کما جمع ما أقسم اللّه فیه باللیل فی سور و آیات مختلفة فی مکان واحد.

ولما کان ما ألّفه ابن قیم غیر خال عن النقیصة، کما أنّما ألّفه ولدنا البار لا ینتفع به القاریَ العربی لاَنّه أُلّف باللغة الفارسیة، عزمت علی تألیف مفرد فی هذا الصدد بغیة تعمیم الفائدة.

وأردفه إن شاء اللّه بالبحث عن أمثال القرآن________________.

۱ ـ استشهد مع مجموعة من العلماء أثر إسقاط الطائرة التی کانت تقلّهم أثناء رحلةداخلیة خلال الحرب العراقیة الاِیرانیة من قبل النظام البعثی الغاشم عام ۱۴۰۸ ه |ـ ۱۳۶۷هـش.

(۹)

بحوث تمهیدیة فی أقسام القرآن

بحوث تمهیدیة فی أقسام القرآن إنّ البحث عن الاَقسام الواردة فی القرآن الکریم رهن استعراض أُمور فی معنی القسم و ما یتبعه من المقسم به والمقسم علیه وأبحاث أُخری، فنقول: ۱. تفسیر القسم إنّ لفظة القسم واضحة المعنی تعادل الحلف والیمین فی لغة العرب، ولها معادل فی عامة اللغات وإنّما یوَتی به لاَجل تأکید الخبر والمضمون، قال الطبرسی: القسم جملة من الکلام یوَکد بها الخبر بما یجعله فی قسم الصواب. (۱)

قال السیوطی : القصد بالقسم تحقیق الخبر وتوکیده، حتی جعلوا مثل: (وَاللّهُ یَشْهَدُ إِنَّ الْمُنافِقینَ لَکاذِبُون) (۲) قسماً، وإن کان فیه إخبار بشهادة، لاَنّه لمّا جاء توکیداً للخبر سمّی قسماً. (۳)

ولذلک نقل عن بعض الاَعراب، انّه لما سمع قوله تعالی: (وَفِی السَّماءِرِزْقُکُمْ وَما تُوعَدُونَ* فَوَرَبِّ السَّماءِوَالاََرْضِ انّهُ لَحَقّ) . (۴) صرخ وقال: من ذا الذی أغضب الجلیل حتی ألجأه إلی الیمین. (۵)

---

۱ ـ مجمع البیان: ۵|۲۲۵.

۲ ـ المنافقون:۱.

۳ ـ الاِتقان:۴|۴۶.

۴ ـ الذاریات:۲۲ـ ۲۳.

۵ ـ الاِتقان:۴|۴۶.

(۱۰) ۲. أرکان القسم إنّ القسم من الاَُمور ذات الاِضافة وهو فعل فاعل مختار له إضافة إلی أُمور أربعة:

أ. الحالف، ب. ما یحلف به، ج. ما یحلف علیه، د. الغایة من القسم.

أمّا الاَوّل: فالحلف عبارة عن فعل الفاعل المختار، فلا يصدر إلاّ منه سواء أكان واجباً كاللّه سبحانه أم ممكناً كالاِنسان وغيره.

والذی يتناوله بحثنا فی هذا الكتاب هو القسم الذی صدر عن الواجب فی كتابه العزيز دون سواه.

فلا نتعرض لما حلف به الشيطان فی القرآن وقال: (فَبِعِزَّتِكَ لاَُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعين) . (١)

ثمّ إنّ أدوات القسم عبارة عن الاَُمور الاَربعة، أعنی: الباء والتاء والواو واللام، وأمثلة الكل واضحة، وأمّا الاَخير فكقول الشاعر:

للّهِ لا يبقى على الاَيام ذُو حيَدٍ * بمُشمَخر به الطيّانُ والآسُ (٢) وسيوافيك انّ حرف الباء يجتمع مع فعل القسم دون سائر الاَدوات، إذ يحذف فيها فعله، أعنی: أقسم.

وأمّا الثانی ـ أی ما يحلف به ـ :فانّلكلّ قوم، أُموراً مقدّسة يحلفون بها، وأمّا القرآن الكريم فقد حلَفَ سبحانه بأُمور تجاوزت عن الاَربعين مقسماً به.

وأمّا الثالث ـ أی ما يحلف عليه ـ :والمراد هو جواب القسم الذی يراد منه

---

١ ـ ص :٨٢.

٢ ـ والحيد كعنب جمع حيدة وهو القرن فيه عقد، والمشمخر الجبل العالی،والطيّان الياسمين الصحرائی والآس شجر معروف.

(١١)

التأكيد عليه وتثبيته وتحقيقه، وهذا ما يقال القصد بالقسم تحقيق الخبر وتوكيده.

ففی الآية التالية تتجلّى الاَركان الثلاثة، وتقول: (وَأَقْسَمُوا بِاللّهِ جَهْدَ أَيْمانِهِمْ لا يَبْعَثُ اللّهُ مَنْ يَمُوت) . (١)

فقوله: (وأقسموا) فهو الركن الاَوّل.

وقوله: (باللّه) هو المقسم به.

وقوله: (لا يبعث اللّه من يموت) هو المقسم عليه

وكثيراً ما يحذف الفعل وذلك لكثرة تردّد القسم فی كلامهم ويكتفی بالواو أو التاء فی أسماء اللّه.

نعم، يلازم الاِقسام بالباء ذكر الفعل، كما فی الآية السابقة، وقوله: (يَحْلِفُونَ بِاللّهِ لَكُمْ لِيُرضُوكُمْ وَاللّهُ وَرسولُهُ أَحَقُّ أن يُرْضُوهُ) . (٢)

وعلى ضوء ذلك فباء القسم يلازم مع ذكر فعله، كما أنّواو القسم وتاءه يلازم مع حذفه، فيقال: أقسم باللّه، ولا يقال: أقسم تاللّه أو أقسم واللّه بل يقتصر على قوله: تاللّه، واللّه، يقول سبحانه: (وَتَاللّهِ لاََكِيدَنّ أَصْنامَكُمْ بَعْدَ أن تُولُّوا مُدْبِرين) (٣)، وقوله: (ثُمَّ لَمْ تَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلاّ أنْ قالُوا وَاللّهِ رَبّنا ما كُنّا مُشْرِكين).(۴)

---

١ ـ النحل:٣٨.

٢ ـ التوبة: ۶٢.

٣ ـ الاَنبياء:۵٧.

۴ ـ الاَنعام:٢٣.

(١٢)

وثمة نكتة جديرة بالاِشارة وهی أنّأكثر المفسرين حينما تطرّقوا إلى الاَقسام الواردة فی القرآن الكريم ركّزوا جهودهم لبيان ما للمقسم به من أسرار و رموز كالشمس والقمر فی قوله سبحانه: (والشَّمْسِ وَضُحاها * وَالْقَمرِ إذا تَلاها) (١) أو قوله: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُون) (٢) ولكنّهم غفل والعلاقة بين المقسم به والمقسم عليه لاحظ مثلاً قوله سبحانه: (وَالضُّحى* وَالليلِ إذا سَجى* ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى) (٣) فالضحى والليل مقسم بهما وقوله: (ما ودَّعك ربّك وما قلى) هو جواب القسم الذی نعبّر عنه بالمقسم عليه، فهناك صلة فی

الواقع بين المقسم به والمقسم عليه، وهو أنّه لماذا لم يقسم بالشـمس ولا بالقمر ولا بالتين ولا بالزيتون بل حلف بالضحى والليل لأَجل المقسم عليه أعنى قوله: (ما وَدَّعَکَ رَبُّکَ وَما قَلی)؟

وصفوة القول: إنّ كلّ قسم جدير لتحقيق الخبر، ولكن يقع الكلام فى كلّقسم ورد فى القرآن الكريم أنّه لماذا اختار المقسم به الخاص دون سائر الأُمور الكثيرة التى يقسم بها؟ فمثلاً: لماذا حلف فى تحقيق قوله: (ما ودّعك) بقوله: (والضحى والليل) ولم يقسم بالشمس والقمر؟ وهذا هو المهم فى بيان أقسام القرآن، ولم يتعرّض له أكثر المفسرين ولا سيما ابن قيم الجوزية فى كتابه «التبيان فى أقسام القرآن» إلاّ نزراً يسيراً.

ثمّ إنّ الغالب هو ذكر جواب القسم، وربما يحذف كما يحذف جواب لو كثيراً، أمّا الثانى فكقوله سبحانه: (وَلَو أَنَّ قُرآناً سُيِّرَتْ بِهِ الجِبالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ

---

۱ ـ الشمس: ۱ـ۲.

۲ ـ التين:۱.

۳ ـ الضحى: ۱ـ۳.

الاَرْضُ أَوْكُلِّمَ بِهِ الْمَوتی) (۱) فانّ الجواب محذوف، وهو نظير قوله: «لما آمنوا».

وأمّا الاَوّل، فكقوله سبحانه: (ص والقُرآنِ ذِی الذِّکر) (۲)، فانّ الحلف بالقرآن الكريم المعرب عن تعظيمه ووصفه بأنّه مذكِّر للعباد يدل على جوابه وهو انّه منزّل من عنده سبحانه غير مفترى، وما أشبه ذلك.

وعلى كلّحال، فالغالب هو الاَوّل أى الاِتيان بالجواب.

إلى هنا تمّ بيان أركان القسم الثلاثة، وثمة ركن رابع، وهو الغاية المتوخّاة من القسم، فنقول: إنّ الغاية إمّا هى تحقيق الخبر ودعوة المخاطب إلى الاِيمان والاِذعان به، كما هو الغالب، أو إلفات النظر إلى عظمة المقسم به، وما يكمن فيه من أسرار ورموز، أو لبيان قداسته وكرامته، كما فى قوله:(لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُون) . (۳)

ومن خلال هذا البيان، يتضح الجواب على ما ربما يقال من أنّحلفه سبحانه إن كان لاَجل الموَمن فهو يصدقه بلا حلف، وإن كان لاَجل الكافر فلا يفيده.

والجواب: انّ إيمان الموَمن بصدق إخباره سبحانه لا ينافى تأكيده بالحلف، مضافاً إلى ما عرفت من أنّ حلفه سبحانه بشيء إشارة إلى كرامته وقداسته أو إلى عظمته وما يكمن فيه من أسرار ورموز.

---

۱ ـ الرعد:۳۱.

۲ ـ ص:۱.

۳ ـ الحجر:۷۲.

 ۳. جواز الحلف بغير اللّه سبحانه تضافر الحلف بغيره سبحانه فى الكتاب العزيز والسنّة النبوية، أمّا الكتاب فسيوافيك حلفه بأشياء كثيرة، وأمّا السنّة فقد حلف النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» فى غير مورد بغير اسم اللّه.

۱. فقد أخرج مسلم فى صحيحه: أنّه جاء رجل إلى النبى ، فقال: يا رسول اللّه أى الصدقة أعظم أجراً؟ فقال: «أما ـ و أبيك ـ لتنبئَّه أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تخشى الفقر وتأمل البقاء». (۱)

۲. أخرج مسلم أيضاً: جاء رجل إلى رسول اللّه ـ من نجد ـ يسأل عن الاِسلام، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «خمس صلوات فى اليوم والليل».

فقال: هل عليَّ غيرهنّ؟

قال: «لا...إلاّ أن تطوع»، وصيام شهر رمضان».

فقال: هلّ عليَّ غيره؟

قال: «لا... إلاّ تطوّع، وذكر له رسول اللّه الزكاة.

فقال الرجل: هل عليّ غيره؟

قال: «لا... إلاّ أن تطوّع».

فأدبر الرجل وهو يقول: واللّه لا أزيد على هذا ولا أنقص منه.

فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «أفلح ـ وأبيه ـ إن صدق».

أو قال: «دخل الجنة ـ و أبيه ـ إن صدق». (۲)

---

۱ ـ صحيح مسلم:۳|۹۴، باب أفضل الصدقة من كتاب الزكاة.

۲ ـ صحيح مسلم:۱|۳۲، باب ما هو الإسلام.

(۱۵)

وقد حلف غير واحد من الصحابة بغيره سبحانه، فهذا أبو بكر بن أبى قحافة على ما يرويه مالك فى موطّئه: أنّ رجلاً من أهل اليمن أقطع اليد والرجل قدم فنزل على أبى بكر فشكا إليه أنّ عامل اليمن قد ظلمه، فكان يصلى من الليل، فيقول أبو بكر: «وأبيك ما ليلك بليل سارق». (۱)

وهذا على بن أبى طالب (عليه السلام) قد حلف بغيره سبحانه فى غير واحد من خطبه:

۱. «ولعمرى ما عليّمن قتال من خالف الحق وخابط الغى من إدهان ولا إيهان». (۲)

۲. «ولعمرى ما تقادمت بكم ولا بهم العهود». (۳)

إلى غير ذلك من الاَقسام الواردة فى كلامه (عليه السلام) وسائر أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .

نعم ثمة أحاديث استدل بها على المنع عن الحلف بغير اللّه، غير أنّها ترمى إلى معنى آخر كما سيوافيك. الحديث الاَوّل إنّ رسول اللّه سمع عمر، وهو يقول:وأبى، فقال: «إنّ اللّه ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم، ومن كان حالفاً فليحلف باللّه أو يسكت». (۴)

والجواب: انّالنهى عن الحلف بالآباء قد جاء لاَنّهم كانوا ـ فى الغالب ـ مشركين وعبدة للاَوثان فلم يكن لهم حرمة ولا كرامة حتى يحلف أحد بهم،

---

۱ ـ شرح الزرقانى على موطأ مالك: ۴|۱۵۹ برقم ۵۸۰.

۲ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۲۳و۸۵.

۳ ـ نهج البلاغة: الخطبة ۲۳و۸۵.

۴ ـ سنن ابن ماجة: ۱|۲۷۷؛ سنن الترمذى: ۴|۱۰۹.

(۱۶)

ولاَجل ذلك نرى أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) جعل آباءَهم قرناء مع الطواغيت مرّة، وبالاَنداد ـ أى الاَصنام ـ ثانية، وقال: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بالطواغيت». (۱)

وقال أيضاً: «لا تحلفوا بآبائكم ولا بأُمهاتكم ولا بالاَنداد». (۲)

وهذان الحديثان يؤكدان على أنّالمنهى عنه هو الحلف بالآباء الكافرين الذين كانوا يعبدون الاَنداد والطواغيت، فأين هو من حلف المسلم بالكعبة والقرآن والاَنبياء والاَولياء فى غير القضاء والخصومات؟ الحديث الثانى جاء ابنَ عمر رجل فقال: أحلف بالكعبة؟ قال له: لا، ولكن إحلف بربِّ الكعبة، فانّ عمر كان يحلف بأبيه، فقال رسول اللّه له: «لا تحلف بأبيك، فانّ من حلف بغير اللّه فقد أشرك». (۳)

إنّ الحديث يتألف من أمرين:

أ: قول النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «من حلف بغير اللّه فقد أشرك».

ب: اجتهاد عبد اللّه بن عمر، حيث عدّ الحلف بالكعبة من مصاديق حديث النبى(صلى الله عليه وآله وسلم).

أمّا الحديث فنحن نذعن بصحته، والقدر المتيقن من كلامه ما إذا كان المحلوف به شيئاً يعد الحلف به شركاً كالحلف بالاَنداد والطواغيت والآباء الكافرين. فهذا هو الذى قصده النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) ولا يعم الحلف بالمقدسات كالقرآن وغيره.

---

۱ ـ سنن النسائى: ۷|۷؛ سنن ابن ماجة: ۱|۲۷۸.

۲ ـ سنن النسائى:۷|۹.

۳ ـ سنن النسائى: ۷|۸.

(۱۷)

وأمّا اجتهاد ابن عمر حيث عدّالحلف بالكعبة من مصاديق الحديث، فهو اجتهاد منه وحجّة عليه دون غيره.

وأمّا انّ الرسول عدّحلف عمر بأبيه من أقسام الشرك فلاَجل أنّ أباه كان مشركاً، وقد قلنا إنّالرواية ناظرة إلى هذا النوع من الحلف.

ومجمل القول: إنّ الكتاب العزيز هو الاُسوة للمسلمين عبر القرون، فإذا ورد فيه الحلف من اللّه سبحانه بغير ذاته سبحانه من الجماد والنبات والإنسان فيستكشف منه أنّه أمر سائغ لا يمت إلى الشرك بصلة، وتصوّر جوازه للّه سبحانه دون غيره أمر غير معقول، فانّه لو كان حقيقة الحلف بغير اللّه شركاً فالخالق والمخلوق أمامه سواء.

نعم الحلف بغير اللّه لا يصحّ فى القضاء وفضّ الخصومات، بل لابدّمن الحلف باللّه جلّجلاله أو بإحدى صفاته التى هى رمز ذاته، وقد ثبت هذا بالدليل ولا علاقة له بالبحث.

وأمّا المذاهب الفقهية فغير مجمعين على أمر واحد.

أمّا الحنفية، فقالوا: بأنّالحلف بالاَب والحياة، كقول الرجل: وأبيك، أو: وحياتك وما شابه، مكروه.

وأمّا الشافعية، فقالوا: بأنّالحلف بغير اللّه ـ لو لم يكن باعتقاد الشرك ـ فهو مكروه

وأمّا المالكية، فقالوا: إنّفى القسم بالعظماء والمقدسات ـ كالنبى و الكعبة ـ فيه قولان: الحرمة والكراهة، والمشهور بينهم: الحرمة.

(۱۸)

وأمّا الحنابلة، فقالوا: بأنّ الحلف بغير اللّه وبصفاته سبحانه حرام، حتى لو كان حلفاً بالنبى أو بأحد أولياء اللّه تعالى.

هذه فتاوى أئمّة المذاهب الاَربعة (۱) ولسنا الآن بصدد مناقشتهم.

وكان الحرى بفقهاء المذاهب الاَربعة ولا سيما فى العصر الراهن فتح باب الاجتهاد والرجوع إلى المسألة والنظر إليها بمنظار جديد إذ كم ترك السلف للخلف.

على أنّ نسبة الحرمة إلى الحنابلة غير ثابتة أيضاً، لاَنّ ابن قدامة يصرّح فى كتاب «المغنى» ـ الذى كتبه على غرار فقه الحنابلة ـ أنّ أحمد بن حنبل أفتى بجواز الحلف بالنبى، وأنّه ينعقد لاَنّه أحد ركنى الشهادة.

وقال أحمد: لو حلف بالنبى انعقد يمينه، فإن حنث لزمته الكفارة. (۲)

إکمال

قد ذکر السیوطی فی کتاب «الاِتقان»، وقال: کیف أقسم بالخلق وقد ورد النهی عن القسم بغیر اللّه؟

ثمّذکر أجوبة ثلاثة، وهی:

الاَوّل: انّه علی حذف مضاف، أی وربّالتین وربّ الشمس، وکذا الباقی.

الثانی: انّالعرب کانت تعظم هذه الاَشیاء وتقسم بها فنزل القرآن علی ما یعرفون________________.

۱ ـ انظر الفقه علی المذاهب الاَربعة:۲|۷۵، کتاب الیمین، مبحث الحلف بغیر اللّهتعالی.

۲ ـ المغنی: ۱۱|۲۰۹.

(۱۹)

الثالث: انّالاِقسام إنّما تکون بما یعظمه المقسم أو یُجلُّه وهو فوقه واللّه تعالی لیس شیء فوقه، فأقسم تارة بنفسه وتارة بمصنوعاته، لاَنّها تدل علی باریَ وصانع.

وقال ابن أبی الاصبع فی «اسرار الفواتح»: القسم بالمصنوعات یستلزم القسم بالصانع، لاَنّ ذکر المفعول یستلزم ذکر الفاعل، إذ یستحیل وجود مفعول بغیر فاعل

وأخرج ابن أبی حاتم، عن الحسن، قال: إنّ اللّه یقسم بما شاء من خلقه، ولیس لاَحد أن یقسم إلاّ باللّه. (۱)

ولا یخفی ضعف الاَجوبة.

أمّا الاَوّل: فانّمعنی ذلک إرجاع الاَقسام المختلفة إلی قسم واحد وهو الرب، مع أنّه سبحانه تارة یقسم بنفسه، ویقول: (فَوَرَبِّکَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّیاطین) (۲)، وأُخری بالتین والزیتون والصافات والشمس، فلو کان الهدف القسم بالرب فما فائدة هذا النوع من الاَقسام حیث یضیف نفسه إلی واحد من مخلوقاته؟ فانّالعظمة للّه لا للمضاف إلیه، ولو کانت له عظمة فإنّما هی مقتبسة من الرب.

وأمّا الثانی: فمعنی ذلک أنّه سبحانه جری علی ما کان علیه العرب فی العصر الجاهلی، وقد هدم بعمله ما شرعه من النهی عن القسم بغیر اللّه.

وأمّا الثالث: فیکتنفه کثیر من الغموض، ولا یعلم کیفیة رفع الاِشکال، وأمّا ما نقله عن ابن أبی الاصبع فیرجع إلی المعنی الاَوّل، وهو أنّ القسم بالمخلوق قسم بالخالق________________.

۱ ـ الاِتقان:۴|۴۷.

۲ ـ مریم:۶۸.

(۲۰)

وما نقله عن ابن أبی حاتم، من أنّ اللّه یقسم بما شاء من خلقه ولیس لاَحد أن یقسم إلاّ باللّه، أمر غیر واضح، لاَنّإقسام المخلوق بغیر اللّه لو کان من مقولة الشرک فالقاعدة لا تقبل التخصیص، فیکون قسمه سبحانه بغیر اللّه أیضاً شرکاً وعبادة.

وإن کان قسمه سبحانه لاَجل بیان قداسته وعظمته أو الاَسرار المکنونة فیه، فهو أمر مشترک بین الخالق والمخلوق.

والجواب: انّالنهی عن الحلف بغیر اللّه مختص بالطواغیت والاَنداد والمشرکین من الآباء، وأمّا غیرهم فلم یرد فیهم نهی. منهجنا فی تفسیر أقسام القرآن إنّه سبحانه تبارک و تعالی حلف بذوات مقدسة بما یربو علی الاَربعین مرة، فتفسیرها یمکن أن یتم باحدی الصور التالیة:

أ: أن نتناول تلک الاَقسام بالبحث طبق حروف التهجی ککتاب اللغة.

ب: أن نتناولها بالبحث حسب أفضلیة المقسم به، فنقدم الحلف باللّه أو الرب علی الحلف بعمر النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وحیاته، وهو علی الحلف بالملائکة، وهکذا، وعلی ذلک یجب عقد واحد وأربعین فصلاً علی النحو التالی:

۱. الحلف بلفظ الجلالة وفیه فصلان:

أ.الحلف بلفظ الجلالة.

ب.الحلف بالرب.

(۲۱)

۲. الحلف بالنبی (صلى الله علیه وآله وسلم)، وفیه فصلان:

أ.بعمر النبی (صلى الله علیه وآله وسلم)

ب. شاهد

۳. الحلف بالقرآن، وفیه فصلان:

أ. بالقرآن

ب. بالکتاب

۴. الحلف بالملائکة، وفیه أربعة فصول:

أ. الصافات، الزاجرات، التالیات.

ب. الذاریات، الحاملات ، الجاریات، المقسمات.

ج. المرسلات، العاصفات، الناشرات، الفارقات، الملقیات

د. النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات.

۵. الحلف بالقلم وفیه فصلان:

أ.القلم

ب. وما یسطرون

۶. الحلف بالقیامة، وفیه ثلاثة فصول:

أ. القیامة

ب. الیوم الموعود

ج. مشهود

(۲۲)

۷. الحلف بالنفس

۸. الحلف بالشفع والوتر

۹. الحلف بالولد والوالد.

۱۰. الحلف بالاَمکنة، وفیه ثلاثة فصول:

أ. الحلف بالبلد الاَمین

ب. الحلف بطور سینین

ج. الحلف بالبیت المعمور

۱۱. الحلف بالاَزمنة، وفیه ثمانیة فصول:

أ. الحلف بالصبح

ب. الحلف بالفجر

ج. الحلف باليوم

د. الحلف بالضحى

هـ. الحلف بالنهار

و. الحلف بالشفق

ز. الحلف بالليل

ح. الحلف بالعصر

۱۲. الحلف بالَارض والَاجرام السماوية، وفيه ثمانية فصول:

أ. الحلف بالشمس وضحاها

(۲۳)

ب. الحلف بالكواكب.

ج. الحلف بالنجم

د. الحلف بمواقع النجوم

هـ. الحلف بالَارض

و. الحلف بالقمر

ز. الحلف بالخنس الجوار

ح. الحلف بالطارق

۱۳. الحلف بالظواهر الجوية، وفيه أربعة فصول:

أ. الحلف بالسماء

ب. الحلف بالذاريات

ج. الحلف بالحاملات

د. الحلف بالجاريات

ج: أن نتناولها حسب السور القرآنية، فنفسر ما ورد من الَاقسام فى سورة الشمس مرة واحدة، أو نفسر ما ورد فى سورة الفجر أو البلد فى مكان واحد، وعلى ذلك يجب عقد عدة فصول حسب عدد السور التى ورد فيها الحلف.

وقد سلك ابن قيم الجوزية (المتوفّى۷۵۱هـ) هذا المنهج، فراح يبحث عن أقسام القرآن حسب السور.

فابتدأ بتفسير الَاقسام الواردة بالنحو التالى:

۱. القيامة، ۲. الشمس، ۳. الفجر، ۴. البلد، ۵. التين، ۶. الليل، ۷. الضحى، ۸.

(۲۴)

العاديات ، ۹. العصر، ۱۰. البروج، ۱۱. الطارق، ۱۲. الانشقاق، ۱۳. التكوير، ۱۴. النازعات، ۱۵. المرسلات، ۱۶. القيامة، ۱۷. المدثر، ۱۸. الحاقة، ۱۹. المعارج، ۲۰. القلم، ۲۱. الواقعة، ۲۲. النجم، ۲۳. الطور، ۲۴. الذاريات، ۲۵. ق، ۲۶. يس، ۲۷. الصافات، ۲۸. الحجر، ۲۹. النساء.

فقد عقد ۲۹ فصلًا حسب عدد السور التى ورد فيها الَاقسام، وهذا المنهج لا يخلو من مناقشة، لَانّه سبحانه ربما حلف بالرب فى سور مختلفة، فلو كان محور البحث هو السور يلزم عليه تكرار البحث حسب تعدد وروده فى السور المختلفة، وهذا بخلاف ما إذا جمع الآيات التى حلف فيها القرآن بربوبيته، ويبحث فيها دفعة واحدة، فهذا النوع من البحث يكون خالياً عن التكرار والتطويل.

مضافاً إلی أنّه لم يراع ترتيب السور حتی فيما اختاره من ذكر السور القصيرة متقدمة علی السور الطويلة.

والعجب أنّه بحث عن الحلف الوارد فی سورة القيامة مرّتين. (١)

د: وهناك منهج رابع سلكه ولدنا الروحانی الشهيد الشيخ أبو القاسم الرزاقی (قدس اللّه سره) فقد أفرد لكلّقَسَم فصلًا خاصاً.

ويوَخذ علی هذا المنهج أنّه سبحانه حلف فی بعض السور بموضوعات مختلفة، كسورة الشمس حيث حلف فيها بالشمس والقمر وفی الوقت نفسه بالنفس الاِنسانية وجعل للجميع جواباً واحداً.

وبما انّمن البحوث المهمة فی أقسام القرآن هو بيان الصلة بين المقسم به

---

١ ـ تارة فی ص ٣۵ من كتابه المعروف «التبيان فی أقسام القرآن» تحت عنوانفصل «القسم فی سورة القيامة»، وأُخری بنفس العنوان فی ص ١۴٧، فلاحظ.

والمقسم عليه، فعلی ذلك المنهج يجب أن يتكرر البحث فی أكثر الفصول بالنسبة إلی أُمور حلف بها سبحانه مرّة واحدة وذلك كالشمس و القمر والنفس الاِنسانية، وهذا مستلزم للاِطناب.

ومن أجل أن نتلافی هذه المشكلة، نقول:

إنّ أقسام القرآن علی قسمين:

الاَوّل: ما نطلق عليه الحلف المفرد، والمراد منه ما إذا حلف سبحانه بشیء مفرد و لم يضم إليه حلفاً آخر، سواء تكرر فی سور أُخری أو لا ، مثلًا: حلف بعمر النبی (صلی الله عليه وآله وسلم) وحياته مرة واحدة ولم يقرن به حلفاً آخر، بخلاف لفظ الرب فقد حلف به مفرداً ولكنّه تكرر فی بعض السور.

الثانی: ما نطلق عليه الحلف المتعدد، والمراد منه ما إذا حلف سبحانه بأُمور مختلفة جمعها فی آية واحدة أو آيتين، وجعل للجميع جواباً واحداً، كالحلف بالشمس والقمر إلی أن يصل إلی النفس الاِنسانية.

فنعقد لكلّ حلف مفرد فصلًا علی حدة، سواء تكرر بهذا النحو فی سور أُخری أو لا، مراعين فی ذلك الاَفضل فالاَفضل فنقدم الحلف باللّه والرب علی حياة النبی وعمره وهو علی الملائكة.

وأمّا الحلف المتعدد فنعقد لكلّ سورة تضم ذلك الحلف فصلًا، كما عقدنا لسورة الشمس فصلًا، ولسورة الليل فصلًا آخر، وإن تكرر فيه المحلوف فيه أعنی الليل، و بذلك يمتاز هذا المنهج عن سائر المناهج المذكورة، ويجمع كافة محاسنها، ويصان عن الموَاخذات التی ربما تطرح علی المنهجين الاَخيرين.

وأخذنا بتقسيم الكتاب إلی قسمين وخصصنا القسم الاَوّل بالاَحلاف المفردة، والثانی بالاَحلاف المتعددة، وإليك إجمال فصول القسمين:

القسم الاَوّل، وفيه فصول:

القسم الاَوّل: القسم المفرد

الفصل الاَوّل

الفصل الاَوّل القسم بلفظ الجلالة

حلف سبحانه تبارک و تعالی بلفظ الجلالة مرّتین ضمن آیتین من سورة النحل، وهو أعظم قسم ورد فی القرآن الکریم.

قال سبحانه:

أ: (وَیَجْعَلُونَ لما لا یَعْلَمُونَ نَصیباً مِمّا رَزَقْناهُمْ تَاللّهِ لَتُسْئَلُنَّعَمّا کُنْتُمْ تَفْتَرُون) . (۱)

ب: (تَاللّهِ لَقَدْأَرْسَلْنا إِلى أَمَم مِنْ قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُالشَّيطانُ أَعْمالُهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُالْيَومَ وَلَهُمْ عَذابٌ أَليمٌ) . (٢) تفسير الآية الاَولى

دلّت الآيـة الأُولى على جهل المشـركين، حيث كانوا يجعلون نصـيباً مما رزقوا للاَصـنام التى لا تضـر ولا تنفع ويتقربون بـذلك إليهم، وقال سبحانه: (وَيَجْعَلُونَ لما لا يَعْلَمونَ نَصيباً مِمّا رَزَقْناهُمْ تَاللّهِ لتسئلنَّ عَمّا كُنْتُمْ تفتَرون_____________) .

١ ـ النحل:٥۶.

٢ ـ النحل:۶٣.

(٣٠)

وقـد حكى سـبحانه عملهم هـذا فى سورة الاَنعـام، وقـال: (وَجَعَلُوا للّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالاََنْعام نَصِيباً فَقالُوا هـذا للّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهـذا لِشُرَكائِنا فَما كانَ لِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللّهِوَما كانَ للّهِ فَهُو يَصِلُإِلى شُركائِهِمْ ساءَما يَحْكُمُون) . (١)

فالكفار لاَجل جهلهم بمبدأ الفيض كانوا يتقرّبون إلى الآلهة الكاذبة ـ أعنى: الاَصـنام والاَوثان ـ بتخصـيص شىء مما رزقوا لها، مع أنّه سبحانه هو الاَولى بالتقرّب لا غير ، لاَنّه مبدأ الفيض و ما سواه ممكن محتاج فى وجوده وفعله، فكيف يتقربون إليه؟!

والعجب أنّهم يجعلون نصـيباً للّه ونصـيباً لشـركائه، فما كان للّه فهو يصل إلى شـركائهم، وما كان لشـركائهم لا يصل إلى اللّه سبحانه، وقـد حكـاه سـبحانه فى سورة الاَنعام، وقال: (وَجَعَلُوا للّهِ مِمّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالاََنْعام نَصِيباً فَقالُوا هـذا للّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهـذا لِشُرَكائِنا فَما كانَلِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللّهِوَما كانَ للّه فَهُو يَصِلُإِلى شُركائِهِمْ ساءَما يَحْكُمُون) .

(٢)

وحاصل الآية: أنّهم كانوا يجعلون من الزرع والمواشـى حظاً للّه وحظاً للاَوثان، وقد أسـماها سـبحانه (شـركائهم)، لاَنّهم جعلوا الاَوثان شركاءهم، حيث جعلوا لها نصيباً من أموالهم ينفقونه عليها فشاركوها فى نعمهم .

وقد ذكر المفسرون فى تفسير قوله تعالى(فَما كانَلِشُرَكائِهِمْ فَلا يَصِلُ إِلى اللّهِوَما كانَ للّه فَهُو يَصِلُإِلى شُركائِهِم) وجوهاً:

(٣)

أوّلها: انّهم كانوا يزرعون للّه زرعاً وللاَصنام زرعاً، فكان إذا زكا الزرع الذى

---

١ ـ الاَنعام:١٣۶.

٢ ـ الاَنعام:١٣۶.

٣ ـ لاحظ مجمع البيان: ٢|٣٧٠.

(٣١) زرعوه للّه ولم يزك الزرع الـذى زرعوه للاَصـنام جعلوا بعضه للاَصـنام وصـرفوه إليها، ويقولون إنّ اللّه غنىّ والاَصـنام أحوج؛ وإن زكا الزرع الـذى جعلوه للاَصـنام ولم يزك الزرع الـذى زرعوه للّه لم يجعلوا منه شـيئاً للّه، وقالوا: هو غنى؛ وكانوا يقسـمون النعم فيجعلون بعضه للّه وبعضه للاَصـنام فمـا كـان للّه أطعموه الضـيفان، وما كان للصـنم أنفقوه على الصـنم، وهـذا هو المروىّ عن الزجاج وغيره.

ثانيها: انّه كان إذا اختلط ما جُعل للاَصنام بما جُعل للّه تعالى ردّوه، وإذا اختلط ما جعل للّه بما جُعل للاَصنام تركوه، وقالوا :اللّه أغنى، وإذا تخرق الماء من الـذى للّه فى الـذى للاَصـنام لم يسدُّوه، وإذا تخرق من الذى للاَصـنام فى الذى للّه سدّوه ، وقالوا: اللّه أغنى. عن ابن عباس وقتادة، وهو المروى عن أئمتنا «عليهم السلام» .

وثالثهـا: انّه كـان إذا هلـك مـا جعـل للاَصـنام بـدَّلوه مما جعل للّه، وإذا هلك ما جعل للّه لم يبـدّلوه مما جعل للاَصـنام. عن الحسـن والسدى.

(١)

وفی الحقیقهٔ انّهذا النوع من العمل، أی توزیع القربان بین اللّه والآلههٔ، کان تزییناً من شرکائهم وهم الشیاطین أو سدنهٔ الاَصنام حیث زینوا لهم هذا العمل وغیره من الاَعمال القبیحهٔ ، قال تعالی: (وَکَذلِکَ زُیِّنَ لِکَثیرٍ مِنَ الْمُشْرِکینَ قَتْلَ أَولادِهِمْ شُرکاؤُهم لِیُرْدُوهُمْ (أی لیهلکوهم بالاِغواء)وَلِیَلْبِسُوا عَلَیْهِمْ دِینَهُمْ وَلَو شاءَ اللّهُ ما فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَ ما یَفْتَرُونَ).

(۲) تفسیر الآیهٔ الثانیهٔ یقول سبحانه: (تَاللّهِ لَقَدْأَرْسَلْنا إِلی أُمَمٍ مِنْ قَبْلِکَ فَزَیّنَ لَهُمُ الشَّیطان

---

۱ ـ مجمع البیان: ۲ | ۳۷۰.

۲ ـ الاَنعام:۱۳۷.

(۳۲) أَعمالَهُمْ) فهوَلاء کفروا وضلّوا وکذّبوا الرسل وقد زیّن الشیطان أعمالهم (فهو ولیّهم الیوم) أی الشیطان الذی زین لهم أعمالهم فهو أیضاً یقوم بنفس هذا العمل فالولی واحد وإن کان المتولی علیه مختلفاً، وبالتالی انّ الشیطان ولیهم الیوم فی الدنیا یتولونه ویتبعون إغواءه (ولهم عذاب ألیم).

إلی هنا انتهینا من تفسیر الآیتین، فلنذکر المقسم به، وجواب القسم، وما هی الصلهٔ بینهما. المقسم به المقسم به فی الآیتین هو لفظ الجلالهٔ الذی جاء ذکره فی القرآن الکریم حوالی ۹۸۰ مرهٔ.

وقد ذهب غیر واحد من أصحاب المعاجم إلی أنّ أصله، إله، فحذفت همزته وأدخل علیه الاَلف واللام فخص بالباری تعالی ، قال تعالی: (فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبادتِهِ هَلْتَعْلَمُ لَهُ سَمِیّاً) .

(۱)

ثمّإنّ «إله» إما من أله یأله فهو الاِله بمعنی المعبود، أو من أله ـ بالکسر ـ أی تحیر، لتحیر العقول فی کنهه.

أقول: سیوافیک بأنّالاِله لیس بمعنی المعبود، وأنّمن فسره به فقد فسره بلازم المعنی، وعلی فرض ثبوته فلفظ الجلالهٔ علم بالغلبهٔ ولیس فیه إشارهٔ إلی هذه المعانی من العبادهٔ والتحیّر، وقد کان مستعملاً دائراً علی الاَلسن قبل نزول القرآن تعرفه العرب فی العصر الجاهلی، یقول سبحانه: (وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ

---

۱ ـ مریم:۶۵.

(۳۳) لَیَقُولُنَّ اللّه) . (۱) فقد أشار بلفظ الجلالهٔ إلی خالق السماوات والاَرض دون تبادر مفهوم العبادهٔ أو التحیر منه.

وممّا یدل علی کونه علماً انّه یوصف بالاَسماء الحسنی وسائر أفعاله المأخوذهٔ من تلک الاَسماء من دون عکس، فیقال اللّه الرحمن الرحیم، أو یقال علم اللّه ورزق اللّه، ولا یقع لفظ الجلالهٔ صفهٔ لشیء منها، ولا یوَخذ منه ما یوصف به شیء منها، وهذا یدل علی أنّه علم ولیس بوصف، فیکون اسماً للذات الواجبهٔ الوجود المستجمعهٔ لجمیع صفات الکمال، ولهذا اللفظ فی جمیع الاَلسنهٔ معادل کلفظهٔ "خدا "فی لغهٔ الفرس و"حراً "فی لغهٔ الافرنج و" تاری "فی لغهٔ الترک.

(۲) جواب القسم أمّا جواب القسم فی الآیهٔ الاَُولی، فهو عبارهٔ عن قوله: (لتسئلن عمّا کنتم تفترون) .

کما أنّجوابه فی الآیهٔ الثانیهٔ، هو قوله: (لَقَدْأرْسلنا إِلی أُمم من قَبْلک) .

فقد أقسم سبحانه فی هاتین الآیتین بلفظ الجلالهٔ لغایهٔ التأکید علی أمرین:

أ: انّهم مسوَولون یوم القیامهٔ عن افترائهم الکذب.

ب: انّه سبحانه لم یترک الخلق سدی بل أرسل إلیهم رسلاً، لکن الشیطان حال بینهم و بین أُممهم، وتشهد علی ذلک سیرهٔ عاد و ثمود بل الیهود والنصاری والمجوس.

---

۱ ـ الزخرف:۸۷.

۲ ـ انظر الميزان: ۱|۱۸. (۳۴) ما هی الصلة بين المقسم به والمقسم عليه؟

هذا هو المهم فی أقسام القرآن، وقد أُهمل فی كثير من التفاسير، ويمكن أن يقال:

أمّا الآية الأُولى، فالقسم بلفظ الجلالة لاَجل أنّ المشـركين كانوا يجعلون للّه نصيباً مما زرعوا من الحرث والاَنعام، وكانوا يقولون: هذا للّه، فناسب أن يقسم به لاَجل أنّه افتراء عظيم.

وأمّا الآية الثانية، فلاَنّه جاء فی ذيل جواب القسم ولاية الشيطان، كما قال: (فهو وليّهم اليوم) وبما انّ الولاية للّه سبحانه كما قال تعالی: (هنالِكَ الولايةُ للّهِ الحق) (۱) يس ناسب الحلف باللّه الذی هو الوليّ دونَ الشيطان، كما عليه المشركون.

---

۱ ـ الكهف: ۴۴.

الفصل الثانی

الفصل الثانی القسم بالربِّ

أقسم سبحانه بلفظ «رب» بصور مختلفة:

تارة حلف به بلفظ «فلا وربك»

وأُخری حلف به مقروناً بلفظ (لا) وقال: «فلا أُقسم».

وثالثة حلف به بلفظ «فوربّك».

ورابعة بلفظ «بلی و ربّـی».

وخامسة بلفظ «ای وربی».

وسادسة بلفظ «فوربّالسماء والاَرض».

وعلی أية حال فالمقسم به هو الرب،وإليك الآيات:

۱. (فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتّی يُحَكِّمُوكَ فِيما شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْليماً). (۱)

۲.(فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِبِ إِنّا لَقادِرُونَ *عَلی أَنْنُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَما نَحنُ بِمَسْبُوقينَ) . (۲)

۳. (فَوَرَبِّكَ لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّياطين) . (۳)

---

۱ ـ النساء:۶۵.

۲ ـ المعارج:۴۰ ـ ۴۱.

۳ ـ مريم:۶۸.

۴. (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعينَ* عَمّا كانُوا يَعْمَلُون) . (۱)

۵. (وَقالَالَّذينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا السّاعَةُ قُلْبَلی وَربّی لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الْغَيب) . (۲)

۶. (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْلَنْ يُبْعَثُوا قُلْبَلی وَربّی لَتُبْعَثُنّ ثُمَّ لَتُنَبَّوَنَّ بما عَمِلْتُمْوَذلِكَ عَلی اللّهِ يَسير) . (۳)

۷.(وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِی وَرَبّی انّهُ لحقٌّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزين) . (۴)

۸. (فَوَرَبِّ السَّمـاءِ وَالاَرْضِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أَنَّكُمْتَنْطِقُون) . (۵) تفسير الآيات تشـير الآية الأُولی إلی مقام من مقامات النبی (صلی الله

علیه وآله وسلم)، فانّله ـ حسب ما دلّعلیه الکتاب و السنة فی إدارة رحی المجتمع ـ مقامات ثلاثة:

أ: السیاسیة وتـدبیر الاُمور: یقـول سـبحانه: (الَّذِینَ إنْ مَکّنّاهُمْ فِی الاَرْضِ أَقامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّکاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوا عَنِ الْمُنْکَرِوَللّهِ عاقِبَةُ الاُمور). (۶) ویقول فی حقّ النبی خاصة: (النَّبِیُّ أَولَی بِالْمُؤْمِنینَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (۷) ولیس الاَولی بالموَمنین من أنفسهم فضلاً عن أموالهم غیر السائس الحاکم العام ـــــــــــــــــ.

۱ ـ الحجر:۹۲ـ ۹۳.

۲ ـ سبأ:۳.

۳ ـ التغابن:۷.

۴ ـ یونس:۵۳.

۵ ـ الذاریات:۲۳.

۶ ـ الحج:۴۱.

۷ ـ الاَحزاب:۶.

(۳۷)

ب: القضـاء وفضُّ الخصومـات: یقول سـبحانه فی حقّـداود: (یـا داوُدُ إِنّا جَعلْناکَ خَلِیفَةً فِی الاَرْضِ فَاحْکُمْ بَیْنَ النّاسِ بِالحَقّ ولا تَتَّبعِ الهَوَی فَیُضِلّکَ عَنْ سَبیلِاللّهِ إنّ الّذِینَ یَضِلُّونَ عَنْ سَبیلِاللّهلَهُمْ عَذابٌ شَدیدٌ بِما نَسُوا یَومَ الْحِساب) (۱) وفی حقّالنبی (صـلی الله علیه وآله وسلم) بقوله: (وَإِنْ حَکَمْتَ فَاحْکُمْ بَیْنَهُمْ بِالقِسْطِ إِنَّ اللّهَیُحِبُّ الْمُقْسِطِینَ) . (۲)

ج: الاِفتاء وبیان الاَحکام: یقول سبحانه: (یَسْتَفْتُونَکَ قُلِ اللّهُ یُفْتِیکُمْ فِی الْکَلالَة) (۳)

س وقـد کان الرسول ـ بنص هـذه الآیات ـ جامعاً لهذه المقامات الثلاثة فکان سائساً وحاکماً، وقاضـیاً وفاضّاً للخصومات، ومفتیاً ومبیّناً للاَحکام.

ومن الواضـح بمکان أنّ فضّ الخصومات لا یتحقق إلاّ بقضاء قاض مطاع رأیه ونافـذ فصـله، وقـد کان بعض المنتمین إلی الاِسـلام لم یعیروا أهمیـة لقضـائه، فنزلت الآیـة تأمر أوّلاً بإطاعته وانّ کلّرسول واجب الطاعـة.یقول سـبحانه: (وَما أَرْسَلْنا مِنْ رَسُولٍ إِلاّ لِیُطاع بِإِذْنِ اللّه) . (۴)

ثمّ تشیر الآیة التالیة إلی أنّ الاِیمان لا یکتمل إلاّ بالانصیاع والتسـلیم القلبی لما یقضی به النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)، فمن شهد الشـهادتین وأذعن بهما، ومع ذلک یجد فی نفسه حرجاً فی قضاء النبی (صـلی الله علیه وآله وسلم) وأمره فلیس بموَمن، یقول سبحانه: (فَلا وَرَبّکَ لا یُؤْمِنُونَ حَتّی یُحَکِّمُوکَ فِیما شَجَرَ بَیْنَهُمْ ثُمَّ لا یَجِدُوا فی أَنْفُسِهِمْ حَرَجاً مِمّا قَضَیْتَ وَیُسَلِّمُوا تَسْلیماً). (۵) فالآیة تدل علی أنّ الاِیمان لا یکتمل بنفس الاِذعان والیقین بالتوحید والرسالة مالم ینضم إلیه

---

۱ ـ ص :۲۶.

۲ ـ المائدة:۴۲.

۳ ـ النساء:۱۷۶.

۴ ـ النساء:۶۴.

۵ ـ النساء:۶۵.

(۳۸)

التسـلیم القلبی، ولذلک تری أنّأمیر الموَمنین علیاً (علیه السـلام) یصف الاِسـلام بالنحو التالی، ویقول: «لاَنسبنّ الاِسلام نسبة لم ینسبها

أحد قبلى: الإسلام هو التسليم». (۱)) وتشير الآية الثانية إلى أنّه سبحانه قادر على أن يهلك المشركين ويأتى بقوم آخرين (خيراً منهم)، من دون أن يكون مغلوباً، قال: (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِب إِنّا لَقادِرُونَ* عَلى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْراً مِنْهُمْ وَما نَحنُ بِمَسْبُوقينَ) . فجواب القسم قوله (إِنّا لَقادِرُون) وقوله (وَما نَحْنُ بِمَسْبُوقين) عطف على جواب القسم، والمراد بالسبق الغلبة، أى وما نحن بمغلوبين ويمكن أن يكون السبق بمعناه والمراد: وما نحن بمسبوقين بفوت عقابنا إياهم فإنّهم لو سبقوا عقابنا لسبقونا.

والتعبير بالمشارق والمغارب لأجل أنّ للشمس فى كل يوم من أيام السنة الشمسية مشرقاً ومغرباً لا تعود إليهما إلى مثل اليوم من السنة القابلة، كما أنّه من المحتمل أن يكون المراد بها مشارق جميع النجوم ومغاربها.

ومن عجيب الأمر أنّ فى الآية على قصرها وجوهاً من الالتفات.

ففى قوله: (فلا أُقْسِم) التفات من التكلم مع الغير الوارد فى قوله: (إِنّا خَلَقْناكُمْ) إلى التكلم وحده، والوجه فيه تأكيد القسم باسناده إلى اللّه نفسه.

وفى قوله: (بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِب) التفات من التكلم وحده إلى الغيبة، و الوجه فيه الإشارة إلى صفة من صفاته تعالى هى المبدأ فى خلق الناس جيلاً بعد جيل، وهى ربوبيته للمشارق و المغارب، فانّ الشروق بعد الشروق، والغروب بعد الغروب، يلازم مرور الزمان الذى له مدخلية تامّة فى تكوّن الإنسان

---

۱ ـ نهج البلاغة: قسم الحكم، الحكمة۱۲۵.

(۳۹)

جيلاً بعد جيل وسائر الحوادث العرضية المقارنة له.

وفى قوله: (إِنّا لَقادِرُون) التفات (۱) من الغيبة إلى التكلم مع الغير، والوجه فيه الإشارة إلى العظمة المناسبة لذكر القدرة، وفى ذكر ربوبيته للمشارق والمغارب إشارة إلى تعليل القدرة ،وهو أنّ الذى ينتهى إليه تدبير الحوادث فى تكوّنها لا يعجزه شىء من الحوادث التى هى أفعاله، عن شىء منها، ولا يمنعه شىء من خلقه من أن يبدله بخير منه، وإلاّ شاركه المانع فى أمر التدبير، واللّه سبحانه لا شريك له فى أمر التدبير. (۲)

وأمّا الآية الثالثة: فلما ذكر سبحانه الوعد والوعيد والبعث والنشور أردفه بقول منكر البعث ورد عليهم بأوضح بيان وأجلى برهان، وقال: (أَوَ لا يَذْكُرُ الإِنْسانُأَنّا خَلَقْناهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئاً) (۳) والمراد أو لا يذكر أنّالنشأة الاُولى دليل على إمكان النشأة الثانية، ثمّ أكده بقوله: «فوربك» يا محمد «لنحشرنّهم والشياطين» أى لنجمعنهم ولنبعثنهم من قبورهم مقرنين بأوليائهم من الشياطين.

وأمّا الآية الرابعة: فسياق الآية يندد بالمقتسمين، ويقول: (كَما أَنْزَلْنا عَلَى الْمُقْتَسِمين) (۴) ثمّ يصفهم بقوله :(الّذِينَ جَعَلُوا الْقُرآنَ عِضِين) (۵)والعضين

---

۱ ـ الالتفات فى علم البيان عبارة عن الانتقال من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطابإلى الغيبة، ومن الغيبة إلى التكلم كما فى قوله سبحانه: (مالِكِ يَوم الدِّين*إِيّاكَ نَعْبُد) وقوله سبحانه: (حَتّى إِذا كُنْتُمْ فى الفلك و جرين بهم) وقوله سبحانه: (وَاللّهُ الذى أَرسل الرياح فتثير سَحاباً فَسُقْناهُ) ففى الآية الاُولى عدول من الغيبة إلى الخطاب، وفى الثانية من الخطاب إلى الغيبة، وفى الثالثة من الغيبة إلى التكلم.

۲ ـ الميزان: ۲۰|۲۲.

۳ ـ مريم:۶۷.

۴ ـ الحجر:۹۱.

۵ ـ الحجر:۹۰.

(۴۰)

جمع عضّة والتعضيـة التفريق، فهم الذين جزّأوا القرآن أجزاء فقالوا تارة: سحر، وأُخرى: أساطير الاَوّلين، وثالثة: مفترى، وبذلك صدّوا الناس عن الدخول فى دين اللّه، وعلى ذلك يكون المراد من المقتسمين هم كفار قريش.

ويحتمل أن يكون المراد هم اليهود والنصارى الذين فرّقوا القرآن أجزاء وأبعاضاً، وقالوا: نوَمن ببعض ونكفر ببعض.

وعلى أيّة حال الـذين كانوا بصـدد إطفاء نور القرآن بتبعيضه أبعاض ليصدوا عن سبيل اللّه فهوَلاء هم المقصودون، ثمّ حلف سـبحانه وقال: (فَوَرَبِّكَ لَنَسْئَلَنَّهُمْ أَجْمَعينَ* عَمّا كانُوا يَعْمَلُون) من تبعيض القرآن و صد الناس عن الاِيمان به.

وأمّا الآية الخامسة: فتذكر إنكار المشركين لاِتيان الساعة ويوم القيامة، وهم ينكرونه مع ظهور عموم ملكه سبحانه وعلمه بكلّ شيء.

وقد كان سـبب إنكارهم هو زعمهم أنّ الاِنسان يبلى جسده بعد الموت وتختلط أجزاوَه بأجزاء أبدان أُخرى على نحو لا تتميز، فكيف يمكن إعادته؟ فأجاب سـبحانه فى الآيـة مشـيراً إلى علمه الواسع، ويقول: (وَقالَالَّذينَ كَفَرُوا لا تَأْتِينَا الساعَةُ قُلْ بَلى وَرَبّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عالِمِ الغَيْبِ لا يَعزبُ عَنْهُ مِثْقالُ ذَرَّةٍ فى السَّماواتِ وَلا فِى الاَرْضِ ولا أَصْغَرُ مِنْ ذلِكَ وَلا أَكْبَرُ إِلاّ فى كِتابٍمُبين) . (۱)

فقوله: (لا تَأْتِينَا السّاعَة) حكاية لقول المشركين.

وقوله: (قل بلى وربّى) أمر للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بأن يجيبهم بأنّ إتيان الساعة أمر قطعى________________.

۱ ـ سبأ:۳.

(۴۱)

وأمّا ما تشـكّكون به من اختلاط أجزاء الاَموات بعضها ببعض فهو أمر سهل أمام سعة علمه سبحانه بالغيب، لا يعزب عنه مثقال ذرة فى السـماوات ولا فى الاَرض، فهو يعلم بذرات بدن كلّإنسان ويميّزه عن غيره، ومع علمه سبحانه فالاَجزاء ثابتة فى كتاب مبين لا تتغير ولا تتبدل.

وأمّا الآية السادسة: يقول سبحانه: (زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْلَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلى وَرَبّى لَتُبعَثُنّ ثُمّ لَتُنَبَّوَنّ بِما عَمِلْتُمْ وَذلِكَ عَلى اللّهِ يَسير). (۱)

تشير الآية إلى إنكار الوثنيين الذين كانوا ينكرون البعث، فأمر النبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» بالاِجابة على إنكارهم بإثبات ما نفوه من الكلام مقروناً بأصناف التأكيد بالقسم واللام والنون وقال: (وَرَبّى لَتُبعَثُنّ ثُمّ لَتُنَبَّوَنّ) .

وأشار فى ذيل الآية إلى أنّ البعث أمر يسـير عليه تعالى ، وانّما طرحوه من شبهات حول البعث فهى ـ فى الواقع ـ شبهات لا تصمد أمام قدرة اللّه وعلمه الواسع.

وأمّا الآية السابعة: أعنى قوله سبحانه: (وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقٌّ هُوَ قُلْ إِى وَرَبّى إِنّهُ لحقّ وما أَنْتُمْ بِمُعْجِزِين) . (۲)

سياق الآية يوحى إلى أنّالمشـركين كانوا يسـتخبرون النبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم» عن نزول العذاب أو وقوع البعث، فأمره سبحانه بـأن يجيب موَكـداً، فقـال: (قـل إى وربّى انّه لحقّ) وقـد أكـد الكلام بالقسم والجملـة الاسـمية، و«انّ» المشـبهة و «اللام»» ثم أشار إلى أنّالكـافرين لاـ يعجزونـه سـبحانه عمّـا أراد، وقـال: (وَمـا أَنْتُمْ بِمُعجِزيـن) ، وفى سـورة المعـارج قـال مكـانه: (وَمـا نَحْنُ بِمَسْبُوقين) .

۱ ـ التغابن:۷.

۲ ـ يونس:۵۳.

(۴۲)

وأمّا الآية الثامنة : (فَوَرَبِّ السَّماءِ وَالاَرْضِ انّهُ لَحَقٌّ مِثْلَ ما أنّكُم تَنْطِقُون) . (۱)

فالضـمير فى قوله : «إنّه» يعود إلى الرزق والوعـد الواردين فى الآية المتقدّمة ، قال سـبحانه: (وَفِى السَّماءِ رِزْقُكُمْ وَما تُوعَدُون) والمراد من الوعد هو الجنة.

ثمّأشار (انّه لحقّمثل ما أنّكم تنطِقُون) وكما أنّ العلم بهـذا الاَمر ـ أی النطق ـ أمر ملموس لا شـبهة فيه، فهكـذا الرزق والوعـد من قبيل تشبيه المعقول بالمحسوس.

حكی الزمخشری عن الاَصـمعی قال: أقبلت من جامع البصرة فطلع أعرابی علی قعود له، فقال: ممن الرجل؟ قلت: من بنی أصمع، قال: من أين أقبلت؟ قلت: من موضع يتلی فيه كلاـم الرحمن، فقـال: اتـل علیّفتلوت «والـذاريات» فلمّا بلغت قوله: (وَفِی السَّماءِرِزْقُكُمْ) قال: «حسبك» ، فقـام إلی نـاقته، فنحرها ووزّعها علی من أقبل وأدبر وعمـد إلی سـيفه وقوسه فكسـرهما وولّی، فلما حججت مع الرشـيد ، طفقت أطوف فـإذا أنـا بمن يهتف بی بصوت رقيق، فالتفتّ فإذا أنا بالاَعرابی قـد نحل واصفرّفسـلّم علیَّ و اسـتقرأ السورة، فلمّـا بلغت الآيـة، صـاح وقـال: قـد وجـدنا مـا وعـدنا ربُّنا حقّاً، ثمّ قال: وهل غير هـذا؟ فقرأت: (فوربّ السّـماء والاَرض انّه لحقّ) فصاح، وقال: يا سبحان اللّه من ذا الذی أغضب الجليل حتی حلف لم يصدقوه بقوله حتی ألجوَه إلی اليمين، قالها ثلاثاً، وخرجت معها نفسه. (٢)

إلی هنا تمّ تفسير الآيات التی أقسم فيها سبحانه بربوبيّته، وإليك الكلام فی المقسم به، والمقسم عليه________________.

١ ـ الذاريات:٢٣.

٢ ـ الكشاف:٣|١۶٩.

(۴٣) المقسم به إنّ المقسم به فی هـذه الآيـات الثمان هو الرب، والربّ أصـله من ربب، يقول صاحب القاموس: ربّ كلّشـیء مالكه ومستحقه وصاحبه،يقال: ربّالاَمر أصلحه.

يقول ابن فارس: الرب، المالك، الخالق، الصاحب، و الرب المصلح للشیء، يقال: ربّ فلان ضيعته، إذا قام علی إصلاحها.

والربّ المصلح للشیء، واللّه جلّثناوَه، الرب لاَنّه مصلح أحوال خلقه، والراب الذی يقوم علی أمر الربيب.

هـذه الكلمات ونظائرها مبثوثة فی كتب القواميس واللغة، وهی ظاهرة فی أنّ للرب معانی مختلفة، حتی أنّالكاتب المودودی تصوّر أنّ لهـذه اللفظـة خمسـة معان، وذكر لكلّ معنی من المعانی الخمسة شواهد من القرآن، ولكن الحقّ أنّه ليس لتلك اللفظة إلاّ معنی واحد والجميع مصاديق متعددة لهذا المعنی أو صور مبسطة للمعنی الواحد، وإليك هذه الموارد والمصاديق:

١. التربية: مثل رب الولد، رباه.

٢. الِاصلاح والرعاية: مثل رب الضيعة.

٣. الحكومة والسياسة: مثل فلان قد ربّ قومه، أی ساسهم وجعلهم ينقادون له.

۴. المالك: كما جاء فی الخبر، عن النبی (صلی الله عليه وآله وسلم) أرب غنم أم رب إبل.

۵. الصاحب: مثل قوله: رب الدار، أو كما يقول القرآن الكريم: (فَلْيَعْبُدُوا رَبّهَذا الْبَيْت) . (١)

---

١ ـ قريش:٣.

(۴۴)

لا ريب انّهـذه اللفظة قد اسـتعملت فی هذه الموارد، ولكن جميعها ترجع إلی أصل واحد وهو من فوض إليه أمر الشـیء المربوب، فلو قيل لصاحب الـدار ومالكها ربّ الدار، فلاَنّ أمرها مفوض إليه، ولو أطلق علی المصـلح و السائس، فلاَنّ بيد هوَلاء أمر التدبير والِادارة والتصرف، فلو قال يوسف فی حقّ عزيز مصر: (إِنَّهُ رَبِّی أَحسَنَ مَثْوای) (١)، فلاَجل انّ يوسف نشأ فی إحضانه وقام بشوَونه.

ولو وصف القرآن اليهود والنصـاری بـأنّهم اتخـذوا أحبارهم أرباباً، وقال: (اتَّخَذُوا أَحْبارَهُمْ وَرُهْبانَهُمْأَرْباباً مِنْ دُونِ اللّهِ) (٢)، فلاَجل انّهم تسلّموا زمام سلطة التشريع وتصرّفوا فی الاَموال والاَعراض كيفما شاءُوا.

إنّه سبحان وصـف نفسه، بقوله: (ربُّ السَّمـاواتِ والاََرْض) (٣) وقـال أيضاً: (رَبّالشـعری) (۴)كلّ ذلك لاَنّه تعالی مـدبرها ومـديرها ومصلح شوَونها والقائم عليها.

وهذا البيان يكشف النقاب عن المعنى الحقيقى للرب، وهو المعنى الجامع بين هذه الموارد. أعنى: من فوّض إليه أمر الشىء من حيث الخلق و التدبير والتربية، وبذلك يعلم ما فى كلام ابن فارس من تفسيره بالخالق، فانّه خلط بين المعنى ولازمه فالخالق ليس من معانى الرب.

نعم خالق كلّ شىء يعدّ مربياً ومدبراً.

وثمة نكتة جديرة بالاهتمام، وهى: أنّ الوهابيين قسّموا التوحيد إلى

---

۱ ـ يوسف:۲۳.

۲ ـ التوبة:۳۱.

۳ ـ الرعد:۱۶.

۴ ـ النجم:۴۹.

(۴۵)

التوحيد فى الربوبية والتوحيد فى الالوهية، وفسَّروا الاَوّل بالتوحيد فى الخالقية ، بمعنى الاعتقاد بأنّ للكون خالقاً واحداً ؛ و فسروا الثانى بالتوحيد فى العبادة ، بمعنى أنّه ليس فى الكون إلاّ معبود واحد؛ ولكنّهم اخطأوا فى كلا الاصطلاحين.

أمّا الاَوّل: فلاَنّ التوحيد فى الربوبية غير التوحيد فى الخالقية، فانّ الخالقية شىء والتدبير والاِصلاح شىء آخر، واللّه سبحانه وإن كان خالقاً ومدبراً لكنّه لا يكون دليلاً على وحدة المفهومين فى الخارج.

فالعرب فى عصر الجاهلية كانوا موحدين فى الخالقية، وكان منطق الجميع، ما حكاه سبحانه بقوله:(وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّماواتِ وَالاََرضَ ليقُولُنَّ خَلَقَهُنَّالْعَزِيزُ العَلِيم) . (۱)

وفى الوقت نفسه لم يكونوا موحدين فى الربوبية، يقول سبحانه: (وَاتَّخذوا مِنْ دُون اللّهِ آلِهَةً لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزّاً) (۲) فكانوا يعتقدون بأنّ العزّة والتدبير من شوَون المدبر، قال سبحانه: (واتَّخذوا مِنْ دُونِ اللّه آلِهَةً لَعَلَّهُمْ يُنْصَرُون) (۳). فكانوا يرون أنّ النصر بيد الاِلهة، خلافاً للموحد فى أمر التدبير، فهو يرى أنّ العزّة والنصر بيد اللّه سبحانه: قال تعالى: (فَلِلّهِ العِزَّةُ جَميعاً) (۴) وقال تعالى: (وَمَا النَّصْرُ إِلاّ مِنْ عِنْدِ اللّهِ الْعَزِيز الْحَكيم) (۵) إلى غير ذلك من الآيات الحاكية عن توغّلهم فى الشرك فى أمر التدبير.

---

۱ ـ الزخرف:۹.

۲ ـ مريم:۸۱.

۳ ـ يس:۷۴.

۴ ـ فاطر:۱۰.

۵ ـ آل عمران:۱۲۶.

(۴۶)

وأمّا الثانى: فلاَنّ التوحيد فى الالوهية غير العبادة، فهو مبنى على أنّ الاِله بمعنى المعبود، والعبادة من لوازم الاِله.

ولكنّه بعيد عن الصواب، لاَنّ ما يتبادر من لفظ الجلالة هو المتبادر من لفظ الاِله، غير أنّ الاَوّل جزئى موضوع لفرد واحد، والثانى كلى وإن لم يوجد له مصداق آخر.

والذى يدل على أنّ الاِله ليس بمعنى المعبود هو أنّه ربما يستعمل لفظ الجلالة مكان الاِله على وجه الكلية والوصفيّة دون العلمية، فيصحّ وضع أحدهما مكان الآخر، كما فى قوله سبحانه: (وَهُوَ اللّهُ فِي السَّماواتِوَفِي الاََرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ ما تَكْسِبُون) . (۱)

فإنّ وزان هذه الآیة وزان، قوله سبحانه:

(وَهُوَ الَّذِی فِی السَّماءِإِلهٌ وَفِی الاَرْضِ إِلهٌ وَهُوَ الْحَکیمُ الْعَلیم) . (۲)

(ولا تَقُولُوا ثَلاثَةٌ انْتَهُوا خَیراً لَکُمْ إِنَّما اللّهُ إِلهٌ واحِدٌ سُبْحانَهُ أَنْ یَکونَ لَهُ وَلَد) . (۳)

(هُوَ اللّهُ الَّذِی لا ـإِلهَ إِلاّ ـهُوَ الْمَلِـکُ القُـدُّوسُ السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَیْمِنُ الْعَزِیزُ الجَبّارُ الْمُتَکَبِّرُ سُـبْحانَ اللّهِ عَمّا یُشْـرِکُونَ* هُوَ اللّهُ الْخالِقُ البارِئُ الْمُصَوّرُ لَهُ الاَسماءُالْحُسْنی یُسَبِّحُلَهُ ما فِی السَّماواتِ وَالاَرض وَهُوَ الْعَزِیزُ الْحَکیم) . (۴)

ولا یخفی أنّ لفظ الجلالة فی هذه الموارد وما یشابهها یراد منه ما یرادف

---

۱ ـ الاَنعام:۳.

۲ ـ الزخرف:۸۴.

۳ ـ النساء:۱۷۱.

۴ ـ الحشر:۲۳ـ ۲۴.

(۴۷)

الإله علی وجه الکلیة (أی ما معناه أنّه هو الإله الذی یتصف بکذا وکذا).

ویقرب من الآیة الاُولی، قوله سبحانه:

(قُلِ ادْعُوا اللّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمنَ أَیّاً ما تَدْعُوا فَلَهُ الاَسْماءُالْحُسْنی) . (۱)

فـإنّ جعـل لفظ الجلالـة فی عـداد سائر الاَسـماء، والاَمر بـدعوة أیٍّ منها، ربما یشـعر بخلوّه عن معنی العلمیـة، وتضـمنه معنی الوصـفیة الموجودة فی لفظ :«الإله» وغیره، ومثله قوله سبحانه:

(هُوَ اللّهُ الْخالِقُ البارِئُ الْمُصَوِّرُ لَهُ الاَسْماءُ الْحُسْنی) . (۲)

فلا یبعد فی هاتین الآیتین أن یکون لفظ الجلالة ملحوظاً علی وجه الکلیة لا العلمیة الجزئیة، کما هو الظاهر لمن أمعن فیها.

المقسم علیه

إنّ المقسم علیه عبارة عن جواب القسم، وهو فی تلک الآیات کالتالی:

أ: الدعوة إلی تحکیم النبی(صلی الله علیه وآله وسلم) والتسلیم أمام قضائه.(لا یُؤْمِنُونَحَتّی یُحکّموک...) .

ب: التأکید علی قدرته سبحانه علی أن یأتی بخیر منهم:(انّا لَقادِرُون عَلی أَنْ نُبَدِّلَ خَیْراً...) .

ج: التأکید علی حشرهم وحشر الشیاطین: (لَنَحْشُرَنَّهُمْ وَالشَّیاطین) .

د: التأکید علی أنّهم مسوَولون یوم القیامة عن أعمالهم(لنسئَلنّهم

---

۱ ـ الإسراء:۱۱۰.

۲ ـ الحشر: ۲۴.

(۴۸)

أَجْمَعین...) .

هـ: التأکید علی إتیان الساعة: (لَتَأْتِیَنَّکُمْ عالم الغَیب...) .

و: التأکید علی بعثهم وآبائهم: (لتبعثن ثمّ لتنبوَنّ...) .

ز: التأکید علی وقوع البعث: (انّه لحقّ وَما أَنْتُمْ بِمُعْجِزین...) .

ح: التأكيد على أنّ أمر الرزق وما توعدون من الجزاء حقّ: (انّه لحقّمثلَ ما أَنّتّمْ تَنْطِقُون...) . الصلة بين المقسم به والمقسم عليه الصلة بينهما واضحة ،فانّ المقسم عليه فى هذه الآيات، كان يدور حول أحد أمرين:

أ: الدعوة إلى التحكيم إلى النبى والتسليم أمام قضائه.

ب: كون البعث والحشر والسؤال عن الاَعمال، أمراً حقّاً.

ومن الواضح أنّ كلا الاَمرين من شؤون الربوبية، فإنّ الربّ إذا كان سائساً ومدبراً فهو أعلم بصلاح المدبر فيجب أن يكون مسلماً لاَمر النبيّ «صلى الله عليه وآله وسلم» ونهيه.

كما أنّحياة المربوب من شؤون الرب دون فرق بين آجله وعاجله، فناسب الحلف بالرب عند الدعوة إلى الحشر و النشر .

وبعبارة أُخرى: كان المشركون ينكرون التسليم أمام أمره ونهيه، كما كانوا ينكرون البعث والنشر، ولما كان الجميع من شؤون الربوبية حلف بالرب تأكيداً لربوبيته.

* * *

(۴۹)

ثمّإنّ المقسم به فيما مضى من الآيات هو لفظ الجلالة أو لفظ الرب، المشيرين إلى الواجب الجامع لجميع صفات الكمال والجمال.

وثمة آيات ربما يستظهر منها أنّالمقسم به هو سبحانه تبارك وتعالى لكن بلفظ مبهم كـ«ما» الموصولة، وقد جاء فى آيات أربع:

۱. (وَالسَّماءِ وَما بَناها) .

۲. (وَالاََرْضِ وما طَحيها) .

۳. (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها). (۱)

۴. (وما خَلَقَ الذَّكَرَ وَالاَُنثى). (۲)

وقد اختلفت كلمة المفسرين فى تفسير لفظة «ما»، فالاَكثرون على أنّها «ما» موصولة كناية عن اللّه سبحانه،وكأنّه سبحانه يقول: والسماء والذى بناها، والاَرض والذى طحاها،ونفس والذى سواها، والواو للقسم.

وهناك من يذهب إلى أنّها «ما» مصدرية، وكأنّه يقول: أُقسم بالسماء وبنائها، والاَرض وطحائها،والنفس وتسويتها.

ولكن الرأى الاَوّل هو الاَقرب لاَنّ سياق الآية يؤيد ذلك، لاَنّه سبحانه يقول: (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) (۳) فالفاعل هو الضمير المستتر الراجع إلى «ما» الموصولة الواردة فى الآيات الثلاث المتقدمة.والذى يصلح للفاعلية هو الموصول من «ما» لا ـ المصدر، وسيوافيك تفصيل ذلك عند البحث عن الحلف بما ورد فى هذه الآيات_______________.

۱ ـ الشمس:۵ـ۷.

۲ ـ الليل:۳.

۳ ـ الشمس:۸.

الفصل الثالث

الفصل الثالث القسم بالنبيّ (صلى الله عليه وآله وسلم)

حلف القرآن الكريم بالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مرَّتين، فتارة بعمره وحياته، وأُخرى بوصفه وكونه شاهداً، ويقع البحث فى مقامين:

المقام الاَوّل: الحلف بعمر النبى(صلى الله عليه وآله وسلم)

حلف سبحانه بحياة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) مرّة واحدة، وقال حينما عرض قصة لوط: (قالَ هؤلاءِ بَناتِي إِنْ كُنْتُمْ

فاعِلين*لَعَمْرُکَ إِنَّهُمْ لَفِی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُون* فَأَخَذَتْهُمُ الصَّیْحَةُ مُشْرِقِین) . (١) تفسیر الآیات أخبر سبحانه فی هذه السورة أنّ الملائکة لمّا خرجوا من عند إبراهیم أتوا لوطاً یبشرونه بهلاک قومه، ولمّا حلّوا ضیوفاً عند لوط فرح الفجّار بورودهم، فقال لهم لوط مشیراً إلی بناته(انّ هوَلاء بناتی) «فتزوجوهنّ إن کنتم فاعلین وکانت لکم رغبة فی التزویج، ولکن قوم لوط أعرضوا عمّا اقترح علیهم نبیّهم لوط وکانوا مصرّین علی الفجور بهم، غافلین عن أنّ العذاب سیصیبهم واللّه سبحانه یحلف بحیاة النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)، ویقول:(لعمرکَ انَّهُمْ لَفی

---

١ ـ الحجر:٧١ـ ٧٣.

(٥١)

سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُون) فلا یبصرون طریق الرشد(فَأَخذتهُم الصَّیحة) أی الصوت الهائل (مشرقین) أی فی حال شروق الشمس. المقسم به المقسم به هو عبارة عن العمر، أعنی فی قوله: «لعمرک» یقول الراغب: العَمر والعُمر اسم لمدة عمارة البدن بالحیاة، فإذا قیل طال عمره فمعناه عمارة بدنه بروحه، إلی أن قال: والعَمر والعُمر واحد لکن خصَّ القسم بالعَمر دون العُمر، کقوله سبحانه: (لَعَمْرُکَ انَّهُمْ لَفی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُون) .

وأما العُمُر فکما فی قوله سبحانه :(فطالَ عَلَیْهِمُ الْعُمُر) ، وفی آیة أُخری:(لَبِثْتَ فِینا مِنْ عُمُرکَ سِنین) .

فاللفظان بمعنی واحد لکن یختص القسم بواحد منهما. (١) المقسم علیه هو قوله :(انَّهُمْ لَفی سَکْرَتِهِمْ یَعْمَهُون) ، والمراد أقسم بحیاتک وبقائک یا محمد، انّهم لفی سکرتهم وانغمارهم فی الفحشاء والمنکر متحیرین لا یبصرون طریق الرشد.

وأمّا الصلة بین المقسم به والمقسم علیه.

قال ابن عباس: ما خلق اللّه عزّوجلّ وماذرأ ولا برأ نفساً أکرم علیه من محمد، وما سمعت اللّه أقسم بحیاة أحد إلاّ بحیاته فقال لعمرک. (٢)

---

١ ـ المفردات: ٣٤٧، مادة عمَر.

٢ ـ مجمع البیان: ٣|٣٤٢.

(٥٢)

وجه الصلة أنّه سبحانه بعث الاَنبیاء عامة، والنبی الخاتم خاصة لهدایة الناس وإنقاذهم من الضلالة وإیقاظهم من السکرة التی تعمُّ الناس، وبما أنّ القوم کانوا فی سکرتهم یعمهون وفی ضلالتهم مستمرون، حلف سبحانه تبارک وتعالی بعمر النبی الذی هو مصباح الهدایة والدلیل إلی الصراط المستقیم. المقام الثانی: الحلف بوصف النبی وأنّه شاهد حلف القرآن الکریم فی سورة البروج بالشاهد والمشهود، وقال: (وَالسَّماءِ ذاتِالْبُروج* وَالْیَوم المَوعُودِ* وشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ* قُتِلَ أَصحابُ الاَخدُود) . (١)

أمّا المشهود فسیوافیک فی فصل القسم فی سورة القیامة انّ المراد منه یوم القیامة بشهادة، قوله سبحانه: (ذلِکَ یَومٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاس وَذلِکَ یَومٌ مَشْهُود) (٢)

إنّما الکلام فی الشاهد، فالمراد منه هو النبی الخاتم (صلی الله علیه وآله وسلم) بشهادة أنّه سبحانه وصفه بهذا الوصف ثلاث مرّات، وقال:

(یا أَیُّهَا النَّبِیُّ إِنّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِیراً) . (٣)

(انّاأَرْسَلْنا إِلَیْکُمْ رَسُولاً شاهِداً عَلَیْکُمْ) . (۴)

(إِنّا أَرْسَلْناکَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِیراً) . (۵)

والآیات صریحة فی حقّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم)، وفی بعض

---

۱ ـ البروج:۱ـ۴.

۲ ـ هود:۱۰۳.

۳ ـ الأحزاب:۴۵.

۴ ـ المزمل:۱۵.

۵ ـ الفتح:۸.

(۵۳)

الآیات عرّفه بأنّه (شهیداً)، ویقول:(وَکَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلى النّاسِ وَیَکونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً) . (۱)
(وَیَوْمَ نَبْعَثُ فِی کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً عَلَیهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنا بِکَ شَهِیداً عَلى هوَلاء) . (۲)
هذه الآیات تعرب عن أنّ المقسم به هو النبی(صلی الله علیه وآله وسلم) بما انّه شاهد علی أعمال أُمّته وشهیداً علیها.
سئل الحسن بن علی (علیهما السـلام) عن معنی الشاهد والمشهود فی قوله سبحانه: (وَشاهِدٍ وَمَشْهُود)؟ فقال: أمّا الشاهد فمحمد «صلی الله علیه وآله وسـلم»، وأمّـا المشـهود فیوم القیامـة، أمـا سـمعته یقول: (إِنّـا أَرْسَـلْناکَ شاهِـداً وَمُبَشِّراً وَنَـذیراً) ، وقال تعالی: (ذلِکَ یَومٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاس وَذلِـکَ یَومٌ مَشْـهُود) . (۳) معنی الشـهادة وکیفیة شـهادة النبی (صـلی الله علیه وآله وسـلم) أمّا الشـهادة فقد فسـرها الراغب وقال: الشـهود والشهادة، الحضور مع المشاهدة امّا بالبصر أو بالبصیرة، وقد یقال للحضور مفرداً عالم«الغیب والشهادة» وقد نقل القرآن شهادة النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) علی قومه یوم القیامة، فقال: (یا رَبّ إِنَّ قَوْمِی اتَّخَذُوا هذَا الْقُرآنَ مَهْجُوراً) . (۴)
هذه حقیقة قرآنیة فی حقّ النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) وغیره ولا

---

۱ ـ البقرة:۱۴۳.

۲ ـ النحل:۸۹.

۳ ـ البحار:۱|۱۳.

۴ ـ الفرقان:۳۰.

(۵۴)

یمکن إنکارها للتصـریح بها فی غیر واحد من الآیات، قال تعالی: (فَکَیْفَ إِذا جِئْنا مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ بِشَـهیدٍ وَجِئْنا بِکَ على هؤُلاءِ شَـهیداً) . (۱) وقال تعالی: (وَیَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ کُلِّ أُمَّةٍ شَهِیداً ثُمَّ لا یُؤذَنُ لِلَّذِینَ کَفَرُوا وَلا هُمْ یُسْتَعْتَبُون) (۲)
وقال عزّ اسمه: (وَوُضِعَ الْکِتابُ وَجِیءَ بِالنَّبِیِّینَ وَالشُّهَداء) . (۳)
والشـهادة فیهـا مطلقـة، وظـاهر الجمیع ـ علی إطلاقهـا ـ هو الشـهادة علی اعمـال الأُمـم، وعلی تبلیغ الرسـل کما یومیَ إلیه، قوله تعالی: (فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِینَ أُرْسِلَ إِلَیْهِمْ وَلَنَسْئَلَنَّ الْمُرسَلین) . (۴)
وظرف الشـهادة وإن کـان هو الآخرة لکن الشـهداء یتحملوها فی الـدنیا. قال سـبحانه: (وَکُنتُ عَلَیْهِمْ شَـهیداً ما دُمْتُ فِیهِمْ فَلَمّا تَوَفَّیْتَنِی کُنْتَ أَنْتَ الرَّقِیبَ عَلَیْهِمْ وَأَنْتَ عَلى کُلِّ شَیْءٍ شَهِید) . (۵)
وعلی ضوء ذلک یثار هذا السؤال فی الذهن،وهو:
إنّ الشهادة من الحضور ولم یکن النبی (صلی الله علیه وآله وسلم) ظاهراً مع جمیع الأُمة بل کان بمعزل عنهم إلاّ شیئاً لا یذکر، فکیف یشهد وهولم یحضر الواقعة أی أفعال أُمّته قاطبة؟

وهناک إشکال آخر أکثر غموضاً وهو: انّ الشهادة على ظاهر الاَعمال لیست مفیدة یوم القیامة،بل الشهادة على باطن الاَعمال من کون الصلاة للّه أو للریاء

۱ ـ النساء:۴۱.

۲ ـ النحل:۸۴.

۳ ـ الزمر:۶۹.

۴ ـ الاَعراف:۶.

۵ ـ المائدة:۱۱۷.

(۵۵)

وللسمعة، وانّ إیمانه هل کان إیماناً نابعاً من صمیم ذاته، أو نفاقاً لاَجل حطام الدنیا، فهذا النوع من الاَعمال لا یمکن الشهادة علیها حتى بنفس الحضور عند المشهود علیه؟

وهذا یدفعنا إلى القول بأنّ لشهداء الاَعمال عامة والنبی الخاتم خاصة قدرة غیبیة خارقة یطّلع من خلالها على أعمال العباد ظاهرها وباطنها وذلک بقدرة من اللّه سبحانه، وعلى ذلک فهذه الشهادة عبارة عن الاطلاع على أعمال الناس فی الدنیا من سعادة أو شقاء،وانقیاد وتمرّد، وإیمان وکفر، وأداء ذلک فی الآخرة یوم یستشهد اللّه من کلّ شیء حتى من أعضاء الإنسان، وعند ذلک یقوم النبی «صلى الله علیه وآله وسلم» ویقول: (یا رَبِّ إِنَّ قَوْمی اتَّخَذُوا هذَا الْقُرآن مَهْجُوراً) .

فإذا کانت الشهادة بهذا المعنى فلا ینالها إلاّ الاَمثل فالاَمثل من الاُمّة، لا الاُمة بأسرها،وعلى ضوء ذلک فیکون المراد من قوله سبحانه:(وَکَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمّةً وَسَطاً لِتَکُونُوا شُهَداءَعَلَى النّاسِ وَیَکُونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً) (۱) هم الکاملین من الاُمّة لا المتوسطین وما دونهم.

وأمّا نسبة الشهادة إلى قاطبة أُمّة النبی، فی قوله تعالى:(وَکَذلِکَ جَعَلْناکُمْ أُمَّةً وَسطاً) فلیس بشیء بدیع، إذ ربّما یکون الوصف لبعض الاُمّة وینسب الحکم إلى جمیعهم، کما فی قوله سبحانه فی حقّ بنی إسرائیل:(وَجَعَلَکُمْ مُلُوکاً) على الرغم من أنّ الملوک فیهم لم یکن یتجاوز عددهم عدد الاَصابع.

وثمة حدیث منقول عن الإمام الصادق (علیه السلام) فی تفسیر قوله تعالى: (لِتَکُونُوا شُهَداءَ عَلى النّاسِ وَیَکونَ الرَّسُولُ عَلَیْکُمْ شَهِیداً) یوَید هذا

۱ ـ البقرة:۱۴۳.

(۵۶)

المعنى«الشهادة للاَمثل» :«فإن ظننت أنّاللّه عنى بهذه الآیة جمیع أهل القبلة من الموحدین، أفترى انّمن لا تجوز شهادته فی الدنیا على صاع من تمر یطلب اللّه شهادته یوم القیامة، ویقبلها منه بحضرة جمیع الاُمم الماضیة؟ کلا: لم یعن اللّه مثل هذا من خلقه، یعنی الاَمّة التی وجبت لها دعوة إبراهیم (کنتم خیر أُمّة أُخرجت للناس) وهم الاَمّة الوسطى، وهم خیر أُمّة أُخرجت للنّاس». (۱) الحلف بالنبی کنایة ربّما یحلف القرآن الکریم بالنبی (صلى الله علیه وآله وسلم) کنایة، قال سبحانه: (لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَد *وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذَا الْبَلَد * وَوالِدٍ وَما وَلَد * لَقَدْخَلَقْنَا الاِنْسانَ فی کَبد) . (۲)

والحِلُّ بمعنى المقیم وکأنّه سبحانه یقول: وأنت یا محمد مقیم به، وهو محلک وهذا تنبیه على شرف البلد بشرف من حلّه وهو الرسول الداعی إلى توحیده، وإخلاص عبادته، وبیان أنّ تعظیمه له وقسمه به لاَجله ولکونه حالاً فیه، کما سمیت المدینة طیبة لاَنّها

طابت به حيّاً وميتاً. (۳)

وكأنّ الآيـة تشير إلى المثل المعروف شرف المكان بالمكين، وانّقداسـة مكـة والداعى إلى الحلف بها هو احتضانها للنبيقول العلاّمة الطباطبائى: والحل مصدر كالحلول بمعنى الإفاضة والاستقرار فى مكان، والمصدر بمعنى الفاعل، والمعنى: أقسم بهذا البلد، والحال انّك حال به مقيم فيه، وفى ذلك تنبيه على تشرّف مكة بحلوله فيها وكونها مولده ومقامه. (۴)

---

۱ ـ الميزان:۱|۳۳۲.

۲ ـ البلد:۱ـ۴.

۳ ـ مجمع البيان:۱۰|۴۹۲.

۴ ـ الميزان: ۲۰|۲۸۹.

الفصل الرابع

الفصل الرابع القسم بالقرآن الكريم

القرآن الكريم هو الكتاب السماوى الذى أنزله سبحانه على رسوله ليكون للعالمين نذيراً، وبما أنّ القرآن كتاب هداية للناس، فقد نال من الكرامة بمكان حلف به سبحانه فتارة بلفظ «القرآن »وأُخرى بلفظ «الكتاب».

فقد حلف بالقرآن فى ثلاث آيات:

(يس * وَالقُرآنِ الحَكيم * إِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ * على صراطٍ مُسْتَقيم) . (۱)

(ص وَالقُرآنِ ذى الـذِّكْر * بَلِ الَّذيـنَ كَفَرُوا فى عِزَّة وَشِقاق * كَمْ أَهْلَكْنـا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنـادَوا وَلاتَ حينَمَناص * وَعَجِبُوا أَنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ وَقالَالكافِرُونَ هذا ساحِرٌ كَذّاب * أَجَعلَ الآلِهَةَ إِلهاً واحِداً إِنّ هذا لشىءٌ عُجاب).(۲)

(ق وَالقُرآنِ المَجيد * بَلْ عَجِبُوا أنْ جاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ فَقالَ الكافِرُونَ هذا شَىءٌ عَجيب) . (۳)

---

۱ ـ يس ۱ـ۴.

۲ ـ ص:۱ـ۵.

۳ ـ ق:۱ـ۲.

(۵۸)

كما حلف سبحانه بلفظ الكتاب مرّتين،وقال:

(حم * وَالكِتاب الْمُبين *إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرينَ * فِيها يُفرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكيم *أَمراً مِنْ عِنْدِنا إِنّا كُنّا مُرسِلين). (۱)

(حم * وَالْكِتابِ الْمُبينِ * إِنّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرَبِيّاً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ *وَإِنَّهُ فى أُمِّ الكِتابِ لَدَيْنا لَعَلِيٌّ حَكيمٌ) . (۲)

وقبل الخوض فى تفسير الآيات نذكر أُموراً:

الاَوّل: انّه سبحانه صدّر هـذه الاَقسام بالحروف المقطعـة كما هو واضـح، وهـذا يوَيـد أنّ كلمة يس من الحروف المقطعة، والحروف المقطعة عبارة عن الحروف التى صدّر بها قسم من السور يجمعها قولنا:«صراط على حق نمسكه» وعند التحليل يرجع إلى:

ا، ح، ر، س، ص، ط ، ع ، ق، ك ، ل، م ، ن ،هـ ، ى.

والعجب أنّهذه الحروف هى نصف الحروف الهجائية.

الثانى: ما هو المراد من الحروف المقطعة؟

افتتح القرآن الکریم قسماً من السور بحروف مقطعة أعنی السور التالیة:

۱. البقرة، ۲. آل عمران، ۳. الاَعراف، ۴. یونس، ۵. هود، ۶. یوسف، ۷. الرعد، ۸. إبراهیم، ۹. الحجر، ۱۰. مریم، ۱۱. طه، ۱۲. الشعراء، ۱۳. النمل، ۱۴.

---

۱ ـ الدخان:۱ـ۵.

۲ ـ الزخرف:۱ـ۴.

(۵۹)

القصص، ۱۵. العنکبوت، ۱۶. الروم، ۱۷.لقمان، ۱۸. السجدة، ۱۹. یس، ۲۰. ص، ۲۱. غافر، ۲۲. فصلت، ۲۳. الشوری، ۲۴. الزخرف، ۲۵. الدخان، ۲۶. الجاثیة، ۲۷. الاَحقاف، ۲۸. ق، ۲۹. القلم.

فهذه السور التی یبلغ عددها ۲۹ سورة افتتحت بالحروف المقطعة.

وقد تطرق المفسرون إلی بیان ما هو المقصود من هذه الحروف. وذکروا وجوهاً کثیرة نقلها فخرالدین الرازی فی تفسیره الکبیر تربو علی عشرین وجهاً. (۱)

وها نحن نقدم المختار ثمّ نلمح إلی بعض الوجوه. إلماع إلی مادة القرآن إنّالقرآن الکریم تحدّی المشرکین بفصاحته وبلاغته وعذوبة کلماته ورصانة تعبیره، وادعی أنّهذا الکتاب لیس من صنع البشر بل من صنع قدرة إلهیة فائقة لا تبلغ إلیها قدرة أیِّ إنسان ولو بلغ فی مضمار البلاغة والفصاحة ما بلغ.

ثمّ إنّه أخذ یورد فی أوائل السور قسماً من الحروف الهجائیة للاِلماع إلی أنّ هذا الکتاب موَلف من هذه الحروف، وهذه الحروف هی التی تلهجون بها صباحاً ومساءً فلو کنتم تزعمون أنّه من صُنْعی فاصنعوا مثله، لاَنّ المواد التی ترکب منها القرآن کلّها تحت أیدیکم واستعینوا بفصحائکم وبلغائکم، فإن عجزتم، فاعلموا أنّه کتاب منزل من قبل اللّه سبحانه علی عبد من عباده بشیراً ونذیراً.

وهذا الوجه هو المروی عن أئمّة أهل البیت (علیهم السلام) ، وهو خیرة جمع من المحقّقین، وإلیک ما ورد عن أئمّة أهل البیت (علیهم السلام) فی هذا المقام:

أ: روی الصدوق بسنده عن الاِمام العسکری (علیه السلام) ، انّه قال: «کذبت

---

۱ ـ تفسیر الفخر الرازی:۲|۵ـ ۸.

(۶۰)

قریش والیهود بالقرآن، وقالوا: هذا سحر مبین، تقوّله، فقال اللّه: (الم * ذلِکَ الکتاب) أی یا محمّد هذا الکتاب الذی أنزلته إلیک هو الحروف المقطعة التی منها (الم) وهو بلغتکم وحروف هجائکم، فأتوا بمثله إن کنتم صادقین، واستعینوا بذلک بسائر شهدائکم، ثمّ بیّن أنّهم لا یقدرون علیه بقوله: (لَئِن اجْتَمَعتِ الاِنْس وَالجِنّ عَلی أَنْیَأْتُوا بِمِثْلِ هذا القُرآن لا یَأْتُونَ بِمِثْلِه وَلَو کانَبَعضهُمْ لِبَعْضٍ ظَهیراً) (۱)» . (۲)

وبه قال أبو مسلم محمد بن بحر الاصفهانی(۲۵۴ـ ۳۲۲هـ) من کبار المفسرین، حیث قال: إنّ الذی عندنا أنّه لما کانت حروف المعجم أصل کلام العرب وتحدَّاهم بالقرآن وبسورة من مثله، أراد أنّ هذا القرآن من جنس هذه الحروف المقطعة تعرفونها وتقدرون علی أمثالها، فکان عجزکم عن الاِتیان بمثل القرآن وسورة من مثله دلیلاً علی أنّالمنع والتعجیز لکم من اللّه علی أمثالها، وانّه حجّة رسول اللّه (صلی الله علیه وآله وسلم) ، قال: وممّا یدل علی تأویله أنّ کلّسورة افتتحت بالحروف التی أنتم تعرفونها، بعدها إشارة إلی القرآن، یعنی أنّه موَلف من هذه الحروف التی أنتم تعرفونها وتقدرون علیها، ثمّسأل نفسه، وقال: إن قیل لو کان المراد هذا لکان قد اقتصر اللّه

تعالى على ذكر الحروف فى سورة واحدة؟ فقال: عادة العرب التكرار عند إيثار إفهام الذى يخاطبونه. (۳)
واختاره الزمخشرى(۴۶۷ـ ۵۳۸هـ) فى تفسيره، وقال: واعلم أنّك إذا تأملت ما أورده اللّه عزّسلطانه فى الفواتح من هذه الاَسماء وجدتها نصف أسامى حروف المعجم: ۱۴ سواه، وهى: الاَلف واللام والميم والصاد والراء والكاف

---

۱ ـ الاَسراء:۸۸.
۲ ـ تفسير البرهان:۱|۵۴، تفسير الآية الثالثة من سورة البقرة برقم ۹.
۳ ـ تاريخ القرآن للزنجانى: ۱۰۶.

(۶۱)

والهاء والياء والعين والطاء والسين والحاء والقاف والنون، فى تسع وعشرين سورة على عدد حروف المعجم.
ثمّ إذا نظرت فى هذه الاَربعة عشر وجدتها مشتملة على أنصاف أجناس الحروف، بيان ذلك أنّ فيها من المهموسة نصفها: الصاد والكاف والهاء والسين والحاء.
ومن المهجورة نصفها: الاَلف واللام والميم والراء والعين والطاء والقاف والياء والنون.
ومن الشديدة نصفها: الاَلف والكاف والطاء والقاف.
ومن الرخوة نصفها: اللام والراء والصاد والهاء والعين والسين والحاء والياء والنون.
ومن المطبقة نصفها: الصاد والطاء.
ومن المنفتحة نصفها: الاَلف واللام والميم والراء والكاف والهاء والعين والسين والحاء والقاف والياء والنون.
ومن المستعلية نصفها: القاف والصاد والطاء.
ومن المنخفضة نصفها: الاَلف واللام والميم والراء والكاف والهاء و الياء والعين والسين والحاء والنون.
ومن حروف القلقلة نصفها: القاف والطاء.
ثمّ إذا استقريت الكلم وتراكيبها رأيت الحروف التى ألغى اللّه ذكرها من هذه الاَجناس المعدودة مكثورة بالمذكورة منها، فسبحان الذى دقت فى كلّ شيء حكمته وقد علمت أنّ معظم الشيء وجلّه ينزل منزلة كله وهو المطابق للطائف

(۶۲)

التنزيل.
فكأنّ اللّه عزّاسمه عدّد على العرب الاَلفاظ التى منها تراكيب كلامهم إشارة إلى ما ذكرت من التبكيت لهم وإلزام الحجة إيّاهم. (۱)
ومن المتأخرين من بيّن هذا الوجه ببيان رائع ألا وهو المحقّق السيد هبة الدين الشهرستانى (۱۳۰۱ـ ۱۳۸۶هـ) قال ما هذا نصّه:
إنّ القرآن مجموعة جمل ليست سوى صبابة أحرف عربية من جنس كلمات العرب ومن يسير اعمال البشر وقد فاقت مع ذلك عبقرية، وكلما كان العمل البشرى أيسر صدوراً وأكثر وجوداً، قلّ النبوغ فيه وصعب افتراض الاِعجاز والاِعجاب منه، فإذا الجمل القرآنية ليست سوى الحروف المتداولة بين البشر، فهى عبارة عن «الم»و «حمعسق» فلماذا صار تأليف جملة أو جمل منه مستحيل الصدور؟ هذا ونجد القرآن يكرر تحدى العرب وغير العرب بإتيان شيء من مقولة هذا السهل الممتنع كالطاهى يفاخر المتطاهى بأنّه يصنع الحلوى اللذيذة من أشياء مبذولة لدى الجميع كالسمن واللوز ودقيق الرز، بينما المتطاهى لا يتمكن من ذلك مع استحضاره الاَدوات، وكذلك الكيمياوى الماهر يستحضر المطلوب المستجمع لصفات الكمال، وغيره يعجز عنه مع حضور جميع الاَدوات والاَجزاء، وكذلك القرآن يقرع ويسمع قومه بأنّ أجزاء هذا المستحضر القرآنى موفورة لديكم من ح وم ول و رو ط و ه و أنتم مع ذلك عاجزون. (۲)

ویوَیـد هذا الرأی أنّ أکثر السور التی صدرت بالحروف المقطعة جاء بعدها ذکر القرآن الکریم بتعابیر مختلفة، ولم یشذَّ عنها إلاّ سور أربع، هی: مریم

---

۱ ـ الکشاف:۱|۱۷، ط دار المعرفة.

۲ ـ المعجزة الخالدة:۱۱۵ـ ۱۱۶.

والعنکبوت والروم والقلم، ففی غیر هذه السور أردف الحروف المقطعة بذکر الکتاب والقرآن، وإلیک نماذج من الآیات:

(الم * ذلِکَ الکِتابُ لا رَیْبَ فیهِ هُدیً لِلْمُتَّقین) . (۱)

(الم...نَزَّلَ عَلَیْکَ الکِتابَبِالْحَقّ مُصدِّقاً لِما بَیْنَ یَدَیْهِ وَأَنْزَلَ التَّوراةَ وَالاِنْجیل) . (۲)

(المص * کِتابٌ أُنزلَ إِلَیْکَ فَلا یَکُنْ فی صَدْرِکَ حَرَجٌ مِنْهُ) . (۳)

(الر تِلْکَ آیاتُ الکِتابِ الحَکیم) . (۴)

إلی غیر ذلک من السور ما عدا الاَربع التی أشرنا إلیها.

ثمّإنّهـذا الوجه هو الوجه العاشـر فی کلاـم الرازی ونسـبه إلی المبرد، وإلی جمع عظیم من المحقّقین وقـال:إنّـاللّه إنّما ذکرها احتجاجاً علی الکفار، وذلک أنّ الرسول (صلی الله علیه وآله وسلم) لما تحدّاهم أن یأتوا بمثل القرآن، أو بعشر سور، أو بسورة واحدة، فعجزوا عنه، أنزلت هـذه الحروف تنبیهاً علی أنّالقرآن لیس إلاّ من هـذه الحروف وأنتم قادرون علیها، وعارفون بقوانین الفصاحة، فکان یجب أن تأتوا بمثل هذا القرآن، فلما عجزتم عنه دلّذلک علی أنّه من عند اللّه لا من عند البشر. (۵)

هذا هو الرأی المختار وقد عرفت برهانه.

وثمة رأی آخر أقل صحة من الاَوّل، وحاصله: انّ کلّ واحد منها دال علی

---

۱ ـ البقرة: ۱ـ۲.

۲ ـ آل عمران:۱ـ۳.

۳ ـ الاَعراف: ۱ـ۲.

۴ ـ یونس:۱.

۵ ـ تفسیر الفخر الرازی:۲|۶.

اسم من أسماء اللّه تعالی وصفة من صفاته.

قال ابن عباس فی (الم): الاَلف إشارة إلی أنّه تعالی أحـد، أوّل، آخر، أزلی، أبـدی، واللام إشارة إلی أنّه لطیف، والمیم إشارة إلی انّه ملک ، مجید، منّان.

وقـال فی (کهیعص): إنّه ثنـاء من اللّه تعالی علی نفسه، والکاف یـدل علی کونه کافیاً، والهاء یـدل علی کونه هادیاً، والعین یـدل علی العالم، والصاد یدل علی الصادق.

وذکر ابن جریر عن ابن عباس انّه حمل الکاف علی الکبیر والکریم، والیاء علی أنّه یجیر، والعین علی العزیز و العدل. (۱)

ونقل الزنجانی فی تأیید ذلک الوجه ما یلی:

وفی الحدیث: «شـعارکم حم لا ینصـرون»، قال الاَزهری: سئل أبو العباس، عن قوله (صلی الله علیه وآله وسلم): حم لا ینصرون. فقال:

معناه واللّه لا ینصرون.

وفی لسان العرب فی حدیث الجهاد: «إذا بُیّتم فقولوا حامیم لا ینصرون» قال ابن الاَثیر: معناه اللهم لا ینصرون. (۲)

إذا عرفت هذه الاُمور، فلنرجع إلی تفسیر الآیات التی حلف فیها سبحانه بالقرآن والکتاب، وإلیک البیان:

۱. (یس * والْقُرآن الحَکیم * إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرسَلین) فالمقسم به هو القرآن، والمقسم علیه قوله: (إِنَّکَ لَمِنَ الْمُرسَلین)، والصلة بین القرآن وبین کونه من المرسلین واضحة، لاَنّ القرآن أداة تبلیغه ورسالته ومعجزته الخالدة.

۱ ـ تفسیر الفخر الرازی:۲|۶.

۲ ـ تاریخ القرآن:۱۰۵.

(۶۵)

وأمّا وصف القرآن بالحکیم، فلاَنّه مستقرٌ فیه الحکمة، وهی حقائق المعارف وما یتفرع علیها من الشرائع والعبر و المواعظ. (۱)

۲.(ص * والقُرآن ذی الذِّکر *بَلِالَّذینَکَفَرُوا فی عِزَّة وَشقاق * کَمْ أَهْلَکْنا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ فَنادَوا وَلاتَ حینَ مَناص) .

وصف القرآن بکونه (ذی الذکر) کما وصفه فی الآیة السابقة بکونه (حکیماً) ووصفه تارة ثالثة بـ(المجید)، والمراد بالذکر هو ذکر ما جُبل علیه الاِنسان من التوحید والمعاد.

قال الطبرسی: فیه ذکر اللّه وتوحیده وأسماوَه الحسنی وصفاته العلی، وذکر الاَنبیاء، وأخبار الاُمم، وذکر البعث والنشور، وذکر الاَحکام وما یحتاج إلیه المکلّف من الاَحکام ویوَیده قوله: (ما فَرَّطنا فی الکتاب من شیء) . (۲)

قال الطباطبائی فی تفسیره: المراد بالذکر ذکر اللّه تعالی وتوحیده وما یتفرّع علیه من المعارف الحقّة من المعاد والنبوة وغیرهما.

ویوَید ذلک إضافة الذکر فی غیر واحد من الآیات إلی لفظ الجلالة، قال سبحانه: (أَلَمْ یَأْنِ لِلَّذِینَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِکْرِ اللّه) (۳) وقال: (استَحْوَذَ عَلَیهِمُ الشَّیْطانُ فَأَنْساهُمْ ذِکرَ اللّه) (۴) إلی غیر ذلک.

وأمّا المقسم علیه: فمحذوف معلوم من القرینة، هو أنّک لمن المنذرین، ویدل علی ذلک التندید بالذین کفروا وانّهم فی عزّة وشقاق، أی فی تکبّر عن

---

۱ ـ تفسیر المیزان:۱۷|۶۲.

۲ ـ مجمع البیان:۸|۴۶۵.

۳ ـ الحدید:۱۶.

۴ ـ المجادلة:۱۹.

(۶۶)

قبول الحق وحمیة جاهلیة، وشقاق أی عداوة وعصیان ومخالفة، لاَنّهم یأنفون عن متابعة النبیویصرّون علی مخالفته، ثمّخوّفهم اللّه سبحانه، فقال: کم أهلکنا من قبلهم من قرن بتکذیبهم الرسل فنادوا عند وقوع الهلاک بهم بالاستغاثة ولات حین مناص.

والصلة بین المقسم به (القُرآن ذی الذِّکر) والمقسم علیه المقدّر «إِنَّکَ لَمِنَ الْمُنْذَرین» واضحة، لاَنّ القرآن من أسباب انذاره وأدوات تحذیره.

۳.(ق والقُرآنِ المَجید * بَلْ عَجبوا انْ جاءَهم مُنْذِر مِنْهُمْفَقالَ الکافِرونَهذا شَیءٌ عَجیب) . (۱)

المقسم به هوالقرآن ووصفه بالمجید، قال الراغب: المجد السعة فی المقام والجلال، وقد وصف به القرآن الکریم، فلاَجل کثرة ما یتضمن من المکارم الدنیویة والاُخرویة، فالمجید مبالغة فی المجد.

وقال الطبرسی: المجید أی الکریم علی اللّه، العظیم فی نفسه، الکثیر الخیر والنفع. (۲)

والمقسم عليه: محذوف تدل عليه الجمل التالية، والتقدير: والقرآن المجيد انّك لمن المنذرين، أو أنّالبعث حق والإِنذار حق.

وقد ركزت السورة على الدعوة إلى المعاد و وبّخت المشركين باستعجالهم على إنكاره ونقد زعمهم.

والصلة بين المقسم به وجواب القسم واضحة، سواء أقلنا بأنّ المقسم عليه إِنّك مِنَ المنذرين أو انّالبعث والنشر حقّ، أمّا على الاَوّل فلاَنّ القرآن أحد أدوات

---

١ ـ ق:١ـ٢.

٢ ـ مجمع البيان:٩|١۴١.

الإِنذار ، وأمّا على الثانى فلاَنَّ القرآن يتضمن شيئاً كثيراً عن الدعوة إلى المعاد.

ثمّ إنّ القرآن فى الاَصل مصدر نحو رجحان، قال سبحانه: (إِنَّ عَلَيْنا جَمْعَهُ وَقُرآنهُ * فَإِذا قَرَأْناهُ فاتَّبع قُرآنه) (١) قال ابن عباس: إذا جمعناه وأثبتناه فى صدرك فاعمل به.

وقد خص بالكتاب المنزل على نبينا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم) فصار له كالعلم،كما أنّ التوراة لما أُنزل على موسى (عليه السلام) ، و الإِنجيل لما أُنزل على عيسى (عليه السلام) ، قال بعض العلماء: تسمية هذا الكتاب قرآناً من بين كتب اللّه لكونه جامعاً لثمرة كتبه، بل لجمعه ثمرة جميع العلوم، كما أشار تعالى إليه بقوله: (وَتَفصيلاً لكلِّ شىء) (٢)

وعلى هذا فالقرآن من قرأ بمعنى جمع، ولكن يحتمل أن يكون بمعنى القراءة، كما فى قوله سبحانه:(وَقُرآنَ الفَجْر) (٣) أى قراءته.

الحلف بالكتاب

حلف سبحانه بالكتاب مرتين، وقال:

١.(حم * والكتابِ المُبِين *إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَةٍ مُبارَكةٍ إِنّا كُنّا مُنْذِرين) . (۴)

٢.(حم * وَالكتابِ المُبِين * إِنّا جَعَلْناهُ قُرآناً عَرَبياً لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون) . (۵________________)

١ ـ القيامة:١٧ـ١٨.

٢ ـ الاَنعام:١۵۴.

٣ ـ الإِسراء:٧٨.

۴ ـ الدخان:١ـ٣.

۵ ـ الزخرف:١ـ٣.

فالمقسم به هو الكتاب، والمقسم عليه فى الآية الاُولى قوله: (إِنّا أَنْزَلْناهُ فى لَيْلَة مُباركة)، والصلة بينهما واضحة، حيث يحلف بالكتاب على أنّه منزل من جانبه سبحانه فى ليلة مباركة.

كما أنّالمقسم به فى الآية الثانية هو ا لكتاب المبين، والمقسم عليه هو الحلف على أنّه سبحانه جعله قرآناً عربياً للتعقل، والصلة بينهما واضحة.

ووصف الكتاب بالمبين دون غيره، لاَنّ الغاية من نزول الكتاب هو إنذارهم وتعقّلهم كما جاء فى الآيتين، حيث قال: (إِنّا كُنّا مُنذرين) وقال: (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُون) ، وهذا النوع من الغاية أى الإِنذار والتعقل يطلب لنفسه أن يكون الكتاب واضحاً مفهوماً لا مجهولاً ومعقداً.

والكتاب فى الاَصل مصدر، ثمّ سمّى المكتوب فيه كتاباً.

إلى هنا تمّ الحلف بالقرآن والكتاب.

بقى هنا الكلام فى عظمة المقسم به ويكفى فى ذلك أنّه فعله سبحانه حيث أنزله لهداية الناس وإنقاذهم من الضلالة.

وقد تكلّم غير واحد من المفكرين الغربيين حول عظمة القرآن، والأحرى بنا أن نرجع إلى نفس القرآن ونستنطقه حتى يبدى رأيه فى حق نفسه.

أ: القرآن نور ينير الطريق لطلاب السعادة: قال سبحانه: (قَدْ جاءَكُمْ مِنَ اللّهِ نُورٌ وَكِتابٌ مُبِين) . (۱)

ب: انّه هدى للمتّقين: قال سبحانه: (هُدىً لِلْمُتَّقين) . (۲_______________)

۱ ـ المائدة:۱۵.

۲ ـ البقرة:۲.

(۶۹)

فهو وإن كان هدى لعامة الناس، إلاّ أنّه لا يستفيد منه إلاّ المتقون، ولذلك خصّهم بالذكر.

ج: هو الهادى إلى الشريعة الأقوم: قال سبحانه: (إِنَّ هذا القُرآنَ يَهدِى لِلَّتى هِى أَقْوم) . (۱)

د: الغاية من إنزاله قيام الناس بالقسط: قال سبحانه: (وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتابَ وَالْمِيزانَ لِيَقُومَ النّاسُ بِالقِسْطِ) . (۲)

هـ: لا يتطرق إليه الاختلاف فى فصاحته وبلاغته ولا فى مضامينه ولا محتواه: قال سبحانه: (وَلَوْ كانَمِنْ عِنْدِ غَيرِ اللّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اختلافاً كَثِيراً) . (۳)

و: يحث الناس إلى التدبر والتفكّر فيه (كِتابٌ أَنْزَلْناهُ إِلَيْكَ مُبارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آياتِهِ) . (۴)

ز: تبيان لكلّشىء: (وَنَزلْنا عَلَيْكَ الكِتابَ تِبْياناً لِكُلِّ شَىء) . (۵)

ح: نذير للعالمين: (تَبارَكَ الَّذى نَزَّل الفُرْقانَ عَلى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعالَمِينَ نَذِيراً) . (۶)

ط: فيه أحسن القصص: (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ القَصَص) . (۷_______________)

۱ ـ الإسراء:۹.

۲ ـ الحديد:۲۵.

۳ ـ النساء:۸۲.

۴ ـ ص:۲۹.

۵ ـ النحل:۸۹.

۶ ـ الفرقان:۱.

۷ ـ يوسف:۳.

(۷۰)

ى:ضُرب فيه للناس من كلّ مثل: (وَلَقَدْ صَرَّفْنا فى هذا الْقُرآنِ لِلنّاسِ من كُلِّ مَثَل) . (۱)

هذه نماذج من الآيات التى تصف القرآن ببعض الأوصاف.

وللنبى والأئمة المعصومين كلمات قيّمة حول التعريف بالقرآن ننقل شذرات منها:

قام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) خطيباً، فقال: «أيّها الناس انّكم فى دار هدنة وأنتم على ظهر سفر، والسير بكم سريع، وقد رأيتم الليل والنهار والشمس والقمر يبليان، كلّ جديد، ويقرّبان كلّ بعيد، ويأتيان بكلّموعود، فأعدوا الجهاز لبعد المجاز».

فقام المقداد بن الأسود، وقال: يا رسول اللّه و ما دار الهدنة؟ قال:« دار بلاغ وانقطاع.

فإذا التبست عليكم الفتن كقطع اللّيل المظلم فعليكم بالقرآن، فإنّه شافع مشفّع وماحل مصدَّق، ومن جعله أمامه قاده إلى الجنة، ومن جعله خلفه، ساقه إلى النار، وهو الدليل يدل على خير سبيل، وهو كتاب فيه تفصيل وبيان وتحصيل، وهو الفصل ليس بالهزل، وله ظهر

وبطن، فظاهره حكم وباطنه علم، ظاهره أنيق، وباطنه عميق، له نجوم وعلى نجومه نجوم، لا تحصى عجائبه ولا تبلى غرائبه، فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف الصفة، فليجل جال بصره، وليبلغ الصفة نظره، ينج من عطب، ويتخلص من نشب، فإنّ التفكّر حياة قلب البصير، كما يمشي المستنير في الظلمات بالنور، فعليكم بحسن التخلص وقلة التربص». (۲)

---

۱ ـ الكهف:۵۴.

۲ ـ الكافي: ۲|۵۹۹، كتاب فضل القرآن.

(۷۱)

وقال الإمام علي أمير المؤمنين (عليه السلام) في وصف القرآن:

«ثمّ أنزل عليه الكتاب نوراً لا تطفأ مصابيحه، وسراجاً لا يخبو توقّده،وبحراً لا يدرك قعره، فهو ينابيع العلم وبحوره، وبحر لا ينزفه المستنزفون، وعيون لا ينضبها الماتحون، ومناهل لا يغيضها الواردون». (۱)

إلى غير ذلك من الخطب والكلم حول التعريف بالقرآن الواردة عن أئمّة أهل البيت (عليهم السلام) .

---

۱ ـ نهج البلاغة، الخطبة ۱۹۸.

الفصل الخامس

الفصل الخامس القسم بالعصر

حلف سبحانه بالعصر مرّة واحدة دون أن يقرنه بمقسم به آخر، وقال: (وَالعَصْر * إِنّ الإِنْسانَلَفي خُسْر). (۱) تفسير الآيات:

العصر يطلق ويراد منه تارة الدهر، وجمعه عصور.

وأُخرى العشيّ مقابل الغداة، يقال: العصران: الغداة والعشي، والعصران الليل والنهار، كالقمرين للشمس و القمر.

وثالثة بمعنى الضغط فيكون مصدر عصرت. والمعصور الشيء العصر، والعُصارة نفاية ما يُعصر، قال سبحانه: (أَراني أَعْصِرُخَمراً) (۲)، وقال: (وفيهِ يَعْصِرُون) (۳) ،وقال: (وَأَنْزَلْنا مِنَ الْمُعْصِراتِ ماءً ثَجّاجاً) (۴) أي السُّحُب التي تعتصر بالمطر.

ورابعة بمعنى ما يثير الغبار، قال سبحانه: (فَأَصابَها إِعصار) (۵) (۶)

والمراد من الآية أحد المعنيين الاَوّليين________________.

۱ ـ العصر:۱ـ۲.

۲ ـ يوسف:۳۶.

۳ ـ يوسف:۴۹.

۴ ـ النبأ:۱۴.

۵ ـ البقرة:۲۶۶.

۶ ـ مفردات القرآن،مادة عصر و مجمع البيان:۵|۵۳۵.

(۷۳)

الاَوّل: الدهر والزمان.

الثاني: العصر مقابل الغداة.

ولا يناسب المعنى الثالث، أعني: الضغط، ولا الرابع كما هو واضح.

وإليك بيان المعنيين الاَوّلين.

۱. العصـر: الـدهر، وإنّمـا حلف به لاَنّ فيه عبرة لـذوى الاَبصـار من جهـة مرور الليـل والنهـار، وقـد نسب ذلك ا لقول إلى ابن عباس والكلبى والجبائى.

قال الزمخشرى: وأقسم بالزمان لما فى مروره من أصناف العجائب. (۱)

ولعلّ المراد من الدهر والزمان اللّذين يفسـرون بهما العصر هو تاريخ البشرية، وذلك لاَنّه سبحانه جعل المقسم عليه كون الاِنسان لفى خسر إلاّ طائفة خاصة، ومن المعلوم أنّ خسران الاِنسان انّه هو من تصرم عمره ومضى حياته من دون أن ينتفع بأغلى رأس مال وقع فى يده، وقد نقل الرازى هنا حكاية طريفة نأتى بنصها:

قال: وعن بعض السلف، تعلمت معنى السورة من بائع الثلج كان يصيح، ويقول: ارحموا من يذوب رأس ماله، ارحموا من يذوب رأس ماله، فقلت: هذا معنى أنّ الاِنسان لفى خسر يمرّ به العصر فيمضى عمره ولا يكتسب فإذا هو خاسر. (۲)

۲.العصـر: أحد طرفى النهار، وأقسم بالعصـر كما أقسم بالضـحى، وقال: (والضـحى *واللَّيل إذا سَـجى) (۳) كما أقسم بالصـبح، وقال: (والصُّبح إِذا أَسفَر)(۱)،

---

۱ ـ الكشاف:۳|۳۵۷.

۲ ـ تفسير الفخر الرازى:۳۲|۸۵.

۳ ـ الضحى:۱ـ۲.

(۷۴)

وإنّما أقسم بالعصـر لاَهميته، إذ هو فى وقت من النهار يحدث فيه تغيير فى نظام المعيشة وحياة البشـر، فالاَعمال اليومية تنتهى، والطيور تعود إلى أوكارها، وتبدأ الشمس بالميل نحو الغروب، ويستولى الظلام على السماء، ويخلد الاِنسان إلى الراحة.

وهناك قولان آخران:

أ: المراد عصـر الرسول، ذلـك لمـا تضـمنته الآيتـان التاليتـان من شـمول الخسـران للعالم الاِنسانى، إلاّ لمن اتبع الحقّ وصبر عليه، وهم المؤمنون الصالحون عملاً، وهذا يؤكد على أن يكون المراد من العصـر عصـر النبى «صـلى الله عليه وآله وسـلم»، وهو عصر بزوغ نجم الاِسلام فى المجتمع البشرى وظهور الحقّ على الباطل.

ب:المراد به وقت العصـر، وهو المروى عن مقاتل، وإنّما أقسم بها، لفضـلها بدليل، قوله:(حافِظُوا عَلى الصَّلواتِ وَالصَّلاةِ الوُسْطى) (۲) كما قيل أنّالمراد من قوله تعالى: (تَحْبِسُونَهُما مِنْ بَعْدِ الصَّلاةِ فَيُقْسِمانِ بِاللّهِ) (۳) هو صلاة العصر.

أضف إلى ذلك انّ صلاة العصر يحصل بها ختم طاعات النهار، فهى كالتوبة يختم بها الاَعمال.

ولا يخفى انّ القول الاَخير فى غاية الضـعف، إذ لا صـلة بين القسم بصـلاة العصر والمقسم عليه، أعنى (الاِنْسان لفى خُسر) على أنّه لو كان المقسم به هو صلاة العصر، لماذا اكتفى بالمضاف إليه، وحذف المضاف مع عدم توفر قرينة عليه، ومنه يظهر حال الوجه المتقدّم عليه.

---

۱ ـ المدثر:۳۴.

۲ ـ البقرة:۲۳۸.

۳ ـ المائدة:۱۰۶.

(۷۵)

والظاهر أنّ الوجه الاَوّل هو الاَقوى، حيث إنّ الحلف بالزمان وتاريخ البشـرية يتناسب مع الجواب، أى خسـران الاِنسان فى الحياة، كما

سيوافيك بيانه.

وأمّا المقسم عليه، فهو قوله سبحانه : (إِنَّ الإِنْسانَ لَفِى خُسْرٍ) والمراد من الخسران هو مضى أثمن شيء لديه وهو عمره، فالإِنسان فى كلّ لحظة يفقد رأس ماله بنحو لا يُعوَّض بشيء أبداً، وهذه هى سنة الحياة الدنيوية حيث ينصرم عمره ووجوده بالتدريج، كما تنصرم طاقاته إلى أن يهرم ويموت، فأى خسران أعظم من ذلك.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فأوضح من أن يخفى، لاَنّ حقيقة الزمان حقيقة متصرّمة غير قارة، فهى تنقضى شيئاً فشيئاً، وهكذا الحال فى عمر الإِنسان فيخسر وينقص رأس ماله بالتدريج.

ثمّ إنّه سبحانه استثنى من الخسران من آمن وعمل صالحاً وتواصى بالحق وتواصى بالصبر.

ووجه الاستثناء واضح. لاَنّه بدّل رأس ماله بشيء أغلى وأثمن، يستطيع أن يقوم مقام عمره المنقضى فهو بإيمانه وعمله الصالح اشترى حياة دائمة، حافلة برضوانه سبحانه، ونعمه المادية والمعنوية.

يقول سبحانه: (إِنَّ اللّهَ اشْتَرى مِنَ الْمُؤْمِنينَ أَنْفُسَهُمْ وَ أَمْوالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الجَنَّةَ يُقاتِلُونَ فى سَبيلِ اللّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتلونَ وَعْداً عَلَيْهِ حَقّاً فِى التَّوراةِ وَالإِنْجيلِ وَالقُرآنِ وَمَنْ أَوفى بِعَهْدِهِ مِنَ اللّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذى بايَعْتُمْ بِهِ وَذلِكَ هُوَ الْفَوزُ الْعَظيم) . (۱)

---

۱ ـ التوبة:۱۱۱.

الفصل السادس

الفصل السادس القسم بالنجم

وردت كلمة النجم فى القرآن الكريم أربع مرّات فى أربع سور، (۱) وحلف به مرة واحدة، وقال: (وَالنَّجمِ إِذا هَوى * ما ضَلَّ صاحِبُكُمْ وَما غَوى * وَما يَنْطِقُ عَنِ الْهوى * إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْيٌ يُوحى) (۲) هى من السور المكية. تفسير الآيات

النجم فى اللغة: الكوكب الطالع، وجمعه نجوم، فالنجوم مرّة اسم كالقلوب والجيوب، ومرّة مصدر كالطلوع والغروب.

وأمّا «هوى» فى قوله: (إِذا هَوى) فيطلق تارة على ميل النفس إلى الشهوة، وأُخرى على السقوط من علو إلى سفل.

ولكن تفسيره بسقوط النجم وغروبه، لا يساعده اللفظ، وإنّما المراد هو ميله، وسيوافيك وجه الحلف بالنجم إذا هوى أى إذا مالَ.

ثمّ إنّ المراد من النجم أحد الاَمرين:

أ: أمّا مطلق النجم، فيشمل كافة النجوم التى هى من آيات عظمة اللّه سبحانه ولها أسرار ورموز يعجز الذهن البشرى عن الإِحاطة بها.

---

۱ ـ وهى :النحل:۱۶، النجم:۱، الرحمن:۶، الطارق:۳.

۲ ـ النجم:۱ـ۴.

ب: المراد هو نجم الشعرى الذى جاء فى نفس السورة، قال سبحانه: (وَانَّهُ هُوَ رَبُّ الشِّعرى) . (۱)

ونظيره القول بأنّالمراد هو الثريا، وهى مجموعة من سبعة نجوم، ستة منها واضحة وواحد خافت النور، وبه يختبر قوة البصر.

وربما فسر بالقرآن الذى نزل على قلب رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» طيلة ۲۳ سنة لنزوله نجوماً. (۲) لكن لفظ الآية لا يساعد على هذا المعنى.

فاللّه سبحانه إمّا أن يحلف بعامة النجوم أو بنجم خاص يهتدى به السائر، ويدل على ذلك أنّه قيد القسم بوقت هويه، ولعل الوجه هو

أنّالنجم إذا كـان فى وسط السـماء يكون بعيـداً عن الاَرض لا يهتـدى به السارى، لاَنّه لا يعلم به المشـرق من المغرب ولا الجنوب من الشمال، فإذا زال، تبيّن بزواله جانب المغرب من المشرق. (۳)

وأمّا المقسم عليه: فهو قوله سبحانه: (ما ضَلَّ صاحِبكُمْ وَما غوى *وما ينطق عن الهَوى *إِنْ هُوَ إِلاّوَحىٌ يُوحى) .

جمع سبحانه هناك بين الضلال والغى فنفاهما عن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ، والقرآن يستعمل الضلالة فى مقابل الهدى، يقول سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذا اهْتَدَيْتُمْ) (۴)

كما يستعمل الغى فى مقابل الرشد، يقول سبحانه: (وَإِنْ يَرَوا سَبيلَ الرُّشْدِ

---

۱ ـ النجم:۴۹.

۲ ـ انظر الميزان:۱۹|۲۷؛ مجمع البيان:۵|۱۷۲.

۳ ـ تفسير الفخر الرازى:۲۸|۲۷۹.

۴ ـ المائدة:۱۰۵.

(۷۸)

لا يَتَّخذوهُ سَبِيلاً وَإِنْ يَرَوا سَبيلَ الغَيّ يَتَّخِذُوهُ سَبيلاً) . (۱)

والمهم بيان الفرق بين الضلالة والغواية، فنقول:

ذكر الرازى أنّ الضلال أن لا يجد السالك إلى مقصده طريقاً أصلاً، والغواية أن لا يكون له طريق مستقيم إلى المقصد، يدلّك على هذا انّك تقول للمؤمن الذى ليس على طريق السداد، انّه سفيه غير رشيد، ولا تقول إنّه ضال. والضال كالكافر والغاوى كالفاسق. (۲)

وإلى ذلك يرجع ما يقول الراغب: الغىّ جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أنّ الجهل قد يكون من كون الاِنسان غير معتقد اعتقاداً لا صالحاً ولا فاسداً، وقد يكون من اعتقاد شيء، وهذا النحو الثانى، يقال له: غىّ. (۳)

وعلى هذا فالآية بصدد بيان نفى الضلالة والغى عن النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» وردّ كلّ نوع من أنواع الانحراف والجهل والضلال والخطأ عنه «صلى الله عليه وآله وسلم» ليردّ به التهم الموجهة إليه من جانب أعدائه.

وأمّا بيان الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فواضح، لما ذكرنا من أنّ النجم عند الهوى والميل يهتدى به السارى كما أنّ النبييهتدى به الناس، أى بقوله وفعله وتقريره.

فكما أنّه لا خطأ فى هداية النجم لاَنّها هداية تكوينية، وهكذا لا خطأ فى هداية الوحى الموحى إليه، ولذلك قال:(إِنْ هُوَ إِلاّ وَحْىٌ يُوحى) .

---

۱ ـ الاَعراف:۱۴۶.

۲ ـ تفسير الفخر الرازى: ۲۸| ۲۸۰.

۳ ـ مفردات الراغب: ۳۶۹.

(۷۹)

الفصل السابع

الفصل السابع القسم بمواقع النجوم

حلف سبحانه وتعالى فى سورة الواقعة بمواقع النجوم، وقال:(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُوم *وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيم *إِنَّهُ لَقُرآنٌ كَرِيم * فِى كِتابٍمَكْنُون * لا يَمَسُّهُ إِلاّالمُطَهَّرُون). (۱) تفسير الآيات المراد من مواقع النجوم مساقطها حيث تغيب.

قال الراغب: الوقوع ثبوت الشيء وسقوطه، يقال: وقع الطائر وقوعاً، وعلى ذلك يراد منه مطالعها ومغاربها، يقال: مواقع الغيث أى مساقطه. (۲)

ويدل على أنّ المراد هو مطالع النجوم ومغاربها أنّ اللّه سبحانه يقسم بالنجوم وطلوعها وجريها وغروبها، إذ فيها وفى حالاتها الثلاث آية وعبرة ودلالة، كما فى قوله تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الجَوارِ الكُنَّس) (۳) وقال: (وَالنَّجْم إذا هَوى) وقال: (فَلا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشارِقِ وَالْمَغارِب) ويرجح هذا القول أيضاً، انّ النجوم حيث وقعت فى القرآن فالمراد منها الكواكب، كقوله تعالى: (وَإدْبار

---

۱ ـ الواقعة:۷۵ـ ۷۹.

۲ ـ مفردات الراغب:۵۳۰، مادة وقع.

۳ ـ التكوير:۱۵ـ ۱۶.

النُّجوم) (۱)صخ، وقوله: (وَالشَّمْسُ وَالْقَمرُ وَالنُّجُوم(۲)).

وأمّا المقسم عليه: فهو قوله سبحانه: (إنَّهُ لَقُرآنٌ كَريم * فى كِتابٍ مَكْنُون * لا يَمَسُّهُ إلاّ الْمُطَّهَرُون) وصف القرآن بصفات أربع:

أ: (لقرآن كريم)، والكريم هو البهى الكثير الخير، العظيم النفع، وهو من كلّشيء أحسنه وأفضله، فاللّه سبحانه كريم، وفعله أعنى القرآن مثله.

وقال الأزهرى: الكريم اسم جامع لما يحمد، فاللّه كريم يحمد فعاله، والقرآن كريم يحمد لما فيه من الهدى والبيان والعلم والحكمة.

ب: (فى كتاب مكنون) ولعل المراد منه هو اللوح المحفوظ، بشهادة قوله: (بَلْ هُوَ قُرآنٌ مَجيد * فى لَوحٍ مَحْفُوظ).(۳) ويحتمل أن يكون المراد الكتاب الذى بأيدى الملائكة، قال سبحانه: (فى صُحُفٍمُكَرَّمَة * مَرْفُوعَةٍ مُطَهَّرة * بِأَيدِى سَفَرَة * كِرامٍ بَرَرَة) . (۴)

ج: (لا يَمَسُّه إلاّالمُطهّرون) فلو رجع الضمير إلى قوله: (لقرآن كريم) ، كما هو المتبادر، لأنّالآيات بصدد وصفه وبيان منزلته فلا يمس المصحف إلاّ طاهر، فيكون الإخبار بمعنى الإنشاء، كما فى قوله سبحانه: (وَالمُطلَّقاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلاثَةَ قُرُوء) . (۵)

ولو قيل برجوع الضمير إلى (كتاب مكنون) فيكون المعنى لا يمس

---

۱ ـ الطور:۴۹.

۲ ـ الحج:۱۸.

۳ ـ البروج : ۲۱ ـ ۲۲ .

۴ ـ عبس: ۱۳ ـ ۱۶ .

۵ ـ البقرة:۲۲۸.

الكتاب المكنون إلاّالمطهرون، وربما يؤيد هذا الوجه بأنّ الآية سيقت تنزيهاً للقرآن من أن ينزل به الشياطين، وانّمحله لا يصل إليه، فلا يمسه إلاّالمطهرون، فيستحيل على أخابث خلق اللّه وأنجسهم أن يصلوا إليه أو يمسّوه، قال تعالى: (وَما تَنَزَّلَتْ بِهِ الشَّياطين * وَما يَنْبَغى لَهُمْ وَما يَسْتَطيعُون) . (۱)

د: (تَنْزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمين) وهذا هو الذى يركز عليه القرآن فى مواقف مختلفة، وانّه كتاب اللّه وليس من صنع البشر.

وأمّا الصلة بين القسم والمقسم به: فهو واضح، فلأنّ النجوم بمواقعها أى طلوعها وغروبها يهتدى بها البشر فى ظلمات البر والبحر، والقرآن الكريم كذلك يهتدى به الإنسان فى ظلمات الجهل والغى، فالنجوم مصابيح حسّية فى عالم المادة كما أنّ آيات القرآن

مصابيح معنوية فى عالم المجردات.

إكمال

إنّه سبحانه قال:(فَلا أُقْسِمُ بِمَواقِعِ النُّجُوم) فالمراد منه القسم بلا شك، بشهادة انّه قال بعده: (وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظيم) فلو كان معنى الآية هو نفى القسم فلا يناسب مابعده حيث يصفه بأنّه حلف عظيم، وقد اختلف المفسرون فى هذه الآيات ونظائرها، إلى أقوال:

۱. «لا» زائدة، مثلها قوله سبحانه: (لئلاّ يَعْلَم) .

۲. أصلها لَاقسم بلام التأكيد، فلمّا أشبعت فتحتها صارت «لا » كما فى الوقف.

۳. لا نافية بمعنى نفى المعنى الموجود فى ذهن المخاطب، ثمّ الابتداء

---

۱ ـ الشعراء:۲۱۰ـ۲۱۱.

بالقسم، كما نقول: لا واللّه لا صحة لقول الكفار، أقسم عليه.

ثمّ إنّه سبحانه يصف هذا القسم بكونه عظيماً، كما فى قوله (و انّه لقسم لو تعلمون عظيم)، فقوله: (عظيم) وصف (ا لقسم) أُخر لحفظ فواصل الآيات.

وهذا القسم هو القسم الوحيد الذى وصفه سبحانه بأنّه عظيم، فالحديث هنا هو حديث على الاَبعاد، أبعاد النجوم عنّا، و عن بعضها البعض، فى مجرّتنا، وفى كل المجرّات، ولاَنّها كلّها تتحرك، فانّ الحديث عن مواقعها يصير أيضاً حديثاً على مداراتها، وحركاتها الاُخرى العديدة، وسرعاتها، وعلى علاقاتها بالنجوم الاُخرى، وعلى القوى العظيمة والحسابات المعقدة، التى وضعت كلّ نجم فى موقعه الخاص به وحفظته، فى علاقات متوازنة، دقيقة، محكمة، فهى لا يعتريها الاضطراب، ولا تتغير سننها وقوانينها، وهى لا تسير خبط عشواء أو فى مسارات متقاطعة أو متعارضة بل هى تسير كلّها بتساوق وتناغم وانسجام وانتظام تامّين دائمين، آيات على قدرة القادر سبحانه. (۱)

يقول الفلكيون: إنّ من هذه النجوم والكواكب التى تزيد على عدة بلايين نجم، ما يمكن روَيته بالعين المجردة، وما لا يرى إلاّ بالمجاهر والاَجهزة، وما يمكن أن تحس به الاَجهزة دون أن تراه، هذه كلّها تسبح فى الفلك الغامض، ولا يوجد أيّاحتمال أن يقترب مجال مغناطيسى لنجم من مجال نجم آخر، أو يصطدم كوكب بآخر إلاّ كما يحتمل تصادم مركب فى البحر الاَبيض المتوسط بآخر فى المحيط الهادى يسيران فى اتجاه واحد وبسرعة واحدة، وهو احتمال بعيد وبعيداً جداً، إن لم يكن مستحيلاً. (۲)

---

۱ ـ أسرار الكون فى القرآن:۱۹۲.

۲ ـ اللّه والعلم الحديث:۲۴.

الفصل الثامن

الفصل الثامن القسم بالسماء ذات الحبك

حلف سبحانه فى سورة الذاريات بأُمور خمسة، وجعل للاَربعة الاُوَل جواباً خاصّاً، كما جعل للخامس من الاَقسام جواباً آخر، وبما انّالمقسم عليه متعدّد فصّلنا القسم الخامس عن الاَقسام الاَربعة، وعقدنا له فصلاً فى ضمن فصول القسم المفرد، قال سبحانه:

(وَالذّارياتِ ذَرْواً * فَالحامِلاتِ وِقْراً * فَالجارِياتِ يُسْراً * فالمُقَسِّماتِ أَمراً * إِنّما تُوعَدُونَ لَصادِق * وإنّ الدِّينَ لَواقِع) . (۱)

ترى أنّه ذكر للاَقسام الاَربعة جواباً خاصاً، أعنى قوله: (إنّما تُوعدون لَصادق * وانّ الدين لواقع) .

ثمّ شرع بحلف آخر، وقال:(وَالسَّماءِ ذات الحُبُكِ *إِنَّكُم لَفِى قَولٍ مُختَلِف).(۲)

فهناك قسم خامس وهو (والسماء ذات الحُبك) وله جواب خاص لا يمت بجواب الاَقسام الاَربعة وهو قوله :(إِنَّكُمْ لَفى قول مختلف) .

---

۱ ـ الذاريات:۱ـ ۶.

۲ ـ الذاريات:۷ـ ۸.

(۸۴) تفسير الآيات الحبك جمع الحباك ، كالكتب جمع كتاب، تستعمل تارة فى الطرائق، كالطرائق التى ترى فى السماء، وأُخرى فى الشعر المجعد، وثالثة فى حسن أثر الصنعة فى الشيء واستوائه.

قال الراغب: (والسَّماء ذات الحبك) أى ذات الطرائق، فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة.

ولعلّ المراد منه هو المعنى الاَوّل أى السماء ذات الطرائق المختلفة، ويوَيده جواب القسم، وهو اختلاف الناس وتشتت طرائقهم، كما فى قوله: (إنّكم لفى قول مختلف) ،و ربما يحتمل أنّ المراد هو المعنى الثالث أى أقسم بالسماء ذات الحسن والزينة، نظير قوله تعالى: (إِنّا زَيَّنا السَّماءَ الدُّنيا بِزِينةٍ الكَواكِب) (۱)

ولكنه لا يناسبه الجواب، إذ لا يصحّ أن يحلف حالف بالاَمواج الجميلة التى ترتسم بالسحب أو بالمجرّات العظيمة التى تبدو كأنّها تجاعيد الشعر على صفحة السماء، ثمّ يقول: (إنّكم لفى قول مختلف) ، أى إنّكم متناقضون فى الكلام.

وعلى كلّ حال فالمقسم عليه هو التركيز على أنّهم متناقضون فى الكلام، فتارة ينسبون عقائدهم إلى آبائهم وأسلافهم فينكرون المعاد، وأُخرى يستبعدون إحياء الموتى بعد صيرورتها عظاماً رميمة، وثالثة يرفضون القرآن والدعوة النبوية ويصفونه بأنّه قول شاعر، أو ساحر، أو مجنون، أو مما علّمه بشر، أو هى من أساطير الاَوّلين.

وهذا الاختلاف دليل على بطلان ادّعائكم إذ لا تعتمدون على دليل خاص،

---

۱ ـ الصافات:۶.

(۸۵)

فانّ تناقض المدعى فى كلامه أقوى دليل على بطلانه ونفاقه.

ثمّ إنّه سبحانه يقول: إنّ الاِعراض عن الاِيمان بالمعاد ليس أمراً مختصاً بشخص أو بطائفة، بل هو شيمة كل مخالف للحق، يقول: (يُوْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِك)(۱).

والافك: الصرف، والضمير فى «عنه» يرجع إلى الكتاب من حيث اشتماله على وعد البأس والجزاء أى يصرف عن القرآن من صرف وخالف الحق.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه: فقد ظهر مما ذكرنا، لما عرفت من أنّمعنى الحبك هو الطرائق المختلفة المتنوعة، فناسب أن يحلف به سبحانه على اختلافهم وتشتت آرائهم فى إنكارهم نبوّة النبى ورسالته والكتاب الذى أنزل معه والمعاد الذى يدعو إليه.

---

۱ ـ الذاريات:۹.

القسم الثانى: القسم المتعدّد

الفصل الاَوّل

الفصل الاَوّل القسم فى سورة الصافات حلف سبحانه بالملائكة فى السور الاَربع التالية:

۱. الصافات، ۲. الذاريات، ۳. المرسلات، ۴. النازعات.

وليس المقسم به هو لفظ الملك أو الملائكة، وإنّما هو الصفات البارزة للملائكة وأفعالها، وإليك الآيات:

۱. (وَالصّافاتِ صَفّاً * فَالزّاجراتِ زَجْراً * فَالتّالياتِ ذِكراً *إِنَّ إِلهَكُمْ لَواحد).(۱)

۲. (والذّارِياتِ ذَرْواً * فَالحامِلاتِ وِقْراً * فَالجارِياتِ يُسراً * فَالمُقَسِّماتِ أَمْراً * إِنَّما تُوعَدُونَ لَصادق * وَانَّ الدِّين لواقع) . (۲)

۳. (وَالْمُرسَلات عُرفاً * فَالعاصِفاتِ عَصْفاً * وَالنّاشراتِ نَشْراً * فالفارِقات فَرقاً * فالمُلقِياتِ ذِكراً * عُذراً أَو نُذراً * إِنّما تُوعَدُونَ لَواقِع) . (۳______________)

۱ ـ الصافات:۱ـ۴.

۲ ـ الذاريات:۱ـ۶.

۳ ـ المرسلات:۱ـ۷.

(۸۷)

۴. (وَالنّازِعاتِ غَرْقاً * وَالنّاشِطاتِ نَشْطاً * وَالسّابِحاتِ سَبْحاً * فَالسّابِقاتِ سَبْقاً * فَالمُدَبِّراتِ أَمْراً * يَوْمَ تَرجُف الراجِفَة * تَتْبَعُها الرّادِفَة) . (۱)

وهانحن نبحث عن أقسام سورة الصافات والذاريات فى فصلين متتالين ونحيل بحث أقسام سورة المرسلات والنازعات إلى محلها حسب ترتيب السور.

وقبل الخوض فى تفسير الآيات نقدم شيئاً من التوحيد فى التدبير:

إنّ من مراتب التوحيد فى الربوبية والتدبير، بمعنى أنّه ليس للعالم مدبّر سواه، يقول سبحانه: (إِنَّ رَبّكُمُ اللّهُ الّذِى خَلَق السَّمواتِ وَالاََرضَ فى سِتَّةِ أَيّامٍ ثُمَّ استَوى عَلى الْعَرْشِ يُدَبِّرُ الاََمْرَ ما مِنْ شَفِيعٍ إِلاّمِنْ بَعْدِ إِذْنِهِ ذلِكُمُ اللّهُ رَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ أَفَلا تَذَكَّرون) . (۲)

فصدر الآية يركّز على حصر الخالق فى اللّه، كما يركز على أنّه هو المدبّر، وانّه لو كان هناك سبب فى العالم «شفيع» فإنّما هو يوَثر بإذنه سبحانه، فاللّه هو الخالق وهوالمدبّر، قال سبحانه: (اللّهُ الّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَها ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ وَسَخَّرَالشَّمْسَ وَالقَمَرَ كُلٌّ يَجرى لاََجلٍ مُسمّى يُدبِّرُ الاََمْرَ يُفصِّلُ الآيات لَعَلَّكُمْ بِلقاءِرَبِّكُمْ تُوقِنُون) . (۳)

ويظهر من الآيات الكريمة أنّالعرب فى العصر الجاهلى كانوا موحّدين فى الخالقية ولكن مشركين فى الربوبية والتدبير، وكانوا ينسبون التدبير إلى الآلهة المكذوبة، ولذلك قرر سبحانه فى الآيتين كلتا المرتبتين من التوحيد، وانّه خالق، وانّه مدبر، غير أنّمعنى التدبير فى التوحيد ليس عزل العلل والاَسباب المادية

____

۱ ـ النازعات:۱ـ۷.

۲ ـ يونس:۳.

۳ ـ الرعد:۲.

(۸۸)

والمجردة فى تحقّق العالم وتدبيره، بل المراد انّ للكون مدبراً قائماً بالذات متصرفاًكذلك لا يشاركه فى التدبير شيء، ولو كان هناك مدبر وحافظ فإنّما هو يدبر بأمره وإذنه، فعندما يُحصر القرآن الكريم التدبير فى اللّه يريد التدبير على وجه الاستقلال، أى من يدبّر بنفسه غير معتمد على شيء، وأمّا المثبت لتدبير غيره، فالمراد منه أنّه يدبّر بأمره وإذنه وحوله وقوته على النحو التبعى، فكلّمدبِّر فى الكون فهو مَظْهر أمره ومُنفِّذ إرادته،وقد أوضحنا ذلك فى الجزء الاَوّل من مفاهيم القرآن.

ويظهر من غير واحد من الآيات أنّ الملائكة من جنوده سبحانه وانّها وسائط بين الخالق والعالم، وانّهم يقومون ببعض الاَعمال فى الكون بأمر من اللّه سبحانه، وستتضح لك أعمالهم فى إدارة الكون فى تفسير هذه الآية.

إنّ للعلاّمة الطباطبائى كلاماً فى كون الملائكة وسائط بينه سبحانه و بين الاَشياء، حيث يقول: الملائكة وسائط بينه تعالى و بين الاَشياء بدءاً وعوداً، على ما يعطيه القرآن الكريم، بمعنى انّهم أسباب للحوادث فوق المادية فى العالم المشهود قبل حلول الموت والانتقال إلى نشأة الآخرة وبعده.

أمّا فى العود، أعنى: حال ظهور آيات الموت، وقبض الروح، وإجراء السوَال، وثواب القبر وعذابه، وإماتة الكل بنفخ الصور وإحيائهم بذلك، والحشر وإعطاء الكتاب، ووضع الموازين، والحساب، والسوق إلى الجنةوالنار، فوساطتهم فيها غنى عن البيان، والآيات الدالة على ذلك كثيرة لا حاجة إلى إيرادها، والاَخبار المأثورة فيها عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) وأئمّة أهل البيت (عليهم السلام) فوق حد الاِحصاء.

وكذا وساطتهم فى مرحلة التشريع من النزول بالوحى ودفع الشياطين عن

المداخلة فيه وتسديد النبى وتأييد الموَمنين وتطهيرهم بالاستغفار.

وأمّا وساطتهم فى تدبير الاُمور فى هذه النشأة فيدل عليها ما فى مفتتح هذه السورة من إطلاق قوله: (والنازِعاتِ غَرقاً * وَالناشِطاتِ نَشطاً * وَالسّابِحاتِ سَبحاً * فَالسابِقاتِ سَبْقاً * فَالمُدبِّراتِ أَمْراً) . (۱) الصافات والقسم بالملائكة لقد حلف سبحانه بوصف من أوصاف الملائكة، وقال:

أ: (وَالصّافاتِ صَفّاً) .

ب:(فَالزّاجِراتِ زَجْراً) .

ج: (فالتّاليات ذِكراً * إِنَّ إِلهَكُم لواحِد) . (۲)

وكل هذه الثلاثة مقسم به، والمقسم عليه هو قوله: (إِنَّ إِلهكم لواحد) وإليك تفسير المقسم به فيها.

فالصافات: جمع صافّة: وهى من الصف بمعنى جعل الشىء على خط مستو، يقول سبحانه: (إِنَّ اللّهَ يُحِبُّالَّذِينَ يُقاتِلُونَ فى سَبِيلِهِ صَفّا) (۳) والزاجرات من الزجر، بمعنى الصرف عن الشىء بالتخفيف والنهى، والتاليات من التلاوة، وهى جمع تال أو تالية، غير أنّ المهم بيان ما هو المقصود من هذه العناوين، ولعل الرجوع إلى القرآن الكريم يزيح الغموض عن كثير منها.

يقول سبحانه: حاكياًعن الملائكة: (وَما مِنّا إِلاّ لَهُ مَقامٌ مَعْلُوم * وَإِنّا لَنَحْنُ

---

۱ ـ الميزان:۲۰|۱۸۲ـ ۱۸۳.

۲ ـ الصافات:۱ـ۴.

۳ ـ الصف:۴.

الصّافُّون * وَإِنّا لَنَحْنُ المُسَبِّحُون) (۱) فينطبق على الملائكة أنّهم الصافّون حول العرش ينتظرون الاَمر والنهى من قبل اللّه تعالى.

نعم وصف سبحانه الطير بالصافات، وقال: (وَالطَّيرَ صافّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلاتَهُوَتَسبِيحَهُ) . (۲)

وقال: (أَوَ لَمْ يَرَوا إِلَى الطَّيْرِ صافّاتٍ وَيَقْبِضْنَ) (۳) كما أمر سبحانه على أن ينحر البدن وهى صواف، قال سبحانه: (وَالبُدْنَ جَعَلْناها لَكُمْ مِنْ شَعائِرِ اللّهِ لَكُمْ فِيها خَيرٌ فاذْكُرُوا اسمَ اللّهِ عَلَيْها صَوَافّ). (۴)

والمعنى: ان تعقل إحدى يديها وتقوم على ثلاث فتنحر كذلك فيسوى بين أظلفتها لئلاّ يتقدم بعضها على بعض.

وعلى كلّ تقدير فمن المحتمل أن يكون المحلوف به هو الملائكة صافات، ويمكن أن يكون المحلوف به كلّ ما أطلق عليه القرآن ذلك الاسم، وإن كان الوجه الاَوّل هو الاَقرب.

وأمّا الثانية: أى الزاجرات: فليس فى القرآن ما يدل على المقصود به، فلا محيص من القول بأنّ المراد الجماعة الذين يزجرون عن معاصى اللّه، ويحتمل أن ينطبق على الملائكة حيث يزجرون العباد عن المعاصى بالاِلهام إلى قلوب الناس، قال سبحانه: (وَما أُ نْزِلَ عَلى الْمَلَكَيْنِ بِبابِلَ هارُوتَ وَمارُوتَ وَما يُعَلِّمانِ مِنْ أَحَدٍ حَتّى يَقُولا إِنَّما نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلا تَكْفُرْ) (۵)كما أنّالشياطين يوحون إلى أوليائهم

---

۱ ـ الصافات:۱۶۴ـ ۱۶۶.

۲ ـ النور:۴۱.

۳ ـ الملك:۱۹.

۴ ـ الحج:۳۶.

۵ ـ البقرة:۱۰۲.

(۹۱)

بالدعوة إلى المعاصى، قال سبحانه: (وَكَذلِكَ جَعَلْنا لِكُلِّ نَبِيٍّعَدُوّاً شَياطِينَ الاِنْسِ وَالجِنّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلى بعضٍ زُخْرُفَ الْقَولِغُرُوراً). (۱)

والتاليات: هن اللواتى يتلون الوحى على النبى الموحى إليه.

فالمراد من الجميع الملائكة، وثمة احتمال آخر وهو انّ المراد من الصفات الثلاث هم العلماء، فانّهم هم الجماعة الصافة أقدامها بالتهجد وسائر الصلوات، وهم الجماعة الزاجرة بالمواعظ والنصائح، كما أنّهم الجماعة التالية لآيات اللّه والدارسة شرائعه.

كما أنّ ثمة احتمالاً ثالثاً وهو: انّالمراد هم الغزاة فى سبيل اللّه الذين يصفّون أقدامهم، ويزجرون الخيل إلى الجهاد، ويتلون الذكر، ومع ذلك لا يشغلهم تلك الشواغل عن الجهاد.

وأمّا المقسم عليه: فهو قوله سبحانه: (إِنَّ إِلهكم لَواحد) .

والصلة بين المقسم به والمقسم عليه: هو أنّالملائكة أو العلماء أو المجاهدين الذين وصفوا بصفات ثلاث هم دعاة التوحيد وروّاده وأبرز مصاديق من دعا إلى التوحيد على وجه الاِطلاق وفى العبادة خاصة.

---

۱ ـ الاَنعام:۱۱۲.

(۹۲)

الفصل الثانى

الفصل الثانى القسم فى سورة الذاريات

لقد حلف سبحانه بأُمور أربعة متتابعة وقال:

(وَالذّارِياتِ ذَرْواً) .

(فَالحامِلاتِ وِقْراً) .

(فَالجارِياتِ يُسْراً) .

(فَالمُقَسِّمات أمراً * إِنّما تُوعدونَ لصادِقٌ * وإِنَّ الدِّينَ لَواقِع). (۱)

ثمّ حلف بخامس فرداً أى قوله: (وَالسَّماءِ ذات الحُبُك) .

أمّا الاَوّل أعنى : (والذاريات ذَرواً) فهى جمع ذارية، ومعناها الريح التى تُنشر شيئاً فى الفضاء، يقول سبحانه: (فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُالاََرض فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذَرُوهُالرِّياح) . (۲) ولعلّهذه قرينة على أنّ المراد من الذاريات هى الرياح.

وأمّا الحاملات، فهى، من الحمل، والوقر ـ على زنة الفكر ـ ذو الوزن الثقيل.

والمراد منه السحب، يقول سبحانه: (هُوَ الَّذى يُريكُمُ البَرقَ خَوفاً وَطَمَعاً وَيُنشئُ السَّحابَ الثِّقال) (۳) وقال سبحانه: (حَتّى إِذا أَقَلَّتْ سَحاباً ثِقالاً سُقْناهُ لِبَلَدٍ

---

۱ ـ الذاريات:۱ـ۶.

۲ ـ الكهف: ۴۵.

۳ ـ الرعد:۱۲.

(۹۳)

مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنا بِهِ الماء) . (۱)

وأمّا الجاريات، فهى جمع جارية، والمراد بها السفن، بشهادة قوله سبحانه: (حَتّى إِذا كُنْتُمْ فى الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِمْ بِريحٍ طَيِّبَة) (۲) وقال: (وَالفُلْكِ الّتى تَجْرى فِى البَحْرِ بِما يَنْفَعُ النّاس) (۳) وقال سبحانه:(إِنّا لَمّا طَغا الماءُ حَمَلْناكُمْ فى الجارِيَة).(۴)

وأمّا المقسِّمات، فالمراد الملائكة التى تقسم الاَرزاق بواسطتها التى ينتهى إليه التقسيم.

يقول العلاّمة الطباطبائى: وإقسام بالملائكة الذين يعملون بأمره فيقسمونه باختلاف مقاماتهم، فانّ أمر ذى العرش بالخلق والتدبير واحد، فإذا حمله طائفة من الملائكة على اختلاف أعمالهم انشعب الاَمر وتقسم بتقسمهم، ثمّ إذا حمله طائفة هى دون الطائفة الاَُولى تقسم ثانياً بتقسمهم وهكذا، حتى ينتهى إلى الملائكة المباشرين للحوادث الكونية الجزئية فينقسم بانقسامها ويتكثر بتكثرها.

والآيات الاَربع تشير إلى عامة التدبير حيث ذكرت انموذجاً ممّا يدبّر به الاَمر فى البر وهو الذاريات ذرواً، وانموذجاًممّا يدبّر به الاَمر فى البحر وهو الجاريات يسراً، وانموذجاً ممّا يدبّر به الاَمر فى الجو وهو الحاملات وقراً، وتمم الجميع بالملائكة الذين هم وسائط التدبير، وهم المقسّمات أمراً.

فالآيات فى معنى أن يقال: أُقسم بعامة الاَسباب التى يتمم بها أمر التدبير فى

---

۱ ـ الاَعراف:۵۷.

۲ ـ يونس:۲۲.

۳ ـ البقرة:۱۶۴.

۴ ـ الحاقة:۱۱.

(۹۴)

العالم ان كذا كذا، وقد ورد من طرق الخاصة والعامة عن على (عليه السلام) تفسير الآيات الاَربع. (۱)

وبذلك يعلم قيمة ما روى عن الاِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) فى تفسير الآية عندما سأله ابن الكوا عن هذه الاَقسام الاَربعة ـ وهو يخطب على المنبر ـ فقال:

قال: ما الذاريات ذرواً؟قال (عليه السلام) : الرياح.

قال: فالحاملات وقراً؟ قال (عليه السلام) : السحاب.

قال: فالجاريات يسراً؟ قال: السفن.

قال: فالمقسّمات أمراً ؟ قال: الملائكة.

ثمّ إنّه سبحانه حلف بالذاريات بواو القسم، وحلف بالثلاثة بعطفها على الذاريات بالفاء فيحمل المعطوف معنى القسم أيضاً.

هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: هو قوله: (إِنّما تُوعَدُونَ لَصادِق * وَإِنَّ الدِّين لواقع) أى إنّما توعدون من الثواب و العقاب والجنة والنار لصادق، أى صدق لابدّ من كونه فهو اسم الفاعل، موضع المصدر، وانّ الدين أى الجزاء لواقع والحساب لكائن يوم القيامة.

وعلى ذلك (إِنَّما تُوعَدون لَصادق) جواب القسم، وقوله: (انّ الدين لواقع) معطوف عليه بمنزلة التفسير، والمعنى أقسم بكذا وكذا، انّالذى توعدونه من يوم البعث وانّ اللّه سيجزيهم فيه بأعمالهم إن خيراً فخير وإن شراً فشر لصادق وانّ الجزاء لواقع. (۲)

---

۱ ـ الميزان:۱۸|۳۶۵.

۲ ـ الميزان:۱۸|۳۶۶.

وأمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه هو انّه سبحانه أقسم بعامة الَاسباب التى يتم بها أمر التدبير فى العالم، لغاية أنّ هذا التدبير ليس سدى وبلا غاية، والغاية هى يوم الدين والجزاء وعود الاِنسان إلى المعاد، إذ لولا الغاية لَاصبح تدبير الَامر فى البر والبحر والجو وتدبير الملائكة شيئاً عبثاً بلا غاية، فهو سبحانه يحاول أن يبين أنّما يقوم به من أمر التدبير لغاية البعث وانتقال الاِنسان من هذه الدار إلى دار أُخرى هو أكمل.

وفى ختام البحث نود أن ننقل شيئاً عن عظمة الرياح والسحاب والتى كشف عنها العلم الحديث.

فالرياح هى حركة الهواء الموجود فى الطبقات السفلى من الجو، إذا سارت متوازية مع سطح الَارض، وتختلف سرعة الرياح حتى تصل إلى مائة كيلومتر فى الساعة فتسمى زوبعة، وإذا زادت على مائة سمّيت إعصاراً، وقد تصل سرعة الَاعصار إلى ۲۴۰ كيلومتراً فى الساعة، والرياح هى العامل المهم فى نقل بخار الماء وتوزيعه، ومن تكاثف هذا البخار فى الهواء بالتبريد،بعد أن تصل حالته إلى ما فوق التشبع تتكون السحب. ويختلف ارتفاع السحب على حسب نوعها،فمنها ما يكون على سطح الَارض كالضباب، ومنها ما يكون ارتفاعه بعيداًإلى أكثر من ۱۲ كيلومتراً. كسحاب السيرس الرقيق.

وعندما تكون سرعة الرياح الصاعدة أكثر من ثلاثين كيلومتراً فى الساعة، لا ـ يمكن نزول قطرات المطر المتكون، وذلك بالنسبة لمقاومة هذا الريح لها،ورفعها معه إلى أعلى، حيث ينموحجمها، ويزداد قطرها. ومتى بلغت أقطار النقط نصف سنتيمتر، تتناثر إلى نقط صغيرة لا تلبث أن تكبر بدورها، ثمّ تتجزأ بالطريقة السابقة وهكذا... وكلما تناثرت هذه النقط، تشحن بالكهرباء الموجبة وتنفصل الكهرباء

السالبة التى تحمل الرياح...وبعد مدة تصير السحب مشحونة شحناً وافراً بالكهرباء. فعندما تقترب الشحنتان بعضهما من بعض بواسطة الرياح كذلك يتم التفريغ الكهربائى وذلك بمرور شرارة بينهما،ويستغرق وميض البرق لحظة قصيرة وبعده يسمع الرعد، و هو عبارة عن الموجات الصوتية التى يحدثها الهواء،وما هى إلاّبرهة حتى تخيّم على السماء سحابة المطر القاتمة اللون، ثمّ تظهر نقط كبيرة من الماء تسقط على الَارض، وفجأة يشتد المطر ويستمر حتى تأخذ الَارض ما قدر اللّه لها من الماء. (۱)

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۱۳۵ـ ۱۳۶.

(۹۷)

الفصل الثالث

الفصل الثالث القسم فى سورة الطور

حلف سبحانه فى سورة الطور بأُمور ستة، وقال:

(وَالطُّور * وَكِتابٍ مَسْطُور * فى رقٍّ مَنْشُور *وَالْبيتِ المَعْمُور * وَالسَّقْفِ المَرْفُوع * وَالْبَحْرِ المَسْجُور * إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِع * ما لَهُ مِنْ دافِع) . (۱)

تفسير الآيات

الطور: اسم جبل خاص، بل اسم لكلّ جبل، ولو قلنا بصحّة الإطلاق الثانى، فالمراد الجبل المخصوص بهذه التسمية لا كلّ جبل بشهادة كونه مقروناً بالاَلف واللام.

ومسطور: من السطر وهو الصف من الكتابة، يقال: سطَّر فلان كذا، أى كتب سطراً سطراً.

والظاهر انّ المراد من «مسطور» هنا هو المثبت بالكتابة، قال سبحانه (كانَذلِكَ فى الكِتابِمَسْطُوراً) (أى مثبتاً ومحفوظاً).

و رقّ: ما يكتب فيه شبه الكاغد________________.

۱ ـ الطور:۱ـ ۸.

(۹۸)

ومنشور: من النشر، وهو البسط والتفريق، يقال: نشر الثوب والصحيفة وبسطهما، يقال: (وَإِذا الصُّحُف نُشرت) وقال سبحانه: (وَإِلَيْهِ النُّشور) .

والمسجور: من السجر وهى تهييج النار، يقال: سجرت التنور، ومنه البحر المسجور، وقوله: (وإِذَا البِحارُ سُجِّرت) وربما يفسر المسجور بالمملوء.

والمراد من الطور ـ كما تشهد به القرائن ـ هو الجبل المعروف الذى كلّم اللّه فيه موسى (عليه السلام) ، ولعلّه هو جبل طور سينين، قال سبحانه: (وَطُورِ سِينِين) . (۱) وقال سبحانه: (وَنادَيْناهُمِنْ جانِبِالطُّورِالاََيْمَن) (۲) وقال فى خطابه لموسى (عليه السلام) : (فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالواد المُقدَّس طُوىً) . (۳)

وقال سبحانه: (نُودى مِنْ شاطئَ الوادِ الاََيْمَنِ فِى البُقْعَةِ المُبارَكةِ مِنَ الشَّجَرة) . (۴) حكى وهذه الآيات تثبت انّ المقسم به جبل معين، ومع الوصف يحتمل أن يراد مطلق الجبل لما اودع فيه من أنواع نعمه، قال تعالى: (وَجَعَلَ فِيها رَواسِىَ مِنْ فَوقِها وَبارَكَ فِيها) . (۵)

والمراد من كتاب مسطور: هو القرآن الكريم الذى كان يكتب فى الورق المأخوذ من الجلد.

وأمّا وصفه بكونه منشوراً مع أنّ عظمة الكتاب بلفظه ومعناه لا بخطه وورقه، هو الاِشارة إلى الوضوح، لاَنّ الكتاب المطوى لا يعلم ما فيه، فقال هو فى

---

۱ ـ التين:۲.

۲ ـ مريم:۵۲.

۳ ـ طه:۱۲.

۴ ـ القصص:۳۰.

۵ ـ فصلت:۱۰.

(۹۹)

رق منشور وليس كالكتب المطوية، ومع ذلك يحتمل أن يراد منه صحائف الَاعمال، وقد وصفه سبحانه بكونه منشوراً، وقال: (وَنُخْرِجُ لَهُ يَوْمَ القِيامَـةِ كِتاباً يَلقاهُ مَنْشُوراً) (۱) كمـا يحتمـل أن يراد منه اللوح المحفوظ الـذى كتب اللّه فيه مـا كـان وما يكون و ما هو كائن تقرأه ملائكة السماء.

وهناك احتمال رابع،وهو انّ المراد هو التوراة، وكانت تكتب بالرق وتنشر للقراءة، ويوَيده اقترانه بالحلف بالطور.

وامّا البيت المعمور: فيحتمل أن يراد منه الكعبة المشـرفة، فانّها أوّل بيت وضع للناس، ولم يزل معموراً منذ أن وضع إلى يومنا هذا، قال تعالى: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِ لَلَّذى بِبَكَّةَ مُباركاً وَهُدى لِلْعالَمين) . (۲)

ولعل وصفه بالعمارة لكونه معموراً بالحجاج الطائفين به والعاكفين حوله.

وقد فسر فى الروايات ببيت فى السماء إزاء الكعبة تزوره الملائكة، فوصفه بالعمارة لكثرة الطائفين به.

والسقف المرفوع: والمراد منه هو السماء، قال سبحانه: (والسَّماءَ رَفَعَها وَوَضَعَ الْمِيزان). (۳)

وقال: (اللّهُالّذى رَفَعَ السَّمواتِ بِغَيْر عَمَدٍ تَرَونَها) . (۴)

قال سبحانه: (وَجَعَلْنَا السَّماءَسَقْفاً مَحْفُوظاً وَهُمْ عَنْ آياتِها مُعرِضُون) (۵)

ولعلّ المراد هو البحر المحيط بالَارض الذى سيلتهب قبل يوم القيامة ثمّ ينفجر،

---

۱ ـ الِاسراء:۱۳.

۲ ـ آل عمران:۹۶.

۳ ـ الرحمن:۷.

۴ ـ الرعد:۲.

۵ ـ الَانبياء:۳۲.

(۱۰۰)

قال سبحانه: (وَإِذَا البِحارُ سُجِّرَت(۱)) ،وقال تعالى: (وَإِذَا البِحارُ فُجِّرَت) . (۲)

ثمّ إنّ هذه الَاقسام الثلاثة الُاولى يجمعها شيء واحد وهو صلتها بالوحى وخصوصياته،حيث إنّ الطور هو محل نزول الوحى، والكتاب المسطور هو القرآن أو التوراة، والبيت المعمور هو الكعبة أو البيت الذى يطوف به الملائكة الذين هم رسل اللّه.

وأمّا الاثنان الآخران، أعنى: السقف المرفوع والبحر المسجور، فهما من الآيات الكونية ومن دلائل توحيده ووجوده وصفاته.

لكن الرازى ذهب إلى أنّالَاقسام الثلاثة التى بينها صلة خاصة، هى الطور والبيت المعمور والبحر المسجور ،وإنّما جمعها فى الحلف بها لَانّها أماكن لثلاثـة أنبياء ينفردون بها للخلوة بربهم والخلاص من الخلق والخطاب مع اللّه. أمّا الطور فانتقل إليه موسـى، والبيت محمد (صـلى الله عليه وآله وسلم)، والبحر المسجور يونس (عليه السلام) ، وكل خاطب اللّه هناك، فقال موسى: (أَتُهْلِكُنا بِما فَعَلَ السُّفَهاءُمِنّا إِنْ هِىَ إِلاّ ـ فِتْنَتُکَ تُضِلُّ بِها مَنْ تَشاءُ وَتَهْـدِى مَنْ تَشاء) (۳) وقـال أيضـاً: (أرنى أنظر إليك) ، واما نبيّنا محمّـد (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ، فقال: «السـلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين لا أحصـى ثناء عليك كما أثنيت على نفسك»، وأمّا يونس فقال: (لاإِلهَ إِلاّأَنْتَ سُبْحانَکَ إِنِّى كُنْتُ مِنَ الظّالِمين)(۴) فصارت الَاماكن شريفة بهذه الَاسباب وحلف اللّه تعالى بها________________.

۱ ـ التكوير:۶.

۲ ـ الانفطار:۳.

۳ ـ الَاعراف:۱۵۵.

۴ ـ الأنبياء:۸۷.

(۱۰۱)

وأمّا ذكر الكتاب، فانّ الأنبياء كان لهم فى هذه الأماكن مع اللّه تعالى كلام، والكلام فى الكتاب واقترانه بالطور أدلّ دليل على ذلك، لأنّ موسى (عليه السلام) كان له مكتوب ينزل عليه وهوبطور.

وأمّا ذكر السقف المرفوع ومعه البيت المعمور ليعلم عظمة شأن محمد (صلى الله عليه وآله وسلم). (۱)

وأمّا المقسم عليه فهو قوله: (إِنَّ عَذابَ رَبِّكَ لَواقِع * ما لَهُ مِنْ دافِع) . (۲)

وأمّا وجه الصلة بين المقسم به على تعدّده والمقسم عليه، هو انّ المقسم عليه عبارة عن وقوع العذاب لا محالة وعدم القدرة على دفعه، فإذاً ناسب أن يقسم بالكتاب أى القرآن والتوراة اللّذين جاء فيهما أخبار القيامة وحتميتها.

كما ناسب أن يحلف بمظاهر القدرة وآيات العظمة كالسقف المرفوع والبحر المسجور حتى يعلم أنّصاحب هذه القدرة لقادر على تحقيق هذا الخبر،وهو عبارة عن أنّ عذابه لواقع وليس له دافع.

ويكفيك فى بيان عظمة البحار أنّها تشغل حيّزاً كبيراً من سطح الأرض يبلغ نحو ثلاثة أرباعه، وتختلف صفات الماء عن الأرض، بسهولة تدفقه من جهة إلى أُخرى، حاملاً الدفء أو البرودة، وله قوة انعكاس جيدة لشعاع الشمس، ولذا فانّ درجة حرارة البحار لا ترتفع كثيراً أثناءالنهار، ولا تنخفض بسرعة أثناء الليل فلا تختلف درجة الحرارة أثناء الليل عن النهار بأكثر من درجتين فقط.

ويقول أحد العلماء: إنّ البحر يبارى الزمان فى دوامه، ويطاول الخلود فى

---

۱ ـ تفسير الفخر الرازى:۲۸|۲۴۰.

۲ ـ الطور:۷ـ ۸.

(۱۰۲)

بقائه، تمر آلاف الأعوام بل وعشرات الأُلوف والملايين،وهو فى يومه هو أمسه وغده،تنقلب الجبال أودية،والأودية جبالاً، ويتحول التراب شجراً،والشجر تراباً، والبحر بحر لا يتحول ولا يتغير، وقد دلت الأبحاث العلمية انّ أقصى أعماق البحار تعادل أقصى علو الجبال. (۱)

كما ناسب أن يحلف بالطور، لأنّ بعض المجرمين كانوا يتصورون انّ الجبال الشاهقة ستدفع عنهم عذاب اللّه، كما قال ابن نوح (عليه السلام) سَآوى إِلى جَبَلٍ يَعْصِمُنى مِنَ الماء) قال: (لا عاصِمَ اليَوم مِنْ أَمْرِ اللّه إِلاّمَنْ رَحِمَ) (۲)

فحلف بالطور إيذاناً إلى هذه الحقيقة، وهى أنّهذه الجبال أقلّ من أن تدفع العذاب أو تحول بين اللّه ووقوع المعاد.

كما يمكن أن يكون الحلف بالطور لأجل كونه آية من آيات اللّه الدالة على قدرته التى لا تحول بينه و بين عذابه شىء.

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث: ۷۵.

۲ ـ هود:۴۳.

الفصل الرابع

الفصل الرابع القسم فى سورة القلم

حلف سبحانه بالقلم ومايسطرون معاً مرّة واحدة، وقال: (ن والقَلَمِ وَما يَسْطُرُون *ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون *وَإِنَّ لَكَ لأَجْراً غَيْرَ مَمْنُون *وَإِنَّكَ لَعلى خُلُقٍ عَظيم) . (۱)

وقبل تفسير الآيات نقدّم شيئاً وهو أنّ لفظة «ن» من الحروف المقطعة وقد تقدم تفسيرها.

وهناك وجوه أُخرى نذكرها تباعاً:

أ: «ن» هو السمكةالتى جاء ذكرها فى قصة يونس ((عليه السلام) وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغاضِباً) . (۲)

ب: انّ المراد به هو الدواة،و منه قول الشاعر:

إذا ما الشوق يرجع بى اليهم ألقت النون بالدمع السجوم ج:انّ «ن» هو المداد الذى تكتب به الملائكة.

ولكن هذه الوجوه ضعيفة، لاَنّ الظاهر منها أنّها مقسم به، وعندئذٍ يجب أن يجرّ لا أن يسكّن________________.

۱ ـ القلم:۱ـ ۴.

۲ ـ الاَنبياء:۸۷.

يقول الزمخشرى: وأمّا قولهم هو الدواة، فما أدرى أهو وضع لغوى أم شرعى؟ ولا يخلو إذا كان اسماً للدواة، من أن يكون جنساً أو علماً، فإن كان جنساً فأين الإعراب والتنوين؟ وإن كان علماً فأين الاعراب؟ وأيّهما كان فلابدّ له من موقع فى تأليف الكلام. (۱)

وبذلك يعلم وجه تجريد «ن» عن اللاّم واقتران القلم بها. تفسير الآيات ۱. حلف سبحانه بالقلم، وقال: (والقلم ومايسطرون) وهل المراد منه جنس القلم الذى يكتب به من فى السماء ومن فى الاَرض، قال تعالى: (وَربُّكَ الاََكْرَم * الَّذى عَلَّمَ بِالقَلَم * عَلَّمَ الإِنْسانَ مالَمْ يَعْلَم) . (۲) فمنّ سبحانه وتعالى بتيسير الكتابة بالقلم،كما منَّ بالنطق، وقال: (خَلَقَالإِنْسان * عَلَّمَهُ البَيان) . (۳)

فالقلم والبيان نعمتان كبيرتان، فبالبيان يخاطب الحاضرين، كما أنّه بالقلم يخاطب الغائبين فتمكن بهما تعريف القريب والبعيد بما فى قرارة ذهنه.

وربما قيل: إنّ المراد هو القلم المعهود الذى جاء فى الخبر: «إنّأوّل ما خلق اللّه هو القلم» ولكنّه تفسير بعيد عن أذهان المخاطبين فى صدر الإِسلام الذين لم يكونوا عارفين بأوّل ما خلق اللّه ولا بآخره.

ثمّ إنّه سبحانه حلف بـ (ما يسطرون) ، فلو كانت «ما» مصدرية يكون المراد «وسطرهم» فيكون القسم بنفس الكتابة، كما يحتمل أن يكون المراد

---

۱ ـ الكشاف:۴|۱۲۶، تفسير سورة القلم .

۲ ـ العلق: ۳ ـ ۵.

۳ ـ الرحمن: ۳ ـ ۴.

المسطور والمكتوب، وعلى ذلك حلف سبحانه بجنس القلم وبجنس الكتابة، أو بجنس المكتوب، كأنّه قيل: «أحلف بالقلم وسطرهم أو مسطوراتهم».

ثمّ إنّ فى الحلف بالقلم والكتابة والمكتوب إلماعاً إلى مكانة القلم والكتابة فى الإِسلام، كما أنّ فى قوله سبحانه: (علّم بالْقَلم) إشارة إلى ذلك، والعجب أنّ القرآن الكريم نزل وسط مجتمع ساده التخلّف والجهل والاُميّة، وكان من يجيد القراءة والكتابة فى العصر الجاهلى لا ـ يتجاوز عدد الاَصابع، وقد سرد البلاذرى فى كتابه «فتوح البلدان» أسماء سبعة عشر رجلاً فى مكة، وأحد عشر من يثرب.(۱)

وهذا ابن خلدون يحكى فى مقدمته: أنّ عهد قريش بالكتابة لم يكن بعيداً، بل كان حديثاً وقريباً بعهد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم). (۲) ومع ذلك يعود القرآن ليوَكد بالحلف بالقلم على مكانة القلم والكتابة فى الحضارة الإِسلامية، وجعل فى ظل هذا التعليم

أمة متحضرة احتلّت مكانتها بين الحضارات. وليس هذه الآية وحيد نسجها فى الدعوة إلى القلم والكتابة بل ثمة آية أَخرى هى أكبر آية فى الكتاب العزيز، يقول سبحانه: (يا أَيُّهَا الَّذينَآمَنُوا إِذا تَدايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلى أَجَلٍمُسمّىً فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَيْنَكُمْ كاتِبٌ بِالعَدْلِ وَلا يَأْبَ كاتِبٌ أَنْيَكْتُبَ كَما عَلَّمهُ اللّهُ فَلْيَكْتُب...) . (٣)

كما أنّالنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حثّعلى كتابة حديثه الذى هو المصدر الثانى بعد القرآن الكريم:

١. أخرج أبو داود فى سننه، عن عبد اللّه بن عمرو، قال: كنت أكتب كلّ

---

١ ـ فتوح البلدان : ۴۵۷ .

٢ ـ مقدمة ابن خلدون:۴۱۸.

٣ ـ البقرة:٢٨٢.

شيء أسمعه من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم)، أريد حفظه فنهتنى قريش، وقالوا: أتكتب كلّشيء تسمعه ورسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بشر يتكلم فى الغضب والرضا؟ فأمسكت عن الكتابة، فذكرت ذلك لرسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) فأومأ باصبعه إلى فيه، وقال :« اكتب، فوالذى نفسى بيده ما يخرج منه إلاّحقّاً». (١)

٢. أخرج الترمذى فى سننه عن أبى هريرة، قال: كان رجل من الاَنصار يجلس إلى النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) فيسمع من النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» الحديث فيعجبه ولا يحفظه، فشكا ذلك إلى النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» ، فقال: يا رسول اللّه إنّى أسمع منك الحديث فيعجبنى ولا أحفظه، فقال رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم): «استعن بيمينك» وأومأ بيده للخط. (٢)

٣. أخرج الخطيب البغدادى عن رافع بن خديج، قال: مرّعلينا رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) يوماً، ونحن نتحدّث، فقال: «ما تحدّثون؟»

فقلنا: نتحدّث عنك يا رسول اللّه .

قال: «تحدّثوا، وليتبوّأ من كذّب عليّ مقعداً من جهنم».

ومضى (صلى الله عليه وآله وسلم) بحاجته،ونكس القوم رؤوسهم...فقال:«ما شأنكم؟ ألا تحدّثون؟».

قالوا: الذى سمعنا منك، يا رسول اللّه.

قال: «إنّى لم أرد ذلك، إنّما أردت من تعمّد ذلك» قال: فتحدثنا.

قال: قلت:يا رسول اللّه: إنّا نسمع منك أشياء، فنكتبها_______________.

١ ـ سنن أبى داود:٣|٣١٨، برقم ٣۶۴۶، باب فى كتابة العلم؛ مسند أحمد:٢|١۶٢؛سنن الدارمى:١|١٢۵، باب من رخص فى كتابة العلم.

٢ ـ سنن الترمذى: ۵|٣٩، برقم ٢۶۶۶.

قال: «اكتبوا ولا حرج». (١)

وبعد هذه الاَهمية البالغة التى أولاها الكتاب العزيز والنبيللكتابة، أفهل من المعقول أن ينسب إليه انّه منع من كتابة الحديث؟! مع أنّها أحاديث آحاد تضاد الكتاب العزيز والسنّة والسيرة المتواترة ونجلُّ النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) عن الحيلولة دون كتابة السنّة.

هذا والكلام ذو شجون وقد أسهبنا البحث حوله فى كتاب «الحديث النبوى بين الرواية والدراية». (٢)

هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: فقد جاء فى قوله سبحانه: (ما أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُون) والمراد من النعمة النبوّة والإيمان، والباء للسببية أى لست أنت بسبب هذه النعمة بمجنون، رداً على من جعل نبوّته ونزول القرآن عليه دليلاً على جنونه، قال سبحانه: (وَإِنْ يَكادُ الَّذينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصارِهِمْ لَمّا سمِعُوا الذِّكْرَ وَيَقُولُونَ إِنَّهُ لَمَجْنُونٌ * وَما هُوَ إِلاّذِكْرٌ لِلْعالَمين) . (۳)

ويحتمل أن يكون المراد من النعمة كلّما تفضل عليه سبحانه من النعم وراء الإيمان والنبوّة كفصاحته وبلاغته وعقله الكامل وخلقه الممتاز، فانّ هذه الصفات تنافى حصول الجنون.

واحتمل الرازى أن يكون جملة (بِنِعْمة رَبِّك) مقطوعة عمّا قبله و ما بعده، وانّ وزانها وزان بحمد اللّه فى الجمل التالية:

---

۱ ـ تقييد العلم: ۷۲و۷۳.

۲ ـ انظر صفحة ۱۲ـ ۳۲ من نفس الكتاب.

۳ ـ القلم:۵۱ـ ۵۲.

(۱۰۸)

أنت ـ بحمد اللّه ـ عاقل.

أنت ـ بحمد اللّه ـ لست بمجنون.

أنت ـ بنعمة اللّه ـ فهيم.

أنت ـ بنعمة اللّه ـ لست بفقير.

وعلى هذا التقدير يكون معنى الآية «ما أنت ـ فى ظل نعمة ربّك ـ بمجنون.(۱)

وهناك احتمال ثالث وهو نفس هذا الاحتمال، وجعل الباء حرف القسم، وعلى ذلك يكون الحلف مقروناً بالدليل، وهو: انّ من أنعم اللّه عليه بهذه النعم الإلهية كيف يتهمونه بالجنون، مضافاً إلى أنّ لك فى الآخرة لَاجراً غير ممنون، كما قال سبحانه:(وَإِنَّ لَكَ لاَجْراً غير مَمنون) والممنون مشتق من مادة «منّ» بمعنى القطع أى الجزاء المتواصل إلى الاَبد.

ثمّ إنّه سبحانه يستدل بدليل آخر على نزاهته من هذه التهمة، وهى قوله سبحانه: (وَإِنَّكَ لَعلى خُلقٍ عَظيم) فمن كان على خلق يعترف به القريب والبعيد فكيف يكون مجنوناً ؟!

فقد تجسَّم فى شخصية الرسول العطف والحنان إلى القريب والبعيد، والصبر والاستقامة فى طريق الهدف، والعفو عن المتجاوز بعد التمكن والقدرة، والتجافى عن الدنيا وغرورها، إلى غير ذلك من محاسن الاَخلاق، وبذلك ظهر انّ الحلف صار مقروناً بالدليل.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فهو انّالقلم والكتابة آية العقل

---

۱ ـ تفسير الفخر الرازى:۲۹|۷۹.

(۱۰۹)

والدراية، فحلف به لغاية نفى الجنون عن النبى (صلى الله عليه وآله وسلم).

يقول المراغى: أقسم ربّنا بالقلم ومايسطر به من الكتب: انّمحمّداً الذى أنعم اللّه عليه بنعمة النبوّة ليس بمجنون كما تدّعون، وكيف يكون مجنوناً والكتب والاَقلام أعدت لكتابة ما ينزل عليه من الوحى؟! (۱)

ونختم البحث بحديث رواه الشيخ يحيى البحرانى عن النبيفى كتابه «الشهاب فى الحكم والآداب»: قال:قال النبى (صلى الله عليه وآله وسلم): «ثلاثة تخرق الحجب وتنتهى إلى ما بين يدى اللّه:

۱. صرير أقلام العلماء.

۲. وطء أقدام المجاهدين.

۳. صوت مغازل المحسنات». (۲)

---

۱ ـ تفسير المراغى:۲۹|۲۷.

۲ ـ الشهاب فی الحكم والآداب:۲۲.

(۱۱۰)

الفصل الخامس

الفصل الخامس القسم فی سورة الحاقة

حلف سبحانه بما يُبصر وبما لا يُبصر، قال سبحانه:(فَلا أُقْسِمُ بِما تُبصرون * وما لاتُبصِرُون * إِنَّهُلَقَولُ رَسولٍ كَريم * وَما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ قَليلاً ـ ما تُؤْمِنُون * ولا ـ بِقَولِ كاهِنٍ قَليلاً ـ ما تَذَكَّرون * تنزِيلٌ مِنْ رَبِّ العالَمين). (۱) تفسير الآيات قوله: (بما تبصرون ومالا تبصرون) يعم ما سوى اللّه لاَنّه لا يخرج عن قسمين مبصر وغير مبصر، فيشمل الدنيا والآخرة والاَجسام والاَرواح والاِنس والجن والنعم الظاهرة والباطنة، كما يشمل الخالق والمخلوق، فانّ الخالق داخل فی قوله: ومالا تبصرون، وعلى هذا الوجه فقد حلف سبحانه بعالم الوجود وصحيفته.

ولكن استبعده السيد الطباطبائی، قائلًا: بأنّه من البعيد من أدب القرآن أن يجمع الخالق والمخلوق فی صف واحد ويعظمه تعالى وما صنع تعظيماً مشتركاً فی عرض واحد. (۲)

ولكن يلاحظ عليه: بأنّه سبحانه ربّما جمع بين نفسه والرسول، وقال: (وَما

---

۱ ـ الحاقة:۳۸ـ ۴۳.

۲ ـ الميزان:۱۹|۴۰۳.

(۱۱۱)

نَقَمُوا إِلاّ أن أغناهُمُ اللّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ) (۱) وقوله سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُون(۲))، إلى غير ذلك من الآيات فلاحظ.

وأمّا المراد من قوله: «لا » فقد سبق كلام المفسرين فی توجيهه،وقد اخترنا انّقوله: «لا » رد لكلام مسبوق أو مقدر، ثمّ يبتدأ بقوله أقسم.

لقد أقسم سبحانه بشيء يخص البصر دون سائر الحواس، وقال: (فلا أُقسم بِما تبصرون وما لا تبصرون) هو أقسم بما نبصر وما أقله، وأقسم بما لا ـ نبصر وما أكثره وأعظم خطره. أقسم الحقُّ سبحانه هذا القسم العظيم بما له علاقة بالبصر ولم يُقسم بغيره مما هو محسوس، ذلك لاَنّه رغم كونه يعطينا أوسع إحساس وأبعده وأسرعه بما يحيط بنا فانّه رغم ذلك لا يصلنا منه إلاّ أقل القليل.

هذا كلّه حول المقسم به،وأمّا المقسم عليه، فهو قوله: (إِنَّهُلَقَولُ رَسُولٍ كَريم *وَما هُوَ بِقَولِ شاعِرٍ قَليلاً ـ ما تُؤْمِنُونَ * وَلا بِقَولِ كاهِنٍ قَليلًا ما تَذكَّرون * تنزِيلٌ مِنْ رَبِّ الْعالَمين) ، فالمقسم عليه مركب من أُمور إيجابية أعنى كونه :قول رسول كريم وانّه تنزيل من ربّ العالمين ، وسلبية وهو أنّ القرآن ليس بقول شاعر ولا كاهن.

إنّما الكلام فی ما هو المراد من قوله: (رسول كريم) ، وقد ذُكر هذا أيضاً فی سورة التكوير، قال سبحانه: (إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريم * ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى الْعَرشِمَكِين * مُطاعٍ ثَمَّ أَمين * وما صاحِبكُمْبِمَجْنُون *وَلَقد رآهُ بِالاَُفُقِ المُبين * وَما هُوَ عَلى الغَيْبِ بِضَنِين *وَما هُوَ بِقَولِ

شَيْطانٍ رَجِيم) (٣) ولا شكّ انّ المراد من

---

١ ـ التوبة:٧۴.

٢ ـ التوبة:١٠۵.

٣ ـ التكوير:١٩ـ ٢۵.

(١١٢)

رسول فى سورة التكوير هو أمين الوحى جبرئيل، بشهادة وصفه بقوله: (ذى قُوَّةٍ عِنْدَ ذى الْعَرْشِمَكين) .

مضافاً إلى قوله: (وَلَقَدْرَآهُ بِالاُفُقِ الْمُبين) فانّ الضـمير يرجع إلى رسول كريم، كما أنّ قوله: (وَما هُوَ بِقَولِ شَيطانٍ رَجيم) معناه إنّما هو قول الملك، فانّ الشيطان يقابل الملك.

وأمّـا المقـام فيحتمـل أن يراد منه النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم)، وذلك لاَنّه وصـفه بقوله:لَيْسَ بِقَولِ شاعِرٍ وَلا كاهن والقوم كانوا يصفون محمداً بالشعر والكهانة ولا يصفون جبرئيل بهما.

والغرض المتـوخّى من عزو القرآن إلى رسـول كريم هو نفى كونه كلامـ شـاعر أو كـاهن، ولاـ ينـافى ذلـك أن يكون القرآن كلامـه سبحـانه، وفى الوقت نفسه كلامـ أمين الوحى وكلامـ النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم)، لصـحّة الاِضافـة إلى الجميع، فـالقرآن كلامه سبحانه لاَنّه فعله، وهو الـذى أنشأه، وكلام جبرئيل، لاَنّه هو الـذى أنزله من جانبه سـبحانه على قلب سـيد المرسـلين، وفى الوقت نفسه كلام النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لاَنّه أظهره وبيّنه للناس، ويكفى فى النسبة أدنى مناسبة.

وأمّا الصلة فقد بيّنها السيد الطباطبائى بالنحو التالى، وقال:

وفى اختيـار مـا يبصـرون ومالاـ يبصـرون للاَقسام به على حقّيـة القرآن ما لا يخفى من المناسـبة، فانّ النظام الواحـد المتشابك أجزاوَه الجارى فى مجموع العالم يقضـى بتوحّده تعالى، ومصير الكل إليه، وما يترتب عليه من بعث الرسل وإنزال الكتب، والقرآن خير كتاب سماوى يهدى إلى الحقّفى جميع ذلك وإلى طريق مستقيم. (١ـــــــــــــــــــــ)

١ ـ الميزان:١٩|۴٠٣.

(١١٣)

وبتعبير آخر: انّه سـبحانه تبارك وتعالى حلف بعالم الغيب والشـهادة ـ أى بمجموع الخليقة والنظام السائد على الوجود الاِمكانى ـ على وجود هـدف مشترك لهذا النظام، وهو صـيرورة الاِنسان فى هذا الكوكب إنساناً كاملاً مظهراً لاَسـمائه وصـفاته، ولا يتم تحقيق ذلك الهدف إلاّ من خلال بعث الرسل وإنزال الكتب، والقرآن كتاب سماوى أُنزل إلى الاِنسان.

ثمّإنّه سبحانه دعم حلفه بالبرهان على المقسم عليه، فانّ المقسم عليه عبارة عن كون القرآن كلام رسول كريم أخذه من أمين الوحى، وهو من اللّه سـبحانه وليس من مبـدعاته ومتقوّلاـته وإلاّـلعمّه العـذاب فوراً، قال سـبحانه: (وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنا بعْضَ الاَقاوِيلِ * لاَخَـذْنا مِنْهُ بِالْيمِينِ *ثُمَّ لَقَطَعْنا مِنْه الوَتينَ * فَما مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ عَنْهُ حاجِزين) . (١)

فإذا حالف الرسول النجاح فى الـدعوة إلى رسالته والتفت حوله طوائف كثيرة فهو أوضـح دليل على أنّه غير كاذب فى دعوته وصادق فى عزوها إلى اللّه وإلاّ لما أمهله اللّه سبحانه هذا المقدار من الزمان.

وثمة سوَال يثار، وهو انّ هذه الآيات توعد المتنبىَ الكاذب على اللّه سبحانه بالهلاك، فلو كان هذا مفاد الآية لزم تصديق كلّمن ادّعى النبوّة ولم يشـمله العـذاب و الهلاك، إذ لو كان كاذباً لاَخـذه سـبحانه باليمين، وقطع منه الوتين، فإذا لم يفعل، فهـذا دليل على صدق كلامه وفعاله مع أنّه أمر لا يمكن الالتزام به؟

والجواب: انّ القرآن الكريم ليس بصـدد بيـان أنّ كـلّ من تقوّل على اللّه سوف يعمّه العـذاب والهلاـك، وإنّمـا هو بصـدد بيان بعض

الفئات المتقوّلة التى تدعى صلتها باللّه سبحانه خلال معجزة قاهرة خلابة للعقول، فهذا النوع من

۱ ـ الحاقة:۴۴ـ ۴۷.

(۱۱۴)

التقوّل يـدخل تحت هـذه القاعـدة، كمـا فى ادّعـاء رسول اللّه «صـلى الله عليه وآله وسـلم» الرسالـة التى أرفقها بمعجزة أبهرت العقول وأدهشت الاَلبـاب، فخضـع له العرب والعجم فى ظـل هـذه المعجزة، فلـو تقوّل ـ والعيـاذ بـاللّه ـ يعمّه العـذاب، لاَنّه من القبيـح أن تقع المعجزة على يد الكاذب، فسيرته (صـلى الله عليه وآله وسـلم) ومضـيه قدماً فى الدعوة إلى ربّه حتّى وافته المنية أوضح دليل على أنّه صادق فى رسالته، وانّ كلامه كلام ربّه، وانّه ليس بكاهن ولا شاعر.

وأمّا قوله سبحانه: (لاََخذْنا منهُ باليْمين) ففيه وجوه أربعة:

۱. أخذنا بيمينه كما يوَخذ المجرم بيده.

۲. أو سلبنا عنه القوة، فانّاليد اليمنى شارة القوة.

۳. أو لقطعنا منه يده اليمنى.

۴. أو لانتقمنا منه بقوة.

والآية بمنزلة قوله سبحانه: (ولَولاَ أن ثَبّتْناکَ لَقَد كِدتَ تَركَنُ إِلَيهِمْ شَيئاً قَليلاً *إِذاً لاََذَقْناکَ ضِعْفَ الحَياةِ وَضِعْفَ المَماتِ ثُمَّ لا تَجِدُ لَکَ عَلَيْنا نَصيراً). (۱)

۱ ـ الإِسراء:۷۴ـ۷۵.

(۱۱۵)

الفصل السادس

الفصل السادس القسم فى سورة المدثر

حلف سبحانه فى سورة المدثر بأُمور ثلاثة، هى: القمر ، و الليل عند إدباره، والصبح عند ظهوره، قال: (وما يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّکَ إِلاّهُوَ وَما هِيَإِلاّذِكْرى لِلْبَشَر *كَلاّ وَالقَمَرِ * وَاللّيلِ إِذا أَدْبَرَ * والصُّبحِإِذا أَسْفَرَ * إِنَّها لاِحْدَى الكُبَرِ * نَذيراً لِلْبَشَرِ * لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقدَّمَ أَو يَتَأَخَّرَ). (۱) تفسير الآيات حلف سبحانه فى هذه الآيات بأُمور ثلاثة ترتبط بعضها بالبعض، ويأتى الثانى عقب الاَوّل.

فأمّـا القمر يتجلّى فى اللّيل، ولولا الليل لما كان لضوئه ظهور، لاَنّه يختفى نوره فى النهار لتأثير الشـمس فإذا تجلّى القمر فى الليل شـيئاً فشـيئاً فيأتى نهايـة الليل، الـذى عبّر عنه سـبحانه : (إِذا أَدْبر) وتكون النتيجـة طلوع الفجر الـذى عبر عنه سـبحانه (والصُّبحِ إِذا أَسْفَر) ، فكأنّه يقول سـبحانه:احلف بتجلّى القمر فى وسط السـماء الذى يسـير مع الليل شـيئاً فشيئاً، إلى أن يدبر ويسفر الصبح، هذا مفاد الآيات التى تضمّنت المقسم به.

ثمّ إنّ الكُبَـر جمع الكبرى، وهى العظمى أى إحدى العظائم، وأمّا ما هو

۱ ـ المدثر:۳۱ـ ۳۷.

(۱۱۶)

المراد من العظائم، فسيوافيك بيانه عن قريب.

ثمّ إنّه سبحانه حلف فى هذه الآيات بأَمور ثلاثة:

۱. القمر على وجه الإِطلاق.

۲. الليل إذا أدبر، أى الليل عند انتهائه .

۳. الصبح حينما يسفر ويتجلّى.

وأمّا المقسم عليه فهو عبارة عن قوله:(إِنّها لإِحدى الكِبَر* نَذيراً لِلْبَشَر* لِمَنْ شاءَ مِنْكُمْ أَنْ يَتَقدَّم أَوْ يَتَأَخَّر) .

والكلام فى مرجع الضمير فى قوله «إنّها»، ففيه وجهان:

الاَوّل: أنّ الضمير يرجع إلى «سقر» الواردة فى الآيات المتقدمة، أعنى قوله تعالى: (وَما أَدْراكَ ما سَقَرُ * لا تُبقى وَلا تَذَر * لَواحَةٌ لِلْبَشَر * عَلَيها تِسْعَةُ عَشَر) . (۱)

أى انّ سقر هى إحدى الدواهى الكبرى، فهى نذيرة للبشر ومخوّفة لمن شاء منكم أن يتقدّم فى طاعة اللّه أو يتأخر عنها بالمعصية، ولفظة «سقر» من المؤنثات السماعية، وقد جاء ذكرها فى قصيدة ابن الحاجب التى جمع فيها المؤنثات السماعية فى أحد وعشرين بيتاً، وقال:

و كذاك فى كبد و فى كرش و فى سقر ومنها الحرب و النعلان (۲)

الثانى: أنّ الضمير يرجع إلى الآيات فى قوله سبحانه: (كَلاّ إِنَّهُ كانَلآياتِنا عَنيداً) . وعلى هذا فالآيات القرآنية لإِحدى الدواهى وهى النذيرة لمن تقدم فى مجال الطاعة أو تأخر لكن المتقدم ينتفع دون المتأخر________________.

۱ ـ المدثر:۲۷ـ۳۰.

۲ ـ روضات الجنات:۵|۱۸۶.

(۱۱۷)

هذا كلّه حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه فهو قوله: (إنّها لإِحدى الكبر).

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فعلى التفسير الثانى من الوضوح بمكان، حيث إنّ القمر فى الليل الدامس يهدى السائرين، كما أنّ الصبح وطروء النهار يبدّد الظلام ويظهر النور، فناسب أن يحلف سبحانه بأسباب الهداية، ومعادن النور ومظاهره، بُغية إثبات أنّ القرآن لإِحدى المعاجز الكبرى التى تهدى البشر إلى سبيل الرشاد.

وأمّا على التفسير الاَوّل، ورجوع الضمير إلى سقر فالمناسبة خفية، إلاّ أن يقال بأنّالمقسم به أى القمر فى وسط السماء وانجلاء الليل وطلوع الفجر من آياته الكبرى كما أنّ سقراً أيضاً كذلك.

ولا يخفى انّالقسم بالقمر جاء للتأكيد على عظمته، فهو أقرب الاَجرام السماوية للاَرض وأقل حجماً منها، يدور حول الاَرض مرّة كلّ شهر، وجاذبية القمر مع جاذبية الشمس هى سبب المد والجزر.

وتبلغ درجة حرارة جانب القمر المواجه للشمس ۱۲۰ درجة مئوية ، أى أعلى من درجة غليان الماء، ودرجة حرارة الجانب المظلم أقل من درجة تجمّد الماء بقدر يبلغ ۱۵۰ درجة.

كما أنّ سطحه صحارى وقفار تتناهض فيها البراكين الخامدة، وجباله ضخمة عظيمة يبلغ ارتفاعها ۴۲ ألف قدم بزيادة تقرب من ۱۳ ألف قدم عن أعلى جبل على الاَرض، وفوهات البراكين هائلة العظمة يبلغ قطر أكبرها۱۰۰ ميل، وجباله أقدم بكثير من سلاسل الجبال الاَرضية بملايين السنين. (۱________________)

۱ ـ اللّه والعلم الحديث: ۲۷.

الفصل السابع

الفصل السابع القسم فى سورة القيامة

حلف سبحانه فى سورة القيامة بأمرين: ۱. يوم القيامة، ۲. النفس اللوامة، وقال: (لاـ أُقْسِمُ بِيَوم القِيامَةِ * وَلاـ أُقْسِمُ بِالنَّفْسِاللَّوّامَةِ * أَيَحْسَبُ الإِنْسانُ أَلَّنْ نَجْمَعَ عِظامَهُ * بلى قادِرِينَ عَلى أَنْ نُسَوِّيَ بَنانَهُ * بَلْ يُرِيدُ الإِنْسانُ لِيَفْجُرَ أَمامَهُ * يَسَئلُأَيّانَ يَومُ القِيامَة) . (۱)

تفسير الآيات

اختلف المفسرون فى كلمة «لا » على أقوال (۲)

الاَوّل: انّ لا أقسم كلمة قسم وانّ العرب تزيد كلمة لا فى القسم، كما قال امروَ القيس:

لاـ وأبيك ابنة العامرى * لا يدعى قوم انّى أفر الثانى: انّلا نافية، رد لكلام قد تقدّم، وجواب لهم، وذلك هو المعروف فى كلام الناس فى محاوراتهم، فإذا قال أحدهم: لا، واللّه ما فعلت كذا، قصد بقوله: «لا» ردّ الكلام السابق، فهم لما أنكروا البعث، قيل لهم ليس الاَمر على ما ذكرتم، ثمّ أقسم بيوم القيامة وبالنفس اللوامة إنّ البعث حقّ________________.

۱ ـ القيامة:۱ـ ۶.

۲ ـ مرّ الكلام فيه أيضاً لاحظ ص: ۸۱.

(۱۱۹)

الثالث: انّها للنفى، على معنى انّى لا أعظمه بأقسامى به حقّإعظامه، فانّه حقيق بأكثر من هذا، وهو يستحق فوق ذلك.

فعلى المعنى الاَوّل«لا» زائدة، ولكنّه بعيد فى كلام ربّ العزة، والمتعين أحد المعنيين الاَخيرين.

أمّا المقسم به: فهو أمران:

أ: يوم القيامة.

ب: النفس اللوامة.

أمّا الاَوّل: فهو يوم البعث الذى يجمع اللّه فيه الناس على صعيد واحد، وإنّما سمّى يوم القيامة لاَجل انّه يقوم به الحساب، قال سبحانه حاكياً عن إبراهيم: (رَبَّنا اغْفِر لى وَلِوالِدَىّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الحِساب) (۱) وانّه يوم يقوم به الاشهاد، قال سبحانه: (إِنّا لَنَنْصُرُ رُسُلَنا وَالّذِينَآمَنُوا فِى الحَياةِ الدُّنْيا وَيَومَ يَقُومُ الاَشْهاد) (۲) وانّه يوم يقوم فيه الروح، قال سبحانه:(يَومَ يَقُومُالرُّوحُ وَالمَلائِكَةُ صَفّاً) (۳)، وانّه يوم يقوم الناس لربّ العالمين، كما قال سبحانه:(يَوْمَ يَقُومُ النّاسُ لِرَبِّ الْعالَمِين)(۴)، إلى غير ذلك من الوجوه التى توضح وجه تسمية اليوم بالقيامة، وقد جاء يوم القيامة فى القرآن سبعين مرّة، فلم تستعمل القيامة إلاّمضافة إلى يوم________________.

۱ ـ إبراهيم:۴۱.

۲ ـ غافر:۵۱.

۳ ـ النبأ: ۳۸.

۴ ـ المطففين:۶.

(۱۲۰)

وأمّا الثانى: أى النفس اللوامة صيغة مبالغة من اللوم، وهى عدل الإِنسان بنسبته إلى ما فيه لوم، يقال لمته فهو ملوم، قال سبحانه: (فَلا تَلُومُونِى وَلُومُوا أَنفُسَكُمْ) (۱) إلى غير ذلك من الآيات التى ورد فيها اللوم وما اشتق منه.

واختلف المفسرون فى المراد من النفس اللوامة على أقوال:

الاَوّل: هى نفس آدم التى لم تزل تتلوّم على فعلها الذى خرجت به من الجنة والظاهر أنّ هذا القول من قبيل تطبيق الكلى على مصداقه، وليس هناك قرينة على أنّها، المراد فقط.

الثانى: مطلق النفس، إذ ليس من نفس برّة ولاـ فاجرة إلاّ وهى تلوم نفسها يوم القيامة إن كانت عملت خيراً قالت: هلا ازددت، وإن

کانت عملت سوءاً قالت: یا لیتنی لم أفعل.

الثالث: وربما تختص بالنفس الکافرة الفاجرة.

الرابع: عکس ذلک، والمراد نفس المؤمن التی تلومه فی الدنیا علی ارتکاب المعصیة وتحفّزه علی إصلاح ما بدا منه.

والظاهر أنّ القول الثانی هو المتعیّن،أی مطلق النفس التی تلوم صاحبها سواء أکان لاَجل فوت الخیر أو ارتکاب الشر.

وعلی کلّ حال فالآیة تحکی عن المنزلة العظیمة التی تتمتع بها النفس اللوامة إلی حدّ أقسم بها سبحانه وإلاّلما حلف بها.

وأمّا المقسم علیه فمحذوف أی لَتُبْعثُنَّ________________.

۱ ـ إبراهیم:۲۲.

(۱۲۱)

وأمّا الصلة بین المقسم علیه أعنی قوله: «لتبعثن» والحلف «بالنفس اللوامة» فهی ظهور اللوم من هذه النفس یوم القیامة، فانّ نفس الکافر لا تلومه فی الدنیا إلاّقلیلاً، فی حین یتجلّی اللوم ویتجسّد یوم القیامة أکثر فأکثر.

وأمّا کرامة النفس اللوامة فواضحة جداً، لاَنّها تردع الاِنسان عن اقتراف الذنوب، ولا یمکن خداعها، وهی یقظة تزجر الاِنسان دائماً بالنسبة إلی ما عمله وقصده.

إنّ إبراهیم لما حطّم الاَصنام وجعلها جذاذاً إلاّکبیراً لهم لعل القوم یرجعون إلیه ویرتدعون عن عقیدتهم بإلوهیتها، فلمّا رجعوا ووقفوا علی أنّه عمل إبراهیم أحضروه للاقتصاص منه، وخاطبوه بقولهم: (أأنت فعلت هذا بآلهتنا)، فأجابهم إبراهیم: (بل فَعَلَهُ کَبیرهُم) ، ثمّ أمرهم بسوَاله عن الجریمة التی ارتکبها، فبهُت الجمع من هذا السوَال وظلوا صامتین لعجزهم عن الاِجابة، فعندئذ تبین لهم أنّ مثل هذا الصنم أحط من أن یعبد، فاستیقظ وجدانهم وأخذت نفوسهم تلومهم علی النهج الذی اختطوه، بل الآلهة التی عبدوها حیث وجدوا انّها غیر خلیقة بالعبادة والخضوع، وهذا ما یحکی عنه القرآن بقوله: (فرجعوا إلی أنفسهم فقالوا إنّکم أنتم الظالمون) أی خاطبوا أنفسهم بالظلم، فکأنّه قال بعضهم لبعض أنتم الظالمون حیث تعبدون مالا یقدر عن الدفع عن نفسه وما نری الاَمر إلاّکما قال هذا الفتی.

هذه هی النفس اللوامة التی تظهر بین الحین والآخر وتزجر الاِنسان عن ارتکاب الذنوب.

وهذا الذی یسمّیه علم النفس فی یومنا هذا بالوجدان الاَخلاقی، ویصفون الوجدان محکمة لا تحتاج إلی قاض سوی النفس، وهی التی تقوم بتأسیس

(۱۲۲)

المحکمة، وتشخص المجرم، وتصدر الحکم بلا هوادة، ودون أی تهاون.

وفی الآیات القرآنیة الاُخری إشارة إلی تلک المرتبة من النفس، یقول سبحانه: (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها *فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) . (۱)

یقول الاِمام الصادق فی تفسیر الآیة: «بیّن لها ما تأتی وما تترک». (۲)

إنّاللوم والعزم فرع معرفة النفس بخیر الاُمور وشرّها، فلو لم تکن عالمة من ذی قبل لم تصلح للوعظ ولا للزجر، ولاَجل ذلک،یقول سبحانه: (أَلَمْ نَجْعَل لَهُ عَینَین *وَلِساناً وَشَفَتَیْن * وَهَدَیْناهُ النَّجْدَین) . (۳)

یقول الاِمام الصادق (علیه السلام) :«هداه إلی نجد الخیر والشر». (۴)

ثمّإنّ مراتب الزجر تختلف حسب صفاء النفس وکدورتها وابتعادها عن ممارسة الشر، یقول الاِمام الصادق (علیه السلام) : «إنّ اللّه إذا أراد بعبد خیراً طیّب روحه فلا یسمع معروفاً إلاّعرفه ولا منکراً إلاّأنکره». (۵)

نعم، ما حباه اللّه سبحانه لکلّ إنسان من النفس اللوامة، کرامة ونعمة عظیمة، حیث یعرف علی ضوئها الحسن من القبیح والخیر من الشر، ولکنّه لو مارس الشرّ مدّة لا ـ یستهان بها ربما تعوق النفس عن القضاء فی الخیر بالخیر والشر بالشر، بل ربما یری الشر خیراً

والخير شراً، وذلك فيما إذا زاوله الِانسان كثيراً بنحو ترك بصماته على روحه ونفسه وقضائه وتفكيره، وقد أشار سبحانه إلى أنّ قبح وأد البنات وقتل الَاولاد ـ لَاى غاية من الغايات كانت ـ أمر يدركه كلّإنسان، ولكن ترى أنّ بعض المشركين يستحسن عمله هذا ويعدّه من مفاخره

---

۱ ـ الشمس:۷ـ ۸.

۲ ـ الكافى:۱|۱۶۳.

۳ ـ البلد: ۸ ـ ۱۰.

۴ ـ الكافى:۱|۱۶۳.

۵ ـ اثبات الهداة:۱|۸۷.

وكراماته، يقول سبحانه: (وَكَذلِكَ زُيِّنَ لِكَثيرٍ مِنَ الْمُشْرِكينَقَتْلَ أَولادِهِمْ شُرَكاؤُهُمْ) . (۱)

فقد أثر الشركاء فى عقول الوثنيين وتفكيرهم فصار القبيح حسناً والشر خيراً، يقول سبحانه: (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشاء).(۲)

وعلى هذا فليست النفس اللوامة باقية على صفاتها وقضائها الحق فى جميع الظروف والحالات بل ربما يكون قضاوَها على خلاف ما هو الحقّ، لا سيما فيمن يزاول الجرم طيلة عمره، فربما يعود فى آخر عمره يتنكر لجميع المقدسات ويسيطر فعله القبيح على آفاق فكره وإيمانه، يقول سبحانه: (ثُمَّ كانَ عاقِبَةَ الَّذِينَ أَساءُوا السُّوأى أن كَذَّبُوا بِآياتِ اللّهِ) . (۳) مراتب النفس فى الذكر الحكيم إنّالقرآن الكريم جعل للنفس الِانسانية مراتب:

۱. النفس الَامّارة، ۲. النفس اللوّامة، ۳. النفس المطمئنة، ۴. النفس الراضية المرضية، وإليك وصف هذه المراتب بنحو موجز: ۱. النفس الَامّارة إنّالنفس بطبعها تدعو إلى مشتهياتها من السيئات، فليس للاِنسان أن يبرّىَ

---

۱ ـ الَانعام:۱۳۷.

۲ ـ فاطر:۸.

۳ ـ الروم:۱۰.

نفسه من الميل إلى السوء،وإنّما له أن يكف عن أمرها بالسوء ودعوتها إلى الشر وذلك برحمة من اللّه سبحانه، يقول سبحانه نقلاً عن يوسف (عليه السلام) : (وَما أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفس لَاَمّارةٌ بالسُوء إِلاّمَا رَحِمَ رَبّى إِنَّ رَبِّى غَفُورٌ رَحِيم) . (۱)

فما أبرأ يوسف نفسه عن أمرها بالسوء، وإنّما كفّها عن ارتكاب السوء، لَانّ النفس طبعت على حب الشهوات التى تدور عليها رحى الحياة.

والَاخلاق جاءت لتعديل ذلك الميل، وجعلها فى مسير السعادة وحفظها عن الِافراط و التفريط، فالمادية نادت بالانصياع لرغبات اللّذات مهما أمكن،والرهبانية نادت بكبح جماح اللذات والشهوات والعزوف عن الحياة واللوذ فى الكهوف والَاديرة، ولكن الِاسلام راح يدعو إلى منهج وسط بينهما، ففى الوقت الذى يدعو إلى أكل الطيّبات ويندّد بمن يحرّمها، ويقول: (قُلْمَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللّهِ الّتى أَخْرجَ لِعِبادِهِ وَالطَّيّباتِ مِنَ الرِّزْق) . (۲) يأمر بكبح جماح النفس عن ارتكاب المعاصى والسيئات التى توجب الفوضى فى المجتمع وتسوقه إلى الانحلال الَاخلاقى. ۲. النفس اللوّامة النفس اللوامة وهى الضمير الذى يوَنّب الِانسان على ما اقترفه من السيئات و الآثام

خصوصاً بعد ما يفيق من سكراتها فيجد نفسه تنحدر فی دوامة الندم علی ما ارتكبه وإنابة إلی الحقّ، وهذا يدل علی أنّ النفس ممزوجة بالميل إلی الشهوات،

---

۱ ـ يوسف:۵۳.

۲ ـ الأَعراف:۳۲.

(۱۲۵)

وفی الوقت نفسه فيها ميل إلی الحقّ والعدل، ولكلّ تجلّی خاص، فانّ غلبة الشهوات يحول دون ظهور نور العقل فيقترف المعاصی والآثام، ولكنّه ما إن تخمد شهوته، حينها يصفو أمامه جمال الحياة وتنكشف مضرات اللّذة فتستيقظ النفس اللوامة وتأخذ باللوم والعذل إلی حد ربما تدفع بصاحبها إلی الانتحار، لعدم تحمله وطأة تلك الجريمة.

وهذه النفس حيّة يقظة لا تتصدع بكثرة الذنوب وإن كانت تضعف بممارستها. ۳. النفس المطمئنّة وهی النفس التی توصلها النفس اللوّامة إلی حد لاـ تعصف بها عواصف الشهوة، وتطمئن برحمة الرب وتحس بالمسوَولية الموضوعة علی عاتقها أمام اللّه وأمام المجتمع، يقول سبحانه: (يا أَيَّتُهَا النَّفْسُ المُطْمَئِنَّةُ * ارْجِعِی إِلی رَبِّكِ راضِيَةً مَرْضِيَّة) (۱) فصاحب هذه النفس يمتلیَ بالسرور والفرح عند الطاعة وتجد فی صميمها لذة للطاعة وحلاوة للعبادة لا يمكن وصفها بالقلم واللسان.

وبعبارة أُخری: النفس المطمئنّة هی التی تسكن إلی ربها وترضی بما رضی به، فتری نفسها عبداً لا يملك لنفسه شيئاً من خير أو شر أو نفع أو ضر، ويری الدنيا دار مجاز، وما يستقبله فيها من غنی أو فقر أو أی نفع وضر، ابتلاء وامتحاناً إلهياً، فلا يدعوه تواتر النعم عليه إلی الطغيان، وإكثار الفساد، والعلو والاستكبار، ولا يوقعه الفقر والفقدان فی الكفر وترك الشكر، بل هو فی مستقر من العبودية لا

---

۱ ـ الفجر:۲۷ـ ۲۸.

(۱۲۶)

ينحرف عن مستقيم صراطه بإفراط أو تفريط. (۱)

وهناك كلمة قيمة للحكيم محمد مهدی النراقی حول واقع النفوس الثلاث، يقول:

والحقّ انّها أوصاف ثلاثة للنفس بحسب اختلاف أحوالها، فإذا غلبت قوتها العاقلة علی الثلاثة الأُخر، وصارت منقادة لها مقهورة منها، وزال اضطرابها الحاصل من مدافعتها سمّيت«مطمئنة»، لسكونها حينئذٍ تحت الاَوامر والنواهی،وميلها إلی ملائماتها التی تقتضی جبلتها،وإذا لم تتم غلبتها وكان بينها تنازع وتدافع، وكلما صارت مغلوبة عنها بارتكاب المعاصی حصلت للنفس لوم وندامة سمّيت «لوامة». وإذا صارت مغلوبة منها مذعنة لها من دون دفاع سميت «أمّارة بالسوء» لاَنّه لما اضمحلت قوتها العاقلة وأذعنت للقوی الشيطانية من دون مدافعة، فكأنّما هی الآمرة بالسوء. (۲) ۴. النفس الراضية المرضية وهی النفس المتكاملة الراضية من ربّها رضی الرب منها، واطمئنانها إلی ربّها يستلزم رضاها بما قدّر وقضی تكويناً أو حكم به تشريعاً، فلا تسخطها سانحة ولا تزيغها معصية، وإذا رضی العبد من ربّه، رضی الرب منه، إذ لا يسخطه تعالی إلاّ خروج العبد من زی العبودية، فإذا لزم طريق العبودية استوجب ذلك رضی ربّه ولذا عقب قوله: «راضية» بقوله: «مرضية».

قوله تعالی: (فَادْخُلِی فِی عِبادی * وَادْخُلی جَنّتی) تفريع علی قوله: (ارجعی إِلی رَبِّكِ) وفيه دلالة علی أنّ صاحب النفس المطمئنّة فی زمرة عباد

---

۱ ـ الميزان:۲۰|۲۸۵.

۲ ـ جامع السعادات:۱|۶۳ـ ۶۴.

(۱۲۷)

اللّه حـائز مقـام العبوديـة، وذلـك انّه لمـا اطمأنّ إلى ربّه انقطع عن دعوى الاسـتقلال ورضـى بما هو الحقّ من ربّه فرأى ذاته وصـفاته وأفعاله ملكاً طلقاً لربّه فلم يرد فيما قـدر وقضـى، ولا فيما أمر ونهى، إلاّ ما أراده ربّه، وهـذا ظهور العبوديـة التامـة فى العبـد، ففى قوله: (فَادْخُلى فى عِبادى) تقرير لمقام عبوديتها.

وفى قوله:(وادْخُلى جَنَّتى) تعيين لمسـتقرها، وفى إضافـة الجنـة إلى ضـمير المتكلم تشـريف خاص، ولا يوجـد فى كلامه تعالى إضافة الجنة إلى نفسه تعالى وتقدس إلاّفى هذه الآية. (۱) هذا كلّه حول المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: فهو محـذوف معلوم بالقرينـة أى «لتبعثنّ» وإنّما حـذف للدلالة على تفخيم اليوم وعظمة أمره، قال تعالى: (ثَقُلَتْ فِى السَّماواتِ وَالاََرْضِ لا تَأْتيكُمْ إِلاّبَغْتَة) (۲) وقال: (إِنَّ السّاعَةَ آتِيَةٌ أَكادُ أُخفِيها لِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِما تَسْعى) (۳) ، وقال: (عَمّ يَتَساءَلُونَ * عَنِ النَّبَإِ العَظيم) (۴). (۵)

وأمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فواضح، فانّ الإنسان إذا بعث يوم القيامة يلوم نفسه لاَجل ما اقترف من المعاصى، إذ فى ذلك الموقف الحرج تنكشف الحجب ويقف الإنسان على ما اقترف من المعاصى والخطايا، فيندم على ما صدر منه قال سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفْسٍ ظَلَمَتْ ما فِى الاََرْضِ لاَفْتَدَتْ بِهِ وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوُا العَذابَ وَقُضِىَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَهُمْ لا يُظْلَمُونَ) (۶)، وقال سبحانه: (وَقالَ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَروا بَلْ مَكْرُ اللَّيلِ وَالنَّهارِ إِذْ تَأْمُرُونَنا أَنْ نكفُرَ باللّهِ وَنَجْعل لَهُ أَنْداداً وَأَسَرُّوا النَّدامَةَ لَمّا رَأَوا العَذابَ وَجَعَلْنا الاََغلالَفى أَعْناقِ الَّذينَ كَفَرُوا هَل يُجْزونَ إِلاّما كانوا يَعْمَلُونَ). (۷)

وبالجملة فيوم القيامة يوم الندم والملامة، ولات حين مناص.

---

۱ ـ الميزان: ۲۰|۲۸۶.

۲ ـ الاَعراف:۱۸۷.

۳ ـ طه:۱۵.

۴ ـ النبأ:۱ـ۲.

۵ ـ الميزان: ۲۰|۱۰۴.

۶ ـ يونس:۵۴.

۷ ـ سبأ:۳۳.

الفصل الثامن

الفصل الثامن القسم فى سورة المرسلات

لقد حلف سبحانه بأوصاف الملائكة ، وقال:

أ: (وَالمُرسَلاتِ عُرْفاً) .

ب: (فَالعاصِفاتِعَصْفاً) .

ج: (وَالنّاشِراتِ نَشْراً) .

د: (فَالفارِقاتِ فَرْقاً) .

هـ: (فَالْمُلْقِياتِذِكراً * عُذْراً أو نُذْراً * إِنَّما تُوعَدونَ لَواقعٌ) . (۱)

حلف سبحانه فى هذه الآيات بأمور يعبّر عنها بـ:«المرسلات، فالعاصفات، والناشرات، فالفارقات، فالملقيات ذكراً عذراً أونذراً.

وقد اختلفت كلمة المفسّرين فى تفسير هذه الاَقسام، وقد غلب عليهم تفسيرها بالرياح المرسلة العاصفة الناشرة، بيد أنّوحدة السياق تبعثنا إلى تفسيرها بأمر واحد تنطبق عليه هذه الصفات، فنقول:

١. (الْمُرْسَلاتِ عُرفاً) أى أقسم بالجماعات المرسلات من ملائكة الوحى، والعرف ـ بالضم فالسكون ـ الشعر الثابت على عنق الفرس ويشبه به الاَُمور إذا تتابعت يقال جاءُوك كعرف الفرس، يقول سبحانه: (يُنَزِّلُ الْمَلائِكَةَ

---

١ ـ المرسلات:١ ـ ٧.

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلى مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبادِهِ) (١)، ومع ذلك فقد فسر بالرياح المرسلة المتتابعة.

٢.(فَالعاصِفاتِ عَصْفاً) والعصف هو سرعة السير، والريح العاصفة بمعنى سرعة هبوبها، والمراد اقسم بالملائكة الذين يرسلون متتابعين فيسرعون فى سيرهم كالرياح العاصفة.

ومع ذلك فسر بالرياح الشديدة الهبوب.

٣. (وَالنّاشِراتِ نَشْراً) قسم آخر، والمراد نشر الصحيفة والكتاب، والمعنى أقسم بالملائكة الناشرين للصحف المكتوب عليها الوحى للنبى ليتلقاه، ومع ذلك فقد فسّرت بالرياح التى تنشر السحاب نشراً للغيث كما تلقحه للمطر.

۴. (فَالفارِقات فَرقاً) المراد به الملائكة الذين يفرقون بين الحقّوالباطل والحلال والحرام، وذلك لاَجل حمل الوحى المتكفّل ببيان الحقّ والباطل ومع ذلك فقد فسّر بالرياح التى تفرق بين السحاب فتبدّده.

۵. (فَالْمُلْقياتِ ذِكراً) المراد به الملائكة، تلقى الذكر على الاَنبياء وتلقيه الاَنبياء إلى الاَُمم.

وعلى ذلك فالمراد بالذكر هو القرآن يقرأونه على النبى، أو مطلق الوحى النازل على الاَنبياء المتلو عليهم.

ثمّ يبّن انّالغاية من إلقاء الوحى أحد الاَمرين إمّا الاِعذار أو الاِنذار، والاِعذار الاِتيان بما يصير به معذوراً، والمعنى انّه يلقون الذكر لتكون عذراً لعباده الموَمنين

---

١ ـ النحل:٢.

بالذكر وتخصيصاً لغيرهم.

وبعبارة أُخرى يلقون الذكر ليكون إتماماً للحجة على المكذبين وتخويفاً لغيرهم، هذا هو الظاهر من الآيات.

وأمّا المقسم عليه فهو قوله: (إِنَّما تُوعَدُونَ لَواقِع) وما موصولة والخطاب لعامة البشر، والمراد إنّما توعدون يوم القيامة بما فيه من العقاب والثواب أمر قطعى وواقع وإنّما عبر بواقع دون كائن، لاَنّه أبلغ فى التحقّق.

ثمّ إنّ الصلة بين المقسم به والمقسم عليه واضحة، لاَنّ أهم ما تحمله الملائكة وتلقيه هو الدعوة إلى الاِيمان بالبعث والنشور، ويوَيد ذلك قوله (عذراً أو نذراً) أى إتماماً للحجة على الكفار وتخويفاً للموَمنين كل ذلك يدل على معاد قطعى الوقوع يحتج به على الكافر ويجزى به الموَمن.

وهناك بيان للعلاّمة الطباطبائى، حيث يقول: من لطيف صنعة البيان فى هذه الآيات الست انّها مع ما تتضمن الاِقسام لتأكيد الخبر الذى فى الجواب تتضمن الحجة على مضمون الجواب وهو وقوع الجزاء الموعود، فانّ التدبير الربوبى الذى يشير إليه القسم، أعنى: إرسال المرسلات العاصفات ونشرها الصحف وفرقها وإلقاءها الذكر للنبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تدبير لا يتم إلاّمع وجود التكليف

الإلهى والتكليف لا يتم إلّامع تحتم وجود يوم معه للجزاء يجازى فيه العاصى والمطيع من المكلفين.

فالـذى أقسم تعالى به من التـدبير لتأكيـد وقوع الجزاء الموعود هوبعينه حجّـة على وقوعه كأنّه قيل: اقسم بهذه الحجّة انّ مدلولها واقع. (١)

١ ـ الميزان:٢٠|١٤٧.

(١٣١)

الفصل التاسع

الفصل التاسع القسم فى سورة النازعات

حلف سبحانه بأوصاف الملائكة خمس مرات، وقال:

(وَالنّازِعـاتِ غَرْقـاً) .

(وَالنّاشِطاتِ نَشْـطاً) .

(وَالسّابِحاتِ سَبْحـاً) .

(فَالسّابِقـاتِ سَبْقـاً) .

(فَالْمُدَبِّراتِ أَمْراً * يَوْمَ تَرْجُفُ الرّاجِفَةُ * تَتْبَعُها الرّادِفَةُ * قُلُوبٌ يَومَئِذٍ واجِفَةٌ * أَبْصارُها خاشِعَةٌ) . (١)

حلف سبحانه فى هذه السورة بطوائف وصفها بـ: النازعات، الناشطات، السابحات، السابقات، المدبرات.

النازعات من النزع، يقال: نزع الشيء جذبه من مقره، كنزع القوس عن كنانته.

والناشـطات من النشط وهو النزع أيضاً، ومنه حديث أُمّ سـلمة فجاء عمار وكان أخاها من الرضاعة ونشط زينب من حجرها، أى نزعها؛ ونشط الوحش من بلد إلى بلد إذاخرج.

١ ـ النازعات:١ ـ ٩.

(١٣٢)

والسابحات من السبح السريع فى الماء وفى الهواء، ويقال: سبح سبحاً وسباحة، واستعير لمرّ النجوم فى الفلك ولجرى الفرس.

والسابقات من السبق والمدبرات من التدبير.

وأمّا الغرق اسم أُقيم مقام المصدر، وهو الإِغراق، يقال: غرق فى النزع إذا استوفى فى حدّ القوس وبالغ فيه.

هـذه هى معانى الاَلفاظ، وأمّا مصاديقها فيحتمل أن تكون هى الملائكـة، فهى على طوائف بين نازع وناشط وسابح وسابق ومدبر، قال الزمخشـرى: أقسم سـبحانه بطوائف الملائكـة التى تنزع الاَـرواح من الاَجسـاد، وبـالطوائف التى تنشـطها أى تخرجها، وبالطوائف التى تسبح فى مضيها، أى تسرع فتسبق إلى ما أمروا به فتدبر أمراً من أُمور العباد مما يصلحهم فى دينهم أو دنياهم. (١)

والمقسم عليه محذوف وهو لتبعثنّ يدل عليه ما بعده من ذكر القيامة.

ولا يخفى انّالطائفـة الثانيـة على هـذا التفسـير نفس الطائفـة الاُولى، فالملائكـة الـذين ينزعون الاَرواح من الاَجساد هم الذين ينشـطون الاَرواح ويخرجونها، ولكن يمكن التفريق بينهما، بأنّ الطائفة الاُولى هم الموكّلون على نزع أرواح الكفار من أجسادهم بقسوة وشـدة بقرينة قوله غرقاً، وقد عرفت معناه، وأمّا الناشطات هم الموكلون بنزع أرواح المؤمنين برفق وسهولة.

والسابحات هم الملائكة التى تقبض الاَرواح فتسرع بروح المؤمن إلى الجنة، وبروح الكافر إلى النار، والسبح الإِسراع فى الحركة، كما يقال: للفرس سابح إذا أسرع فى جريه.

١ ـ الكشاف:٣|٣٠٨.

(۱۳۳)

والسابقات وهم ملائكة الموت تسبق بروح المؤمن إلى الجنة وبروح الكافر إلى النار.

فالمـدبرات أمراً المراد مطلق الملائكة المـدبرين للاُمور، ويمكن أن يكون قسم من الملائكة لكلّ وظيفة يقوم بها، فعزرائيل موكل بقبض الأرواح وغيره موكل بشيء من التدبير.

ثمّ إنّ الأشد، انطباقاً على الملائكة، هو قوله : (فالمدبرات أمراً) ، وهو قرينة على أنّ المراد من الأخيرين هم الملائكة، وبذلك يعلم أنّ سائر الاحتمالات التی تعجّ بها التفاسير لا يلائم السياق، فحفظ وحدة السياق يدفعنا إلى القول بأنّهم الملائكة.

وبذلك يتضح ضعف التفسير التالی:

المراد بالنازعات الملائكة القابضين لأرواح الكفّار، وبالناشطات الوحش، وبالسابحات السفن، وبالسابقات المنايا تسبق الآمال، وبالمـدبرات الأفلاك، ولا يخفى انّه لا صلة بين هذه المعانی وما وقع جواباً للقسم وما جاء بعده من الآيات التی تذكر يوم البعث وتحتج على وقوعه.

والآيات شديدة الشبه سياقاً بما مرّ فی مفتتح سورة الصافات والمرسلات، والظاهر انّ المراد بالجميع هم الملائكة.

يقول العلاّمة الطباطبائی: وإذ كان قوله: (فالمـدبرات أمراً) مفتتحاً بفاء التفريع الدالة على تفرع صفة التدبير على صفة السبق، وكذا قوله: (فَالسّابِقاتِ سَبْقاً) مقروناً بفاء التفريع الدالة على تفرع السبق على السبح، دلّ ذلك على مجانسة المعانی المرادة بالآيات الثلاث: (وَالسّابِحاتِ سَبحاً * فَالسّابِقاتِ سَبْقاً *

(۱۳۴)

فَالمُدبِّراتِ أَمْراً) فمدلولها أنّهم يدبرون الأمر بعدما سبقوا إليه ويسبقون إليه بعد ما سبحوا أی أسرعوا إليه عند النزول، فالمراد بالسابحات والسابقات هم المدبرات من الملائكة باعتبار نزولهم إلى ما أمروا بتدبيره. (۱) تدبير الملائكة إنّ القرآن الكريم يعرّف اللّه سبحانه هو المدبر والتوحيد فی التدبير من مراتبه فله الخلق والتدبير، ولكن هذا لا ينافی أن يكون بينه سبحانه وبين عالم الخلق وسائط فی التدبير يدبرون الاُمور بإرادته ومشيئته، ويؤدّون علل الحوادث وأسبابها فی عالم الشهود، والآيات الواردة حول تدبير الملائكة كثيرة تدل على أنّهم يقومون بقبض الأرواح وإجراء السؤال، وإماتة الكل بنفخ الصور وإحيائهم بذلك ووضع الموازين والحساب والسوق إلى الجنّة والنار.

كما أنّهم وسائط فی عالم التشريع حيث ينزلون مع الوحی ويدفعون الشياطين عن المداخلة فيه وتسديد النبی وتأييد المؤمنين.

وبالجملة هم (عِبادٌ مُكْرَمُونَ * لا يَسْبِقُونَهُ بِالقَول وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُون) (۲)

فاللّه سبحانه يجری سننه ومشيئته بأيديهم، فيقبض الأرواح بواسطتهم، وينزل الوحی بتوسيطهم،وليس لواحد منهم فی عملهم أی استقلال واستبداد، وفی الحقيقة جنوده سبحانه يقتفون أمره. (۳)

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) فی حقّ الملائكة: فمنهم سجود لا

---

۱ ـ الميزان:۲۰|۱۸۱.

۲ ـ الأنبياء:۲۶ ـ ۲۷.

۳ ـ الميزان:۲۰|۱۸۸، نقل بتلخيص.

(۱۳۵)

يركعون،وركوع لا ينتصبون، وصافّون لا يتزايلون، ومسبّحون لا يسأمون، لا يغشاهم نومُ العين، ولا سهو العقول، ولا فترة الأبدان، ولا غفلة النِّسيان، ومنهم أُمناءُ على وحيه، وألسنة إلى رُسُله، ومختلفون بقضائه وأمره، ومنهم الحفظةُلعباده والسَّدنَة لأبواب جنانه، ومنهم

الثابتة فى الَارضين السُّفلى أقدامُهُم، والمارقةُ من السماء العليا أعناقُهُم، والخارجة من الَاقطار أركانُهم، والمناسبة لقوائم العرش اكتافهم. ناكسة دونه أبصارهم، متلفِّعون تحته بأجنحتهم، مضروبة بينهم و بين من دونهم حُجُب العزَّة وأستار القدرة، لا يتوهَّمون ربَّهم بالتَّصوير، ولا يجرون عليه صفات المصنوعين، ولا يحدُّونه بالَاماكن، ولا يُشيرون إليه بالنَّظائر. (۱)

وقد عرفت أنّ المقسم عليه هو كتبعثن، وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، هو ما قدمناه فى الفصل السابق وهى انّ الملائكة هم وسائط التدبير وخلق العالم وتدبيره لم يكن سدى ولا عبثاً بل لغاية خاصة وهو عبارة عن بعث الناس ومحاسبتهم وجزائهم بما عملوا.

---

۱ ـ نهج البلاغة:۱۹ ـ ۲۰،الخطبة الُاولى.

الفصل العاشر

الفصل العاشر القسم فى سورة التكوير

قد حلف سبحانه فى سورة التكوير بالكواكب بحالاتها الثلاث، مضافاً إلى الليل المدبر، والصبح المتنفس، وقال:(فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّسِ * الْجَوارِ الكُنَّسِ * وَاللَّيْلِ إِذا عَسْعَسَ * وَالصُّبْحِ إِذا تَنَفَّسَ * إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريم * ذِى قُوَّةٍ عِنْدَ ذِى العَرْشِ مَكِينٍ * مطاعٍ ثَمَّ أَمِين) . (۱) تفسير الآيات أشار سبحانه إلى الحلف الَاوّل، أى الحلف بالكواكب بحالاتها الثلاث بقوله:

الخُنَّس، الجوار، الكنس.

كما أشار إلى الحلف بالليل إذا أدبر، بقوله: (وَاللَّيْلِإِذا عَسْعَس) .

وإلى الثالث أى الصبح المتنفس بقوله: (والصُّبْحِ إذا تَنَفَّس) .

وجاء جواب القسم فى قوله: (إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريم) فوصف الرسول بصفات خمس : كريم، ذى قوة، عند ذى العرش مكين، مطاع، ثم أمين.

فلنرجع إلى إيضاح الَاقسام الثلاثة ثمّ نعرج إلى بيان الرابطة بين المقسم به

---

۱ ـ التكوير:۱۵ ـ ۲۱.

والمقسم عليه.

أمّا الحلف الَاوّل فهو رهن تفسير الَالفاظ الثلاثة.

فقد ذكر سبحانه أوصافاً ثلاثة:

الَاوّل: الخنس: وهو جمع خانس كالطُلَّب جمع طالب، فقد فسره الراغب فى مفرداته بالمنقبض، قال سبحانه: (مِنْ شَرِّ الْوَسْواسِ الخَنّاس) أى الشيطان الذى يخنس، أى ينقبض إذا ذكر اللّه تعالى.

وقال تعالى: (فَلا أُقْسِمُ بِالْخُنَّس) أى بالكواكب التى تخنس بالنهار.

وقيل: الخنس من زحل والمشترى والمريخ، لَانّها تخنس فى مجراها أى ترجع،واخنست عنه حقه أى أخرته. (۱)

فاللفظ هنا بمعنى الانقباض أو التأخر، ولعلهما يرجعان إلى معنى واحد، فانّ لازم التأخر هو الانقباض.

الثانى: الجوار: جمع جارية، والجرى السير السريع مستعار من جرى الماء.

قال الراغب: الجرى، المرّ السريع، وأصله كمرِّ الماء.

قال سبحانه: (وَمِنْ آياتِهِ الجوارِ فِى البَحْرِ كَالَاعلام) (۲) أى السفينة التى تجرى فى البحر.

الثالث: الكنس: جمع كانس والكنوس دخول الوحش كالظبى والطير كناسه أى بيته الذى اتخذه لنفسه واستقراره فيه،وهو كناية عن الاختفاء

فالمقسم به فى الواقع هى الجوارى بما لها من الوصفين: الخنوس

---

۱ ـ مفردات الراغب: مادة خنس.

۲ ـ الشورى:۳۲.

(۱۳۸)

والكنوس، وكأنّه قال: فلا أقسم بالجوار الخنس والكنس، فقد ذهب أكثر المفسرين أنّ المراد من الجوارى التى لها هذان الوصفان هى الكواكب الخمسة السيارة التى فى منظومتنا الشمسية، والتى يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وهى عطارد، الزهرة، المريخ، المشترى، زحل و يطلق عليها السيارات المتغيرة.

وتسمية هذه الخمسة بالسيارات والبواقى بالثابتات لا يعنى نفى الجرى والحركة عن غيرها، إذ لاشك انّ الكواكب جميعها متحركات، ولكن الفواصل والثوابت بين النجوم لو كانت ثابتة غير متغيرة فتطلق عليها الثابتات، ولو كانت متغيرة فتطلق عليها السيارات، فهذه السيارات الخمسة تتغير فواصلها عن سائر الكواكب.

إذا عرفت ذلك: فهذه الجوارى الخمس لها خنوس وكنوس، وقد فسرا بأحد وجهين:

الأوّل: أنّها تختفى بالنهار، وهو المراد من الخنّس، وتظهر بالليل وهو المراد من الكنّس.

يلاحظ عليه:أنّتفسير خنس بالاختفاء لا يناسب معناها اللغوى، أعنى: الانقباض والتأخر إلاّ أن يكون كناية عن الاختفاء.

كما أنّتفسير الكنس بالظهور خلاف ما عليه أهل اللغة فى تفسيره بالاختفاء، وما ربما يقال : من أنّها تظهر فى أفلاكها كما تظهر الظباء فى كنسها (۱)

لا يخلو من إشكال، فأنّ الظباء لا تظهر فى كنسها بل تختفى فيها.

ولو سلمنا ذلك فالأولى أن يفسر الجوارى بمطلق الكواكب لا الخمسة المتغيرة________________ .

۱ ـ تفسير المراغى:۳۰|۵۷.

(۱۳۹)

الثانى: أن يقال: انّ خنوسها وانقباضها كناية عن قرب فواصلها ثمّ هى تجرى وتستمر فى مجاريها، وكنوسهاعبارة عن قربها و تراجعها قال فى اللسان: «وكنست النجوم كنساً، كنوساً: استمرت من مجاريها ثم انصرفت راجعة. (۱)

وعلى ذلك فاللّه سبحانه يحلف بهذه الأنجم الخمسة بحالاتها الثلاث المترتبة فى الليل، وهى انّها على أحوال ثلاثة.

منقبضات حينما تقرب فواصلها ثمّ إنّها بالجرى يبتعد بعضها عن بعض، ثمّ ترجع بالتدريج إلى حالتها الأُولى فهى بين الانقباض والابتعاد بالجرى ثمّ الرجوع إلى حالتها الأُولى.

(واللّيل إِذا عَسْعَس) :وقد فسر عسعس بإدبار الليل وإقباله، فإقبالها فى أوّله وإدبارها فى آخره.

والظاهر انّ المراد هو إقبالها.

قال الزجاج: عسعس الليل إذا أقبل وعسعس إذا أدبر، ولعل المراد هو الثانى بقرينة الحلف الثالث أعنى (وَالصُّبح إِذا تَنَفَّس) ،والمراد من تنفس الصبح هو انبساط ضوئه على الأُفق ودفعه الظلمة التى غشيته، وكأنّ الصبح موجود حيوى يغشاه السواد عند قبض النفس ويعلوه الضوء والانبساط عند التنفس قال الشاعر:

حتى إذا الصبح لها تنفسا * وانجاب عنها ليلها وعسعسا هذا كلّه حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه فهو قوله:(إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ

---

۱ ـ لسان العرب: مادة كنس.

(۱۴۰)

كَريم) .

الضمير فى قوله: (إِنَّهُ لَقَولُ رَسُولٍ كَريم) يرجع إلى القرآن بدليل قوله: (لقولُ رَسُولٍ) والمراد من «رسول هو جبرئيل وكون القرآن قوله لا ينافى كونه قول اللّه إذ يكفى فى النسبة أدنى مناسبة وهى انّه أنزله على قلب سيد المرسلين. قال سبحانه: (قُلْ مَنْ كانَ عَدُوّاً لِجِبْريلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللّه) (۱) وقال : (نَزلَ بِهِ الرُّوحُ الاَمينُ * عَلى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ المُنذِرين) . (۲)

ثمّ إنّه سبحانه وصفه بصفات ست:

۱. رسول: يدل على وساطته فى نزول الوحى إلى النبى.

۲. كريم: عزيز بإعزاز اللّه.

۳. ذى قوة: «ذى قدرة وشدة بالغة، كما قال سبحانه: (عَلَّمَهُ شَديدُ القُوى * ذُو مِرّةٍ فَاسْتَوى) . (۳)

۴.(عِنْدَ ذِى الْعَرش مَكين) : أى صاحب مكانة ومنزلة عند اللّه،وهى كونه مقرباً عند اللّه.

۵. مطاع:عند الملائكة فله أعوان يأمرهم وينهاهم.

۶. أمين: لا يخون بما أمر بتبليغه ما تحمّل من الوحى.

وعطف على جواب القسم قوله: (وَما صاحِبُكُمْ بِمَجْنُون) (۴) والمراد هو

---

۱ ـ البقرة:۹۷.

۲ ـ الشعراء:۱۹۳ ـ ۱۹۴.

۳ ـ النجم:۵ ـ ۶.

۴ ـ التكوير:۲۲.

(۱۴۱)

نبيّنا محمد (صلى الله عليه وآله وسلم)، وكأنّ صاحبه حلف بما حلف، للتأكيد على أمرين:

أ: القرآن نزل به جبرئيل.

ب: انّ محمّداً ليس بمجنون.

ثمّ إنّ الصلة بين المقسم به والمقسم عليه: هو انّالقرآن ـ المقسم عليه ـ حاله كحال هذه الكواكب الثوابت لديكم، فكما أنّ لهذه الكواكب، انقباض وجرى، وتراجع، فهكذا حال الناس مع هذا القرآن فهم بين منقبض من سماع القرآن، وجار وسار مع هداه، ومدبر عن هديه إلى العصر الجاهلى.

ثمّ إنّ القرآن أمام المستعدّين للهداية كالصبح فى إسفاره، فهو لهم نور وهداية، كما أنّ للمدبرين عنه، كالليل المظلم،وهو عليهم عمى ،واللّه العالم.

ثمّ إنّ فى اتهام أمين الوحى بالخيانة، والنبى الاَعظم بالجنون، دلالة واضحة على بلوغ القوم القسوة والشقاء حتى سوّغت لهم أنفسهم هذا العمل، فزين لهم الشيطان أعمالهم.

وأخيراً نود الاِشارة إلى كلمة قيمة لاَحد علماء الفلك تكشف من خلالها عظمة تلك الكواكب والنجوم، حيث يقول: لا يستطيع المرء أن يرفع بصره نحو السماوات العلى إلاّويغضى إجلالاً ووقاراً، إذ يرى ملايين من النجوم الزاهرة الساطعة، ويراقب سيرها فى أفلاكها

وتنقلها فى أبراجها، وكلّنجم و أى كوكب، وكل سديم وأى سيار، إنّما هو دنياً قائمة بذاتها، أكبر من الاَرض وما فيها وما عليها وما حولها. (۱)

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۲۵.

الفصل الحادى عشر

الفصل الحادى عشر القسم فى سورة الانشقاق

حلف سبحانه تبارك و تعالى بأُمور أربعة: الشفق ، والليل، وما وسق، و القمر، فقال: (فَلا أُقْسِمُ بِالشَّفَقِ *وَاللَّيلِ وَما وَسَقَ * وَالقَمَرِ إِذَا اتَّسَقَ * لَتَرْكَبُنَّ طَبَقاً عَنْ طَبَقٍ * فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ *وَإِذا قُرِئَ عَلَيْهِمُ الْقُرآنَ لا يَسْجُدُون) . (۱) تفسير الآيات الشفق: هو الحمرة بين المغرب والعشاء الآخرة، والمراد منه فى الآية الحمرة التى تبقى عند المغرب فى الاُفق، وقيل: البياض فيه.

والوسق: جمع المتفرق، يقال: وسقت الشىء إذا جمعته، ويسمى القدر المعلوم من الحمل كحمل البعير وسقاً، فيكون المعنى والليل و ما جمع وضمّ ممّا كان منتشراً بالنهار، وذلك انّ الليل إذا أقبل آوى كلّ شىء إلى مأواه،وربما يقال: بمعنى «ما ساق» لاَنّ ظلمة الليل تسوق كلّ شىء إلى مسكنه.

واتسق: من الاتساق بمعنى الاجتماع والتكامل فيكون المراد امتلاء القمر.

والطبق: الحال، والمراد لتركبنّ حالاً بعد حال، ومنزلاً بعد منزل،وأمراً بعد أمر_________________.

۱ ـ الانشقاق:۱۶ ـ ۲۱.

وحاصل معنى الآيات:

لا أُقسم بالشفق،وقد ذكرنا حديث «لا» و انّ معنى الجملة هو الحلف ومعناه أقسم بالحمرة التى تظهر فى الاُفق الغربى عند بداية الليل وما يظهر بعد الحمرة من بياض والمعروف فى الشفق فى لسان الاُدباء هو الحمرة ولذلك يشبهون دماء الشهداء بالشفق غير انّه ربما يستعمل فى البياض الطارئَ على الحمرة الذى هو آية ضعف الشفق ونهايته.

وأقسم بالليل لما فيه من آثار و أسرار عظيمة، فلولاـ الليل لما كان هناك حياة كالضياء، فكلّ من الليل والنهار دعامتا الحياة، قال سبحانه: (قُلْأَرَأَيْتُمْ إِنْ جعلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْلَ سَرْمداً إِلى يَوْمِ القِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهِ يَأْتِيكُمْ بِضِياءٍ أَفَلا تَسْمَعُون * قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ النَّهارَ سَرمداً إِلى يَومِ القِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيرُ اللّهِ يَأتِيكُمْ بِلَيلٍ تَسْكُنُون فيهِ أَفَلا تبصِرُون) . (۱)

ثمّ إنّه سبحانه أشار إلى ما يترتب على الليل والنهار من البركات، فقال: (وَمِنْ رَحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُاللَّيلَ وَالنَّهارَ لِتَسْكُنُوا فيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُون) (۲)ز، فخلق النهار لطلب الرزق والمعاش، كم البدن بالنوم فيه والسكن إليه وسيوافيك التفصيل فى الفصول القادمة إن شاء اللّه.

وأقسم بما وسق، أى بما جمع الليل، ولعلّه إشارة إلى عودة الاِنسان والحيوانات والطيور إلى أوكارها عند حلول الليل، فيكون الليل سكناً عاماً للكائنات الحيّة_________________.

۱ ـ القصص:۷۱ ـ ۷۲.

۲ ـ القصص:۷۳.

حلف بـالقمر عنـد اتسـاقه واكتمـاله فى الليالى الاَربع لما فيه من روعـة وجمال، ولـذلك يُشبَّه الجميل بالقمر، مضافاً إلى نوره الهادىَ الرقيق الذى يغطّى سطح الاَرض. وهو من الرقة واللطافة بمكان لا يكسر ظلمة الليل وفى الوقت نفسه ينير الطرق و الصحارى.

فهذه أقسام أربعة بينها ترتب خاص، فانّالشـفق أوّل الليل يطلع بعده القمر فى حالة البدر، فهذه الموضوعات الاَربع أُمور كونية يقع كلّ بعد الآخر حاكية عن عظمة الخالق.

وأمّـا المقسم عليه فهو قوله سـبحانه: (لَتَرْكَبُنَّ طَبقـاً عَنْ طَبَق) وهى إشـارة إلى المراحـل التى يمرّ بهـا الاِنسان فى حياته وأوضـحها هى الحياة الدنيوية ثمّ الموت ثمّالحياة البرزخية ثمّالانتقال إلى الآخرة ثمّ الحياة الاَُخروية ثمّ الحساب والجزاء.

وفى هـذه الآيـة إلماع إلى ما تقدّم فى الآية السادسة من هذه السورة، أعنى قوله سـبحانه:(يا أَيُّهَا الاِنْسانُ إِنَّكَ كادِحٌ إِلى رَبِّكَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ) . (۱)

والكدح بمعنى السعى والعناء يتضمن معنى السير.

فالآيـة تشير إلى أنّ الحياة البشـرية تتزامن مع التعب والعناء، ولكن الغايـة منها هو لقاء اللّه سـبحانه، وكأنّ هذا الكدح باق إلى حصول الغاية ، أى لقاء جزائه من ثواب وعقاب أو لقاء اللّه بالشهود.

وأمّا وجه الصـلة وهو بيان انّ الاَشواط التى يمرّ بها الاِنسان أُمور مترتبـة متعاقبـة كما هو الحال فى المقسم به أعنى الشـفق الـذى يعقبه الليل الدامس ويليه ظهور القمر________________.

۱ ـ الانشقاق: ۶.

(۱۴۵)

توضـيحه: انّ القرآن يحـدّث عن أُمور متتابعـة الوقوع وبـذات تسـلسل خاص فعندما تغيب الشـمس يظهر الشـفق معلناً عن بداية حلول الليل الـذى تتجه الكائنات الحيـة إلى بيوتها وأوكارها ثمّ يخرج القمر بدراً تاماً، فإذا كان المقسم به ذات أُمور متسلسـلة يأتى كلّ بعد الآخر فالطبقات التى يركبها الاِنسان مثل المقسم به مترتبـة متتاليـة فيبـدأ بالـدنيا ثمّ إلى عالم البرزخ ومنه إلى يوم القيامة ومنه إلى يوم الحساب.

وبـذلك يعلم وجه اسـتعجابه سـبحانه عن عـدم إيمانهم، حيث قال: (فَما لَهُمْ لا يُؤْمِنُون) فانّ هذا النظام الرائع فى الكون وحياة الاِنسان من صباه إلى شبابه ومن ثمّ إلى هرمه لدليل واضح على أنّ عالم الخلقة يدبر تحت نظر خالق مدبر عارف بخصوصيات الكون.

يقول أحد علماء الطبيعة فى هذا الصدد: إنّ جميع ما فى الكون يشهد على وجود اللّه سبحانه ويدل على قدرته وعظمته، وعندما نقوم ـ نحن العلماء ـ بتحليل ظواهر هذا الكون ودراسـتها، حتى باسـتخدام الطريقة الاسـتدلالية، فانّنا لا نفعل أكثر من ملاحظة آثار أيادى اللّه وعظمته. ذلـك هو اللّه الـذى لا نسـتطيع أن نصل إليه بالوسائل العلميـة الماديـة وحـدها، ولكننا نرى آياته فى أنفسـنا وفى كلّـذرة من ذرات هذا الوجود. (۱)

---

۱ ـ اللّه يتجلى فى عصر العلم: ۲۶.

(۱۴۶)

الفصل الثانى عشر

الفصل الثانى عشر القسم فى سورة البروج

حلف سبحانه فى سورة البروج بأُمور أربعة:

أ: (السَّماءُذات البُرُوج) : المنازل.

ب: (اليَوم المَوعُود) : القيامة.

ج: شاهد

د: مشهود.

قال سبحانه:(وَالسَّماءِ ذات البُروج *وَاليَوم المَوعُودِ *وشاهِدٍ وَمَشْهُودٍ * قُتِلَ أَصحابُالاُخدُودِ * النارِ ذات الوَقُودِ *إِذْ هُمْ عَلَيْها قُعُودٌ *وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُوَمِنينَ شُهُودٌ * وَما نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلاّأَنْ يُوَمِنُوا بِاللّهِ العَزيزالحَميد) . (١)

فأقسم سبحانه بالعالم العلوى وهو السماء وما فيها من المنازل التى هى أعظم الاَمكنة وأوسعها ثمّ أقسم بأعظم الاَيّام وأجلّها الذى هو مظهر ملكه وأمره ونهيه وثوابه وعقابه، ومجمع أوليائه وأعدائه والحكم بينهم بعلمه وعدل.

ثم أقسم بكلّ شاهد ومشهود ـ إذا كان اللام للجنس ـ فيكون المراد كلّ مدرِك ومدرَك وراع ومرعى، والمصداق البارز له هو النبيالذى سمّى شاهداً كما سيوافيك، كما أنّ المصداق البارز للمشهود هو يوم القيامة، فلنرجع إلى تفسير الآيات.

---

١ ـ البروج:١ ـ ٨.

(١٤٧) تفسير الآيات أمّا السماء: فكلّ شيء علاك فهو سماء، قال الشاعر فى وصف فرسه:

واحمر كالديباج أمّا سماوه * فريّاً وأمّا أرضه فمحول وقال بعضهم كلّ سماء بالاِضافة إلى ما دونها فسماء، وبالاِضافة إلى ما فوقها فأرض وسمى المطر سماءً لخروجه منها.

وأمّا البروج واحدها برج ويطلق على الاَمر الظاهر وغلب استعماله فى القصر العالى لظهوره على الناظرين، ويسمّى البناء المعمول على سور البلد للدفاع برجاً، والمراد هنا مواضع الكواكب من السماء.

وربما يفسر بالمنازل الاثنى عشر للقمر، لاَنّ القمر يصير فى كلّبرج يومين وثلث يوم، وذلك ثمانية وعشرون يوماً، ثمّ يستتر ليلتين ثمّ يظهر.

وربما يفسر بمنازل الشمس فى الشمال والجنوب، ولكن الاَولى ما ذكرناه منازل النجوم على وجه الاِطلاق.

واليوم الموعود عطف على السماء وهو يوم القيامة الذى وعد اللّه سبحانه أن يجمع فيه الناس ويوم الفصل والجزاء الذى وعد اللّه به على ألسنة رسله وفيه يتفرد ربّنا بالملك والحكم.

وقد وعد اللّه سبحانه به فى القرآن الكريم غير مرّة وقال:

(وَيَقُولُونَ مَتى هذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقين) . (١_____________)

١ ـ يونس:۴٨.

(١۴٨)

وقال: (أَلا إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَلكِنّ أَكْثَرهُمْ لا يَعْلَمُون) . (١)

وقال تعالى: (وَكَذلِكَ أَعْثَرْنا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنّوَعْدَ اللّهِ حَقّ) . (٢)

إلى غير ذلك من الآيات التى سمّى اللّه سبحانه فيها ذلك اليوم بوعد اللّه.

وشاهد ومشهود، اللفظان معطوفان على السماء والجميع قسم بعد قسم، وأمّا ما هو المقصود؟ فالظاهر انّ الشاهد هو من عاين الاَشياء وحضرها،وأوضحه مصداقاً هو النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) لاَنّه سبحانه وصفه بكونه شاهداً، قال: (يا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنّا أَرْسَلْناكَ شاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذيراً * وَداعِياً إِلى اللّهِ بِإِذْنِهِ وَسِراجاً مُنيراً) . (٣)

نعم تفسيره بالنبى الخاتم (صلى الله عليه وآله وسلم) من باب الجرى والتطبيق على أفضل المصاديق وإلاّـ فله معنى أوسع، يقول سبحانه: (وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرى اللّه عَمَلكُمْ وَرَسُولُهُ وَالمُؤْمِنونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلى عالِمِ الْغَيبِ وَالشَّهادةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِما كُنْتُمْ تَعْمَلُون) (۴) فقد عدّ

المؤمنين شهوداً على الاَعمال، فإنّ الغاية من الروَية هو الشهود.

وتدل الآيات على أنّ نبى كلّأُمّة شاهد على أُمّته، قال سبحانه:(وَإِنْ مِنْ أَهْلِالكِتابِ إِلاّليُؤْمِنَنَّ بِهِ قَبْلَ مَوْتِهِ وَيَومَ القِيامَةِ يَكُونُ عَلَيْهِمْ شَهيداً) . (۵)

وأمّا المشهود فالمراد منه يوم القيامة، لاَنّه من صفات يومها، قال سبحانه:

---

۱ ـ يونس:۵۵.

۲ ـ الكهف:۲۱.

۳ ـ الاَحزاب:۴۵.

۴ ـ التوبة:۱۰۵.

۵ ـ النساء:۱۵۹.

(ذلِكَ يَومٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النّاسُ وَذلِكَ يَومٌ مَشْهُود) (۱) والمراد به (ذلك يوم مجموع له الناس) أى يجمع فيه الناس كلّهم الاَوّلون والآخرون منهم للجزاء والحساب والهاء فى له راجعة إلى اليوم (وَذلِكَ يَوْمٌ مَشْهُود) أى يشهده الخلائق كلّهم من الجن والاِنس وأهل السماء وأهل الاَرض أى يحضره ولا يوصف بهذه الصفة يوم سواه وفى هذا دلالة على إثبات المعاد وحشر الخلق. (۲)

هذا كلّه حول المقسم به، وأمّا المقسم عليه فيحتمل أن يكون أحد أمرين:

أ: (قُتِلَ أَصحابُالاَُخْدُود) وفسره بقوله:(النّارِ ذات الوقُود) أى أصحاب الاَُخدود هم أصحاب النّار التى لها من الحطب الكثير ما يشتد به لهيبها، ويكون حريقها عظيماً، ولهيبها متطايراً.

ثمّأشار إلى وصف آخر لهم(إِذْ هُمْ عَلَيها قُعُود) أى أحرقوا المؤمنين بالنار وهم قاعدون حولها يشرفون عليهم وهم يعذبون بها ويوضحه قوله فى الآية اللاحقة: (وَهُمْ عَلى ما يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنينَ شُهُود) أى أُولئك الجبابرة الذين أحرقوا المؤمنين كانوا حضوراً عند تعذيبهم يشاهدون ما يُفعل بهم، وفى هذا إيماء إلى قسوة قلوبهم، كما فيه إيماء إلى قوة اصطبار المؤمنين وشدّة جلدهم ورباطة جأشهم.

وأمّا الصلة بين ما حلف به من السماء ذات البروج واليوم الموعود وشاهد ومشهود وجواب القسم فهى انّه سبحانه حلف بالسماء ذات البروج والبروج آية الدفاع حيث كان أهل البلد يدافعون من البروج المبنية على سور البلد عن بلدهم، قال سبحانه: (وَلَقَدْجَعَلْنا فِى السَّماءِبُرُوجاً وَزَيَّنّاها لِلنّاظرين *وَحَفِظْناها مِنْ كُلّ

---

۱ ـ هود:۱۰۳.

۲ ـ مجمع البيان:۵|۱۹۱.

شَيطانٍ رَجِيم) . (۱)

فحلف سبحانه بالسماء ذات البروج فى المقام مبيناً بأنّ اللّه الذى كما يدفع بالبروج عن السماء كيد الشياطين كذلك يدفع عن إيمان المؤمنين كيد الشياطين وأوليائهم من الكافرين.

ثمّ أقسم باليوم الموعود الذى يجزى فيها الناس بأعمالهم فهو يجزى أصحاب الاَُخدود بأعمالهم، وأقسم بالشاهد الذى يشاهد أعمال الآخرين، وأقسم بمشهود أى كل ما يشهده الشاهد وهو انّه سبحانه تبارك وتعالى يعاين أعمالهم ويشاهدها.

ویمکن أن یکون جواب القسم، قوله سبحانه: (إِنَّ الَّذِینَ فَتَنُوا الْمُوْمِنینَ وَالْمُوْمِناتِ ثُمَّ لَمْ یَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذابُ الْحَریق *إِنَّ الَّذینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ لَهُمْ جَنّاتٌ تَجْری مِنْ تَحْتِهَا الاَنْهارُ ذلِکَ الْفَوزُ الکَبیر) . (۲)

فاللّه سبحانه یوعد الکفّار ویعد الموَمنین.

وأمّا وجه الصلة فواضح أیضاً بالنسبة إلی ما ذکرنا فی الوجه الاَوّل، ویحتمل أن یکون الجواب قوله: (إِنَّ بَطْشَ رَبِّکَ لَشدِید *إِنَّهُ هُوَ یُبْدِیَُ وَیُعِید) (۳)

والمناسبة تلک المناسبة فلا نطیل.

ویحتمل أن یکون الجواب محذوفاً یدل علیه الآیات المتقدمة، والمحذوف کالتالی:

إیعاد الفاتنین ووعد الموَمنین وهکذا_______________.

۱ ـ الحجر:۱۶ـ ۱۷.

۲ ـ البروج:۱۰ـ ۱۱.

۳ ـ البروج: ۱۲ـ ۱۳.

(۱۵۱)

الفصل الثالث عشر

الفصل الثالث عشر القسم فی سورة الطارق

حلف سبحانه بأمرین: بالسماء والطارق، ثمّ فسر الطارق بالنجم الثاقب، حلف بهما بغیة دعوة الناس إلی الاِذعان بأنّ لکلّ نفس حافظ.

قال سبحانه: (وَالسَّماءِ وَالطّارِقِ *وَما أَدْراکَ مَا الطّارِقُ *النَّجْمُ الثاقِبُ * إِنْکُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَیْها حافِظ) . (۱)

أمّا السماء فقد مرّ البحث فیه، والطارق من الطرق ویسمّی السبیل طریقاً، لاَنّه یطرق بالاَرجل أی یضرب، لکن خصّ فی العرف بالآتی لیلاً، فقیل انّه طرق أهله طروقاً، وعبر عن النجم بالطارق لاختصاص ظهوره باللیل.

النجم الثاقب والثاقب الشیء الذی یثقب بنوره وإصابته مایقع علیه، قال سبحانه: (فأَتْبَعهُشِهابٌ ثاقِب) . (۲)

(إِنْکُلُّ نَفْسٍ لَمّا عَلَیْها حافِظ) فلفظة (لما) بمعنی إلاّـ نظیر قوله سبحانه:(وإِنَّ کُلًا لَمّا لَیُوَفِّیَنَّهُمْ رَبُّکَ أَعمالَهُم) (۳) ونظیره قولک: «سألتک باللّه لما فعلت_______________».

۱ ـ الطارق:۱ـ ۴.

۲ ـ الصافات:۱۰.

۳ ـ هود:۱۱۱.

(۱۵۲)

والمراد من حافظ هم الموکلون علی کتابة أعمال الاِنسان حسنها وسیئها، یحاسب علیها یوم القیامة ویجزی بها فالحافظ هو الملک والمحفوظ هو العمل، قال تعالی:(وإِنَّ عَلَیْکُمْ لَحافِظِینَ * کِراماً کاتِبین * یَعْلَمُونَ ما تَفْعَلُون) (۱) ویحتمل أن یراد من حافظ هو القوة الحافظة للاِنسان من الموت وفساد البدن ولعلّه إلیه یرشد قوله سبحانه: (وَهُوَ القاهِرُ فَوقَ عِبادِهِ وَیُرْسِلُعَلَیْکُمْ حَفَظَة) . (۲)

والقوی الظاهریة والمادیة والمعنویة التی هی من جنود ربنا والتی وکّلت لحفظ الاِنسان من الشر إلی أن ینقضی عمره، هم الحفظة، ولکن المعنی الاَوّل هو الاَنسب.

بقی هنا أمران:

الاَوّل: انّ المراد من النجم الثاقب هو کوکب زحل، فانّه من أبعد النجوم فی مجموعتنا الشمسیة التی یمکن روَیتها بالعین المجردة

وقیل لزحل عشرة أقمار یمکن روَیهٔ ثمانیهٔ منها بالناظور العادی.

ولا یمکن روَیهٔ الآخرین إلاّ بالنواظیر الکبیرهٔ، والظاهر انّ المراد مطلق النجم الذی یثقب ضوءه وإن کان زحل من أظهر مصادیقه.

وأمّا المقسم علیه فهو قوله:(إِنْ کُلّ نَفْسٍ لَمّا عَلیها حافِظ) .

وأمّا الصلهٔ بینهما بالنحو التالی:

هو انّ السماء العالیهٔ والنجوم التی تتحرک فی مدارات منظمهٔ دلیل النظم والحساب الدقیق، فلیعلم الاِنسان بأنّ أعماله أیضاً تخضع للحساب الدقیق، فانّ

---

۱ ـ الانفطار : ۱۰ ـ ۱۲.

۲ ـ الاَنعام: ۶۱.

(۱۵۳)

هناک من یحفظ أعماله ویسجّلها إن خیراً فخیر، وإن شرّاً فشر، وانّها لمسوَولیهٔ عظیمهٔ یحملها الاِنسان، إذ ما من أحد إلاّ وهو مراقب، تکتب علیه کلّ أعماله من المهد إلی اللحد، فلیس من شیء یضیع فی هذه الدنیا أبداً. هذا إذا قلنا بأنّ المراد من حافظ هو حافظ الاَعمال، وأمّا إذا فسرت من یحفظ الاِنسان من الحوادث والمهالک، فالصلهٔ بالنحو التالی:

وهو انّ للنفوس رقیباً یحفظها ویدبر شوَونها فی جمیع أطوار وجودها حتی ینتهی أجلها، کما أنّ للسماء مدبراً لشوَونها بما تحتویه من أنظمهٔ رائعهٔ ومعقدهٔ، فالفضاء الکونی فسیح جداً تتحرک فیه کواکب لا حصر لها، بسرعهٔ خارقهٔ، بعضها یواصل رحلته وحده، ومنها أزواج تسیر مثنی مثنی، ومنها ما یتحرک فی شکل مجموعات، والکواکب علی کثرتها یواصل کلّ واحد منها سفره علی بُعد عظیم یفصله عن الکواکب الاُخری.

إنّ هذا الکون یتألف من مجموعات کثیرهٔ من الکواکب والنجوم تسمّی مجامیع النجوم، وکلّها تتحرک دائماً وتدور فی نظام رائع.

ومع هذا الدوران تجری حرکهٔ أُخری وهی انّ هذا الکون یتسع من کلّجوانبه، کالبالون المتخذ من المطاط، وجمیع النجوم تبتعد فی کلّ ثانیهٔ بسرعهٔ فائقهٔ عن مکانها، هذه الحرکهٔ المدهشهٔ تحدث طبقاً لنظام وقواعد محکمهٔ بحیث لا یصطدم بعضها ببعض ولا یحدث اختلاف فی سرعتها. (۱_______________)

۱ ـ الاِسلام یتحدی: ۵۸.

الفصل الرابع عشر

الفصل الرابع عشر القسم فی سورهٔ الفجر

حلف سبحانه فی سورهٔ الفجر بأُمور خمسهٔ:

۱. الفجر، ۲. لیال عشر، ۳. الشفع، ۴. الوتر، ۵. اللیل إذا یسر

وقال: (وَالْفَجْرِ * وَلَیالٍ عَشْرٍ * وَالشَّفعِ وَالْوَتْرِ * واللَّیلِ إذا یَسْرِ * هَلْ فی ذلِکَ قَسَمٌ لِذی حِجْر). (۱) تفسیر الآیات اختلف المفسرون فی تفسیر هذه الاَقسام إلی أقوال کثیرهٔ، غیر انّ تفسیر القرآن بالقرآن یدفعنا إلی أن نفسره بما ورد فی سائر الآیات.

أمّا الفجر: فهو فی اللغهٔ، کما قال الراغب: شق الشیء شقاً، قال سبحانه: (وَفَجَّرنا الاََرض عُیُوناً) وقال:(وَفجّرنا خلالها نَهْراً) ومنه قیل للصبح، الفجر لکونه یفجر اللیل، وقد استعمل الفجر بصورهٔ المصدر فی فجر اللیل، قال: (أَقِمِ الصَّلاهَ لِدُلُوکِ الشَّمْس إِلی غَسَقِ اللَّیل وَقُرآنَ الفَجْرِ إِنَّ قُرآنَ الْفَجْرِ کانَ مَشْهُوداً) (۲)

.، وقال سبحانه: (حَتّی یَتَبَیَّنَ لَکُمُ الْخَیطُ الاََبْیَضُ مِنَ الْخَیْطِالاََسْوَد مِنَ الْفَجْرِثُمَّ

____

۱ ـ الفجر:۱ـ ۵.

۲ ـ الإِسراء:۷۸.

(۱۵۵)

أَتِمُّوا الصِّيامَ إِلَى اللَّيل) (۱) وقال سبحانه: (سَلامٌ هِىَ حَتّى مَطْلَعِالْفَجْ(۲)) .

وعلى ضوء هـذا فلو كـان اللامـ للجنس، فهو محمول على مطلق الفجر، أعنى: انفجـار الصـبح الصـادق، وإن كـان مشيراً إلى فجر ليل خاص فهو يتبع القرينهٔ، ولعلّ المراد فجر الليلهٔ العاشرهٔ من ذى الحجهٔ الحرام.

(وليال عشر) فقد اختلف المفسرون فى تفسير الليالى العشر، فذكروا احتمالات ليس لها دليل.

أ: الليالى العشر من أوّل ذى الحجهٔ إلى عاشرها، والتنكير للتفخيم.

ب: الليالى العشر من أوّل شهر محرم الحرام.

ج: العشر الاَواخر من شهر رمضان وكلّمحتمل، ولعل الاَوّل أرجح.

وأمّا الشـفع: فهو لغـهٔ ضمّ الشـىء إلى مثله،فلو قيل للزوج شـفع، لاَجل انّه يضم إليه مثله، والمراد منه هو الزوج بقرينهٔ قوله والوتر، وقد اختلفت كلمتهم فيما هو المراد من الشفع والوتر.

۱. الشفع هو يوم النفر ، والوتر يوم عرفهٔ وإنّما أقسم اللّه بهما لشرفهما.

۲. الشفع يومان بعد النحر ، والوتر هو اليوم الثالث.

۳. الوتر ما كان وتراً من الصلوات كالمغرب والشفع ما كان شفعاً منها.

إلى غير ذلـك من الاَـقوال الـتى أنهاهـا الرازى إلى عشـرين وجهـاً، ويحتمـل أن يكون المراد من الوتر هو اللّه سـبحانه، والشـفع سـائر الموجودات______________.

۱ ـ البقرهٔ:۱۸۷.

۲ ـ القدر:۵.

(۱۵۶)

(وَاللّيل إذا يَسر) : أمّا الليل فمعلوم، وأمّا قوله يسر ، فهو من سرى يسرى فحذف الياء لاَجل توحيد فواصل الآيات، ويستعمل الفعل فى السير فى الليل، كما فى قوله سبحانه: (سُبْحانَ الّذى أَسرى بِعَبْدِهِ لَيلاً مِنَ الْمَسْـجِدِ الحَرام إِلى الْمَسْـجِدِ الاََقصـى) (۱) ،فالليل ظرف والسارى غيره، ولكن الآيهٔ نسبت الفعل إلى نفس الليل فكأنّ الليل موجود حقيقى له سير نحو الاَمام فهو يسير إلى جانب النور، فاللّه سبحانه حلف بالظلام المتحرك الذى سينجلى إلى نور النهار.

مضافاً إلى ما فى الليل من عظائم البركات التى لا تقوم الحياهٔ إلاّبها.

هـذا مـا يرجع إلى مجموع الآيـهٔ ونعود إلى الآيـات بشـكل آخر، فنقول: امّـا الفجر فقـد حلف به سـبحانه بصورهٔ أُخرى أيضـاً، وقـال: (وَالصُّبح إِذا أَسْفَرَ) (۲)

وقال تبارك وتعالى: (وَالصُّبـح إِذا تَنَفَّس(۳))، والمراد من الجميع واحد، فإنّ إسـفار الصـبح فى الآيهٔ الاُولى هو طلوع الفجر الصادق، فكـأنّ الصبح كـان مسـتوراً بظلامـ الليل، فهو رفع السـتار وأظهر وجهه، ولـذلك اسـتخدم كلمـهٔ أسـفر يقال: أسـفرت المرأهٔ: إذا رفع حجابها.

ويعود سـبب تعاقب الليل والنهار إلى دوران الاَرض حول الشـمس، فبسـبب كرويّتها لا تضـيىَ الشـمس سائر جهاتها فى آن واحـد بل تضـيىَ نصـفها فقـط ويبقى النصف الآـخر مظلماً حتى يحاذى الشـمس بـدوران الاَرض فيأخـذ حظه من الاسـتنارهٔ، وتتم الاَرض هـذه

الدورة فى أربعة وعشرين ساعة.

كما أنّ المراد من الآية الثانية أعنى: (والصبح إِذا تَنَفَّس) هو انتشار نوره،

---

۱ ـ الإِسراء:۱.

۲ ـ المدثر:۳۴.

۳ ـ التكوير:۱۸

(۱۵۷)

فعبّر عنه بالتنفّس، فكأنّه موجود حى يبث ما فى نفسه إلى الخارج، أمّا عظمة الفجر فواضحة، لاَنّ الحياة رهن النور، وطلوع الفجر يثير بارقة الاَمل فى القلوب حيث تقوم كافة الكائنات الحية إلى العمل وطلب الرزق.

وأمّا الليالى العشر فهى عبارة عن الليالى التى تنزل فيها بركاته سبحانه إلى العباد، سواء فسرت بالليالى العشر الاَُولى من ذى الحجّة أو الليالى العشر من آخر شهر رمضان. فالليل من نعمه سبحانه حيث جعله سكناً ولباساً للاِنسان وقال: (وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِباساً) (۱) كما جعله سكناً للكائنات الحية حيث ينفضون عن أنفسهم التعب والوصب، قال سبحانه: (فالِقُ الاِصْباحِ وَجَعَلَ اللَّيلَ سَكَناً). (۲)

وأمّا الشفع والوتر، فقد جاء مبهماً وليس فى القرآن ما يفسر به فينطبق على كلّ شفع ووتر، وبمعنى آخر يمكن أن يراد منه صحيفة الوجود من وتره كاللّه سبحانه وشفعه كسائر الموجودات.

وأمّا قوله: (واللَّيل إِذا يسر) أقسم بالليل إذا يمضى ظلامه، فلو دام الليل دون أن ينجلى لزالت الحياة، يقول سبحانه: (قُلْ أَرَأَيْتُمْ ان جَعَلَ اللّهُ عَلَيْكُمُ اللَّيْل سَرْمداً إِلى يَوم القِيامَةِ مَنْ إِلهٌ غَيْرُ اللّهيَأْتِيكُمْ بِضياءٍ أَفَلا تسْمَعُون) . (۳)

فتبين مما سبق منزلة المقسم به فى هذه الآيات وانّها تتمتع بالكرامة والعظمة. وأمّا المقسم عليه فيحتمل وجهين:

أحدهما: انّه عبارة عن قوله سبحانه: (إِنَّ رَبّكَ لَبِالْمِرصاد).(۴)

---

۱ ـ النبأ:۱۰.

۲ ـ الاَنعام:۹۶.

۳ ـ القصص:۷۱.

۴ ـ الفجر:۱۴.

(۱۵۸)

ثانيهما: انّ المقسم عليه محذوف يعلم من الآيات التى أعقبت هذه الاقسام، قال سبحانه: (أَلَمْ تَرَكَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعادٍ * إِرَمَ ذات الْعِماد * التّى لَمْ يُخْلَق مِثْلُها فِى البِلاد * وَثَمُودَ الّذِينَ جابُوا الصَّخرَ بِالواد * وَفِرْعَونَ ذى الاََوتاد * الَّذينَ طَغَوْا فِى البِلاد * فَأَكْثَروا فِيهَا الفَسادَ * فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبّكَ سَوطَ عَذابٍ * إِنَّ رَبّكَ لَبِالْمِرصاد) . (۱)

فالمفهوم من هذه الآيات انّه سبحانه حلف بهذه الاَقسام بغية الاِيعاد بأنّه يعذب الكافرين والطاغين والعصاة كما عذب قوم عاد وثمود، فالاِنسان العاقل يعتبر بما جرى على الاَُمم الغابرة من إهلاك وتدمير.

أمّا وجه الصلة بين المقسم به والمقسم عليه فهو: انّ من كان ذا لبٍّ، علم أنّ ما أقسم اللّه به من هذه الاَشياء فيه دلائل على قدرته وحكمته، فهو قادر على أن يكون بالمرصاد لاَعمال عباده فلا يعزب عنه أحد ولا يفوته شيء من أعمالهم لاَنّه يسمع ويرى جميع أقوالهم وأفعالهم خصوصاً بالنظر إلى ما أدَّب به قوم عاد وثمود مع ما كان لهم من القوة والمنعة.

---

۱ ـ الفجر:۶ـ ۱۴.

الفصل الخامس عشر

الفصل الخامس عشر القسم فى سورة البلد

حلف سبحانه فى سورة البلد بأُمور أربعة: البلد ، و من حلّ فيه ، ووالد ، وما ولد، وقد حلف بالثانى كناية وبما سواه تصريحاً، قال سبحانه:(لا أُقْسِمُ بِهذَا الْبَلَدِ * وَأَنْتَ حِلٌّ بهذا البَلَدِ * وَوالِدٍ وَما وَلَدَ * لَقَدْخَلَقْنَا الإِنْسان فى كَبد). (۱) تفسير الآيات حلف فيها سبحانه بمكة المكرمة كما حلف بالنبى «صلى الله عليه وآله وسلم» الحالّ فيها ، ومقتضى التناسب بين الاَقسام أن يكون المراد من الوالد والولد، هو إبراهيم وإسماعيل اللذان بنيا البيت، ودعا إبراهيم كلّراكب وراحل إلى زيارته.

أمّا الحلف الاَوّل فواضح، لاَنّ البيت مركز للتوحيد ولعبادة اللّه سبحانه، وهو مطاف أنبياء اللّه العظام وأوليائه، فقد بلغ من المكانة مرتبة صلح أن يحلف به سبحانه، كيف وقد قال سبحانه فى حق البيت: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ للنّاسِلَلَّذى بِبَكَّةَ مُباركاً وهُدًى لِلْعالَمين). (۲) قال سبحانه: (وَإِذْجَعَلْنَا الْبَيْت مثابَةً لِلنّاسِ وَأَمْناً) (۳) وقال: (جَعَلَ اللّهُ

---

۱ ـ البلد:۱ـ ۴.

۲ ـ آل عمران:۹۶.

۳ ـ البقرة:۱۲۵.

الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرامَ قِياماً لِلنّاسِ) (۱) فلو حلف بالبلد، فإنّما لاَجل احتضانه أشرف بيوت اللّه، ويزيد على شرفه انّ النبى الخاتم، قطين هذا البلد، ونزيله، فزاده شرفاً على شرف،والحل هو الساكن.

وبذلك يعلم أنّ ذكره (صلى الله عليه وآله وسلم) بهذا النحو هو فى الواقع حلف ضمنىّ به.

وهذا التفسير مبنى على أنّ المراد من الحلِّ هو نزول النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بهذا البلد، ولكن ربما يفسر بالمستحلّ، أى من استحلت حرمته وهتكت كرامته، وعند ذلك ينقلب معنى الآية إلى شىء آخر، ويكون معناها هو: لا أُقسم بهذا البلد المقدّس حال انّك مهتوك الحرمة والكرامة، ويكون توبيخاً وتقريعاً لكفّار قريش حيث إنّهم يحترمون البلد، ولاـ يحترمون من حلَّ فيه أشرف الخليقة.

وعلى ذلك فيكون «لا» فى (لا أُقسمُ) بمعنى النفى لا الزيادة، ولا بمعنى نفى شىء آخر على ما قدمناه فى تفسير سورة الواقعة.

يقول الزمخشرى: أقسم سبحانه بالبلد الحرام وما بعده على أنّ الاِنسان خلق مغموراً فى مكابدة المشاق والشدائد، واعترض بين القسم والمقسم عليه بقوله: (وَأَنْتَ حِلٌّ بِهذا الْبَلَد) يعنى: ومن المكابدة أنّمثلك على عظم حرمتك يُستحل بهذا البلد الحرام، كما يُستحلّ الصيد فى غير الحرم، عن شرحبيل يحرّمون أن يقتلوا بها صيداً ويعضدوا بها شجرة ويستحلون إخراجك وقتلك، وفيه تثبيت من رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) وبعث على احتمال ما كان يكابد من أهل مكة وتعجيب من حالهم فى عداوته. (۲)

وقال الطبرسى: معناه لا أقسم بهذا البلد وأنت حلّفيه منتهك الحرمة

---

۱ ـ المائدة:۹۷.

۲ ـ الكشاف:۳|۳۳۸.

(١۶١)

مستباح العرض لا تحترم، فلم يبق للبلد حرمة حيث هتكت حرمتک ، قال وهو المروى عن أبى مسلم كما روى عن أبى عبد اللّه (عليه السلام) ، قال: كانت قريش تعظم البلد وتستحل محمداً فيه، فقال: لا أُقسم بهذا البلد وأنت حلّ بهذا البلد يريد انّهم استحلوک فكذبوک وشتموک، وكان لا يأخذ الرجل منهم قاتل أبيه فيه ويتقلدون لحاء شجر الحرم فيأمنون بتقليده إيّاه فاستحلوا من رسول اللّه مالم يستحلوا من غيره فعاب اللّه ذلک عليهم. (١)

ثمّ حلف بوالد وما ولد وللمفسرين فى تفسيره أقوال أوضحها بأنّ الوالد هو إبراهيم الخليل والولد إسماعيل الذبيح وهذا يتناسب مع القسم بمكة، لاَنّ الوالد والولد هما رفعا قواعد البيت.

وأمّا تفسيرها بآدم وذريته، أو آدم والاَنبياء، أو آدم وكلّ من ولد عبر القرون تفسير بعيد.

هذا كلّه حول القسم، وأمّا المقسم عليه، فقوله سبحانه:(لَقَدْخَلَقْنَا الاِنْسانَ فى كَبد). (٢)

والكبد فى اللغة شدّة الاَمر ومنه تكبد البلد إذا غلظ واشتد، ومنه الكبد للاِنسان ،لاَنّه دم يغلظ ويشتد، وتكبّد البلد: إذا صار كالكبد، ومعنى الآية واضح، فانّ الاِنسان منذ خلق إلى أن أدرج فى أكفانه لم يزل يكابد أمراً فأمراً، فمن حمله وولادته ورضاعه وفطامه وشبابه وكماله وهرمه كلّذلک محفوف بالتعب والوصب، يقول الشاعر______________:

١ ـ مجمع البيان:۵|۴۹۳.

٢ ـ البلد:۴.

(١۶٢)

يا خاطب الدنيا الدَّنيّـ * ـة إنّها شَرَکُ الرَّدى

دارٌ متى ما أضحكت * فى يومها أبكت غدا

وإذا أظلَّ سحابها * لم ينتقع منه صدى

غاراتُها ما تنقضى * وأسيرها لا يُفتدى (١) ويرثى التهامى ولده فى قصيدة معروفة مبتدئاً بوصف الدنيا، ويقول:

حكم المنية فى البرية جار * ما هذه الدنيا بدار قرار

بينا يُرى الاِنسان فيها مخبراً * حتى يرى خبراً من الاخبار

طُبعتْ على كدر وأنت تريدها * صفوا من الاقدار والاكدار

ومكلِّف الاَيام ضدَّ طباعها * متطلب فى الماء جذوةَ نار

وإذا رجوت المستحيل فإنّما * تبنى الرجاء على شفير هار

فالعيش نوم والمنية يقظة * والمرء بينهما خيال سار (٢)

---

١ ـ مقامات الحريرى:٢٢۵، المقامة الثالثة والعشرون الشعرية.

٢ ـ شهداء الفضيلة: ٢۶.

(١۶٣)

رحم اللّه شيخنا الوالد آية اللّه الشيخ محمد حسين السبحانى (١٢٩٩ـ١٣٩٢هـ) فقد كان فى أواخر أيام عمره طريح الفراش فزارته ابنته «فاطمة» وكنت أرافقها فسألناه عن حاله فأنشدَ بيتاً من لامية العجم للطغرائى وقال:

ترجو البقاء بدار لا ثبات لها * فهل سمعت بظل غير منتقل أمّا الكلام حول الدنيا ومصاعبها وما احتضنت من التعب والوصب، فيكفى فى ذلک قراءة خطب الاِمام أمير المؤمنين (عليه السلام) ، ننقل منها هذه الشذرات:

«أمّا بعد، فإنّی أحذرکم الدنیا، فإنّها حلوة خضرة، حفّت بالشهوات، وتحبّبت بالعاجلة. وراقت بالقلیل، وتحلّت بالآمال، وتزیّنت بالغرور، لا تدوم حبرتها، ولا تؤمن فجعتها، غرّارة ضرّارة، حائلة زائلة، نافدة بائدة، أکّالة غوّالة، لا تعدو ـ إذا تناهت إلی أُمنیة أهل الرغبة فیها والرضاء(الرضی) بها ـ أن تکون کما قال اللّه تعالی سبحانه: (کَماءٍ أَنْزَلْناهُ مِنَ السَّماءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَباتُ الاََرْض فَأَصْبَحَهَشیماً تَذروهُ الریاح وَکانَ اللّهُ عَلی کُلِّ شَیءٍ مُقتدراً) (۱) لم یکن امروٌ ومنها فی حبرة إلاّـ أعقبته بعدها عبرة، ولم یلق فی سرّائها بطناً، إلاّمنحته من ضرّائها ظهراً.

(۲)"أوقال (علیه السلام) فی خطبة أُخری:

«ألاـ وإنّ الدنیا قد تصرَّمت، وآذنت بانقضاء، وتنکَّر معروفها، وأدبرت حذّاء، فهی تحفز بالفناء سکّانها(ساکنیها)، وتحدو بالموت جیرانها، وقد أمرّ فیها ما کان حلواً، وکدر منها ما کان صفواً، فلم یبق (تبق) منها إلاّسملة کسملة الإِداوة أو جرعة کجرعة المقلة، لو تمزّزها الصّدیان لم ینقع. فأزمعوا عباد اللّه الرحیل عن

---

۱ ـ الکهف:۴۵.

۲ ـ نهج البلاغة، الخطبة: ۱۱۱.

(۱۶۴)

هذه الدار المقدور علی أهلها الزّوال، ولا یغلبنّکم فیها الاَمل، ولا یطولنّ علیکم فیها الاَمد». (۱)

یقول العلاّمة الطباطبائی: فلیس یقصد نعمة من نعم الدنیا إلاّخالصة فی طیبها، محضة فی هنائها، ولا ینال شیئاً منها إلاّ مشوبة بما ینغص العیش مقرونة بمقاساة ومکابدة، مضافاً إلی ما یصیبه من نوائب الدهر ویفاجئه من طوارق الحدثان. (۲)

وربّما ینظر الإِنسان إلی من هو فوقه لا سیما الذین یتمتعون بالغنی والرفاه، فیخطر علی باله أنّ حیاة هوَلاء غیرمشوبة بالکد والتعب، ولکنّ هذا التصوّر غیر صائب إذ أنّ تعبهم وکدَّهم أکثر بمراتب من الذین هم دونهم.

وأمّا الصلة بین المقسم به(والد وما ولد) والمقسم علیه (لقد خلقنا الإِنسان فی کبد)، واضحة، إذ لم تزل حیاة إبراهیم وولده مقرونة بالتعب والوصب، إذ ولد وقد أمضی صباه فی الغاب خوفاً من بطش الجهاز الحاکم، وبعد ما خرج منها وله من العمر ۱۳ سنة أخذ یکافح الوثنیین وعبّاد الاَجرام السماویة، إلی ان حکم علیه بالرمی فی النار والاِحراق، فنجّاه اللّه سبحانه، فلم یجد بداً من مغادرة الوطن والهجرة إلی فلسطین ولم یزل بها حتی أُمر بإیداع زوجه وابنه فی بیداء قاحلة لا ماء فیها ولا زرع، یحکی سبحانه تلک الحالة عن لسان إبراهیم (علیه السلام) ویقول: (رَبَّنا إِنّی أَسْکَنْتُ مِنْ ذُرِّیَّتی بِوادٍغَیْر ذی زَرْعٍ عِنْدَ بَیْتِکَ الْمُحَرّمِ رَبَّنا لِیُقیمُوا الصَّلاةَ فَاجْعَلْأَفْئِدَةً مِنَ النّاسِ تَهْوِی إِلَیْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَراتِ لَعَلَّهُمْ یَشْکُرُونَ). (۳______________)

۱ ـ نهج البلاغة، الخطبة: ۵۲.

۲ ـ المیزان:۲۰|۲۹۱.

۳ ـ إبراهیم:۳۷.

الفصل السادس عشر

الفصل السادس عشر القسم فی سورة الشمس

حلف سبحانه تبارک و تعالی فی سورة الشمس إحدی عشرة مرّة بتسعة أشیاء. (۱)

۱. الشمس، ۲. ضحی الشمس، ۳. القمر، ۴. النهار، ۵. اللیل، ۶. السماء، ۷. وما بناها، ۸. الاَرض، ۹. وما طحاها، ۱۰. ونفس، ۱۱. وما سوّاها.

وبما أنّ المراد من الموصول فی الجمل الثلاث الاَخیرة هو اللّه سبحانه فیکون المقسم به تسعة، والاَقسام إحدی عشرة ، قال سبحانه: (وَالشَّمْسِ وَضُحاها * وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها * وَالنَّهارِ إِذا جَلاّها * وَاللَّيلِ إِذا يَغْشاها * وَالسَّماءِ وَما بَناها * وَالاََرْضِ وَما طَحاها * وَنَفْسٍ وَما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها * قَدْأَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْخابَمَنْدَسّاها). (۲) تفسیر الآیات ۱، ۲. (الشمس وضحاها) ، حلف بالنیّر الکبیر الذی له دور هام فی استقرار الحیاة علی الاَرض وهو مصدر للنور والحرارة، إلی غیر ذلک من

۱ ـ وما فی تفسیر الرازی من أنّه تعالی قد أقسم بسبعة أشیاء غیر صحیح ولعلّهأسقط قوله :(وضحاها) والموصول کلّه عن القسم. «انظر تفسیر الفخر الرازی:۳۱|۱۸۹».

۲ ـ الشمس:۱ـ۱۰.

المعطیات، وهو سلطان منظومتنا، وله حرکة انتقالیة وحرکة وضعیة، ویعجز البیان واللسان عن بیان ماله من الاَهمیة، ویکفیک هذا الاَثر انّه ینتج فی کلّدقیقة ۲۴۰ ملیون وحدة طاقة، ولم تزل ترفد بهذا العطاء علی الرغم من أنّ عمرها یتجاوز الخمسة آلاف ملیون سنة.

هذه الشمس التی ما زالت أسرارها فی الخفاء، هی محور نظامنا السیّاری ومصدر حیاتنا أیضاً، هذه الشمس التی کلّ ما یکتشف عنها یزیدها غموضاً، ولم تزح ید العلم بعد النقاب عن کلّ ما یجب أن نعلمه عن الشمس، هذه الشمس التی تفقد أربعة ملایین طن من وزنها فی الثانیة من احتراقها، ولم تزل تجدّد وزنها وحجمها، والتی تبعث إلی العالم الخارجی طاقة تعادل خمسة آلاف بلیون قنبلة ذریة فی کلّ ثانیة، وهی آیة من آیات الخالق، وإن هی إلاّ آیة صغیرة تزخر السماء بملایین من النجوم أضخم منها حجماً وأکبر سرعة وأکثر تألّقاً. (۱)

کما حلف بضحی الشمس، وهو انبساط الشمس وامتداد النهار، والاَولی أن یقال الضحی هو انبساط نورها وضوئها، فانّ لضوئها أثراً خاصاً فی نشوء الحیاة وبقائها والفتک بالاَمراض وزوالها.

۳. (وَالْقَمَرِ إِذا تَلاها) حلف بالقمر إذا تلا الشمس فی اللیالی البیض من اللیلة الثالثة عشرة من الشهر إلی السادسة عشرة منه، وقت امتلائه أو قربه من الامتلاء حین یضییَ اللیل کلّه من غروب الشمس إلی الفجر.

وفی الحقیقة هذا حلف بالقمر وضوئه فانّ ضوء القمر إنّما ینتشر ، إذا تلا الشمس وظهر بعد غروبها.

وربما یقال بأنّ المراد تبعیة القمر للشمس فی تمام الشهر، لاَنّ نوره مأخوذ

۱ ـ اللّه والعلم الحدیث:۳۰.

من نور الشمس فهو یتبعها فی جمیع الاَزمان، ولکن المعنی الاَوّل هو اللائح.

۴.(وَالنَّهارِ إِذا جَلاّها) التجلی من الجلو بمعنی الکشف الظاهر، یقال: أجلیت القوم عن منازلهم فجلوا عنها أی أبرزتهم عنها، وعلی ذلک فحلف سبحانه بالنهار إذا جلا الاَرض وأظهرها، والضمیر یعود إلی الاَرض المفهوم من سیاق الآیة، ویحتمل أن یرجع الضمیر إلی الشمس، فانّ النهار کلّما کان أجلی ظهوراً کانت الشمس أکمل وضوحاً، أی احلف بالنهار إذا جلّی الشمس وأظهرها.

ولکن المعنی الاَوّل هو الظاهر، لاَنّ الشمس هی المظهرة للنهار، دون العکس.

۵.(وَاللَّيلِ إِذا يَغْشاها) حلف باللیل إذا غطّی الاَرض وسترها فی مقابل الشمس إذاجلا الاَرض وأظهرها، وربما یتصوّر أنّ الضمیر یرجع إلی الشمس، فحلف سبحانه باللیل إذا غطّی الشمس وهو بعید، فانّ اللیل أدون من أن یغطی الشمس وإنّما یغطی الاَرض و من علیها.

والاَفعال الواردة فی الآیات السابقة کلها وردت بصیغة الماضی، (تلاها ، جلاّها) وإلاّ فی هذه الآیة فقد وردت بصورة المضارع

(يغشاها) فما هو الوجه؟

ذكر السيد الطباطبائى وجهاً استحسانياً وقال: والتعبير عن غشيان الليل الَارض بالمضارع بخلاف تجلية النهار لها حيث قيل: (وَالنَّهار إذا جَلّاهـا * وَاللَّيل إِذا يَغْشاها) للدلالـة على الحال، ليكون فيه إيماء إلى غشـيان الفجور الَارضَ فى الزمن الحاضـر الـذى هو أوائل ظهور الدعوة الِاسلامية. (۱______________)

۱ ـ الميزان: ۲۰|۲۹۷.

(۱۶۸)

۶، ۷. (وَالسَّماء وَمابَناها) ، فحلف بالسـماء وبانيها، بناء على أنّ «ما» موصولـة، وليست مصدريـة، بقرينـة الآيـة التاليـة حيث يحلف فيها بـالنفس وخالقهـا ومسوِّيها، وغلبـة الاسـتعمال على «ما» الموصولـة فى غير العاقل لم يمنع من اسـتعمالها فى العاقل أيضاً، قال سبحانه: (فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَالنِّساءِ). (۱)

ولعلّ اسـتعمال «ما» مكان «من» لَاجل أنّ الخطاب كان موجهاً إلى قوم لا يعرفون اللّه بجليل صفاته، وكان القصد منه أن ينزلوا فى هذا الكون منزلة من يطلب للَاثر موَثراً فينتقل من ذلك إلى معرفة اللّه تعالى، فعبّر عن نفسه بلفظة «ما» التى هى الغاية فى الِابهام. (۲)

وفى ذكر السـماء وبنيانهـا إلمـاع إلى أنّه يمتنع أن يكون رهن الصدفـة، بل لا يتحقق إلّابصانع حكيم قـد أحكم وضـعها وأجاد بناءها، خصوصاً بناء الكواكب التى ترتبط أجزاوَها البعض بالبعض، ولولا هذا الترابط لما كان لها تماسك.

۸، ۹ . (وَالَارْض وَما طَحاها) حلف بالَارض وطاحيها والطحو كالدحو، وهو البسط، وإبدال الطاء من الدال جائز، والمعنى وسَّعها.

وقد أشار إلى وصف الَارض فى آية أُخرى وقال: (الّذى جَعَلَ لَكُمُ الَارْضَ فِراشاً وَالسَّماءَ بِناءً) (۳) فحلف سبحانه بالَارض وبما جعلها لنا فراشاً.

والَارض كوكب من الكواكب التى تـدور حول الشـمس وتتبعهـا فى سـيرها أينمـا سارت، وهى الكوكب الخامس من حيث الحجم، والثالث من حيث القرب من بين الكواكب التسعة التى تتكون منها المجموعة الشمسية______________.

۱ ـ النساء: ۳.

۲ ـ تفسير المراغى: ۳۰|۱۶۷.

۳ ـ البقرة: ۲۲.

(۱۶۹)

والَارض تكاد تكون كرة، إلّا أنّها منبعجة قليلاً عند خط الاستواء ومفلطحة عند القطبين. (۱)

۱۰، ۱۱. (وَنَفْسٍ وَمـا سَوّاهـا)، فالمراد من النفس هى الروح، قال سـبحانه: (أَخْرِجُوا أَنفُسـكُمْ) (۲) وقـال: (وَاعْلَمُوا أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مـا فى أَنْفُسكُمْ فَاحْذَرُوهُ) (۳)

وقال: (تَعْلَمُ ما فى نَفْسِى وَلا أَعْلَمُ ما فى نَفْسِكَ). (۴)

فـاذاً المراد من تسويتهـا إعطاوَهـا القوى الكثيرة الظاهرة والباطنـة، فتسويـة النفس هو تعـديل قواها من الظاهرة والباطنـة، ولو أُريـد من النفس الروح والجسم فتسوية الجسم هو إيجادها بصورة متكاملة.

وأمّا تنكير النفس، فلَاـنّه أراد كلّنفس من النفـوس من دون أن يختص بنفس دون نفس، وربمـا يحتمـل أن يكون التنكير إشـارة إلى نفس خاصـة، وهى نفس النبى (صـلى الله عليه وآله وسـلم)، والمعنى الَاوّل هو الَاوضـح بقرينـة انّه أخـذ يحلف بالكائنات الحيّة وغير الحيّة.

إلى هنا تمّ بيان الحلف بأحد عشر أمراً، وهذه الآيات تشتمل على أكثر الَاقسام الواردة فى القرآن الكريم.

ثمّ إنّبعض من ينكمش من الحلـف بغير اللّه سـبحانه يرى نفسه أمـام هـذه الآيـات، ويحس عجزاً فى المنطـق، ويقـول: المراد هـو ربّ

الشمس والقمر وهكذا، ولكنّه غافل انّه لا يمكن تقديره فى الآيتين الاَخيرتين أى :(وَالسَّماء وَما بَناها *

---

۱ ـ اللّه والعلم الحديث:۲۵.

۲ ـ الاَنعام:۹۳.

۳ ـ البقرة:۲۳۵.

۴ ـ المائدة:۱۱۶.

(۱۷۰)

وَالاََرض وما طَحاها) إذ ينقلب معنى الآيتين أقسم بربّ السماء وربّ ما بناها أى ربّبانيها، وهكـذا الحلف بربّ الاَرض وما طحاها، أى ربّ طاحيها.

إلى هنا تمّ الحلف بهذه الموجودات السماوية والاَرضية والحية وغير الحية.

أخبر سبحانه بأنّه بعد ما خلق النفس وسوّاها واكتملت خلقتها ظاهراً وباطناً، علّمها سبحانه التقوى والفجور، وفهم من صحيح الذات ما هو الحسن والقبيح، وقد تعلّم ذلك فى منهج الفطرة، وقد استعمل كلمة «ألهم» لاَنّه بمعنى إلقاء الشىء فى روع الاِنسان من دون أن يعلم الملهم من أين أتى، والاِنسان يعلم من صميم ذاته الحسن والسيّء من دون أن يتعلّم عند أحد.

وقد أشار سبحانه إلى هذا النوع من الهداية الباطنية فى آيات أُخرى، وقال: (وَهَدَيْناهُ النَّجْدَين). (۱)

ولما حلف بالموجودات السماوية والاَرضية غير الحيّة والحيّة، وانّه قد ألهم النفس الاِنسانية طرق الصلاح والفلاح، أو طرق الشر والضلال، أتى بجواب القسم، وهو قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْخابَمَنْ دَسّاها) ، فجعل «زكاها» مقابل «دساها» فيعلم معنى الثانى من الاَوّل، فقال: (وَقَدْخابَمَنْ دَسّاها) .

والتزكية هو التطهير من الآثام، مقابل التدسيس، وهى إخفاء الرذائل والذنوب.

انّ قوله: (دسّاها) مشتق من التدسيس، وهو إخفاء الشيء من الشيء، والتدسيس مصدر دسّس، وهو من دسس يدسس تدسيساً، ومعنى الآية فالاِنسان

---

۱ ـ البلد:۱۰.

(۱۷۱)

هو فاعل التزكية والتدسية ومتوليهما، والتزكية هى الاِتمام والاِعلاء بالتقوى، لاَنّ لازم التطهير هو الاِنماء كما أنّ التدسية النقص والاِخفاء بالفجور.

والمقسم عليه: هو قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها * وَقَدْخابَمَنْ دَسّاها)، وربّما يتصوّر أنّ جواب القسم محذوف.

قال الزمخشرى: إنّ جوابه محذوف تقديره ليدمدمنّ اللّه على أهل مكة لتكذيبهم رسول اللّه كما دمدم على ثمود لاَنّهم قد كذبوا صالحاً.

وأمّا قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها) فكلام تابع لقوله: (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) على سبيل الاستطراد، وليس من جواب القسم فى شىء. (۱)

يلاحظ عليه: أنّه لو كان جواب القسم هو ما قدّره، يفقد الجواب الصلة اللازمة بينه و بين الاَقسام الكثيرة الواردة فى سورة الشمس، ولا مانع من أن يكون قوله: (قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكّاها) جواب القسم، بأن يكون تابعاً لقوله: (فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها).

وعلى ما ذكرنا فالصلة بين الاَمرين واضحة، وهى أنّه سبحانه يذكر نعمه الهائلة فى هذه الآيات التى لو فقد البشر واحداً منها لتوقفت

عجلة الحياة عن السير نحو الاَمام، فمقتضى إفاضة هذه النعم وإنارة الروح بإلهام الفجور والتقوى هو المشى على درب الطاعة، وتزكية النفس دون الولوج فى طريق الفجور وإخفاء الدسائس الشيطانية________________.

۱ ـ الكشاف:۳|۳۴۲.

الفصل السابع عشر

الفصل السابع عشر القسم فى سورة الليل

حلف سبحانه فى سورة الليل بأُمور ثلاثة: (اللَّيل إذا يَغْشى) ، (النَّهار إذا تَجلّى) و(ما خلق الذكر والاَُنثى) .

وقال سبحانه: (وَاللَّيل إِذا يَغْشى * وَالنَّهارِ إِذا تَجَلّى * وَما خَلَقَ الذَّكَر وَالاَُنثى * إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشتّى). (۱) تفسير الآيات ۱. (وَاللَّيل إِذا يَغْشى) أقسم بالليل إذا يغشى النهار، أو يغشى الاَرض، ويدل على الاَوّل، قوله: (يُغشِى اللَّيلَ النَّهار) (۲) بمعنى يأتى بأحدهما بعد الآخر ، فيجعل ظلمة الليل بمنزلة الغشاوة للنهار ويحتمل المعنى الثانى، كما فى قوله فى سورة الشمس:(وَاللَّيل إِذا يَغْشاها) .

۲. (وَالنَّهار إِذا تَجَلّى) عطف على الليل، والتجلّى ظهور الشىء بعد خفائه، وقد جاء الفعل فى الآية الاَُولى بصيغة المضارع وفى الآية الثانية بصورة الماضى وفقاً لسورة الشمس كما مرّ.

۳. (وَما خَلَقَ الذَّكَر وَالاَُنثى) و«ما»موصولة كناية عن الخالق البارىَ للذكر

---

۱ ـ الليل:۱ـ ۴.

۲ ـ الاَعراف:۵۴.

(۱۷۳)

والاَُنثى، سواء أكان من جنس الاِنسان أو من جنس الحيوان، وتطبيقه فى بعض التفاسير على أبينا آدم وزوجه حوّاء من باب التمثيل لا التخصيص.

وأمّا جواب القسم: هو قوله: (إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتّى)، وشتى جمع شتيت، كمرضى جمع مريض، و المراد تشتت السعى، فانّ سعى الاِنسان لمختلف وليس منصبَّاً على اتجاه واحد، فمن ساع للدنيا ومن ساع للعقبى، ومن ساع للصلاح والفلاح، ومن ساع للهلاك والفساد.

ثمّ إنّه سبحانه صنّف المساعى إلى قسمين،وقال فى الآيات التالية بأنّ الناس على صنفين: فصنف يصبُّ سعيه فى طريق العطاء والتقى والتصديق بالحسنى، فيُيسّر لليسرى، وصنف آخر يصبُّ سعيه على ضدّما ذكر فيبخل ويستغنى بما لديه، ويكذب بالحسنى، فيُيسر للعسرى.

قال: (فَأَمّا مَنْ أَعْطى وَاتَّقى * وَصَدَّقَ بِالحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسرى * وَأَمّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنى * وَكَذَّبَ بِالْحُسْنى * فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرى). (۱)

والصلة بين المقسم به والمقسم عليه: واضحة، وهى أنّه سبحانه أقسم بالمتفرقات خلقاً وأثراً على المساعى المتفرقة فى أنفسها وآثارها، فأين التقوى والتصديق من البخل والتكذيب________________؟!

۱ ـ الليل: ۵ ـ ۱۰.

(۱۷۴)

الفصل الثامن عشر

الفصل الثامن عشر القسم فى سورة الضحى

حلف سبحانه فى تلك السورة بأمرين، أحدهما الضحى، والآخر: (اللَّيل إذا سَجى) ، وقال: (وَالضُّحى * وَاللَّيلِ إذا سَجى * ما وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَما قَلى * وللآخِرةُ خَيرٌ لَكَ مِنَ الأُولى * وَلَسوفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَتَرضى). (١) تفسير الآيات المراد من الضحى وقت الضحى، وهو صدر النهار حتى ترتفع الشمس وتلقى شعاعها، قال سبحانه: (وَأَنْ يُحْشَرَ النّاسُ ضُحى) . (٢)

وقوله: (وَالليلِ إذا سَجى) أى والليل إذا سكن، يقال: سجى البحر سجواً، أى سكنت أمواجه، ومنه استعير تسجية الميت، أى تغطيته بالثوب، والمراد إذا غطى الليلُ وجه الاَرض وعمّت ظلمتُه جميع أنحاء البسيطة.هذا هو المقسم به.

وأمّا المقسم عليه: فهو ما جاء عقبه، أى ما تركك يا محمد ربّك وما أبغضك منذ اصطفاك.(وللآخِرةُ خَيرٌ لَكَ من الاُولى) أى ثواب الآخرة والنعيم الدائم فيها خير لك من الدنيا الفانية.(ولَسَوفَ يُعْطيكَ رَبُّكَ فَتَرضى) أى سوف

---

١ ـ الضحى:١ ـ ٥.

٢ ـ طه:٥٩.

يعطيك ربّك فى الآخرة ما يرضيك من الشفاعة والحوض وسائر أنواع الكرامة.

وروى أنّ محمد بن على بن الحنفية، قال: يا أهل العراق، تزعمون أنّأرجى آية فى كتاب اللّه عزّوجلّ هو قوله تعالى: (قُلْ يا عِبادِيَ الّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللّه) (١) إنّا أهل البيت نقول: أرجى آية فى كتاب اللّه، هو قوله: (وَلَسَوفَيُعطيكَ رَبُّكَ فَتَرضى) وهى واللّه الشفاعة، ليعطينّها فى أهل لاإله إلاّاللّه حتى يقول: ربّى رضيت. (٢)

وقد ذكر المفسرون فى شأن نزول الآية: انّه احتبس الوحى عنه خمسة عشر يوماً، فقال المشركون: إنّمحمداً قد ودّعه ربّه وقلاه، ولو كان أمره من اللّه تعالى لتتابع عليه، فنزلت هذه السورة.

هذا ما يذكره المفسرون، ولكن الحقّ انّه لم يكن هناك أيُّ احتباس وتأخير فى نزول الوحى، وذلك لاَنّه جرت سنّة اللّه تعالى على نزول الوحى تدريجاً لغايات معنوية واجتماعية، وقد أشار الذكر الحكيم إلى حكمة نزوله نجوماً فى غير واحدة من الآيات، قال سبحانه:(وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَولا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرآن ُجُمْلَةً واحِدَةً كَذلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤادَكَ وَرَتَّلْناهُ تَرْتِيلًا).(٣)

فالآية تعكس فكرة المشركين حول نزول القرآن وكانوا يتصورون أنّ القرآن كالتوراة، يجب أن ينزل جملة واحدة لا نجوماً وعلى سبيل التدريج، فأجاب عنه الوحى، بأنّ فى نزوله التدريجى تثبيتاً لفوَاد النبى «صلى الله عليه وآله

---

١ ـ الزمر:٥٣.

٢ ـ مجمع البيان:٥|٥٠٥.

٣ ـ الفرقان:٣٢.

وسلم» ، لتداوم الصلة بين الموحى والموحى إليه بين الحين والحين.

وهذا بخلاف ما لو نزل جملة واحدة وأوصد فيها باب الوحى، وانقطعت صلة النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) بالسماء، ففى صورة استدامة الوحى والصلة بينه وبين اللّه سبحانه يعيش النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) تحت ظل إمدادات غيبية تعقبه إزالة الصدأ العالق على قلبه من خلال مجابهة المشركين والكافرين، بخلاف الثانى، ففيه إيماء إلى انقطاع الصلة حينها يجد النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» نفسه وحيداً دون من يعضده ويسلّيه ويذهب عنه همّ القلب.

ففى الحقيقة لم يكن هناك طارئة باسم احتباس الوحى أو تأخيره، وإن زعم المشركون نزول الوحى نجوماً احتباساً وتأخيراً له.

وأمّا الصلة بين المقسم به والمقسم عليه، فلا تخلو من وضوح:

١. لأنّ نزول الوحی يناسب الضحی، كما أنّ انقطاعه يناسب الليل.

٢. لأنّ عماد الحياة هو مجيئ الليل عقب النهار، لا استدامة النهار ولا استدامة الليل، فهكذا الحال فی عماد الحياة النبوية الذی هو نزول الوحی نجوماً تثبيتاً لقلب النبی (صلی الله عليه وآله وسلم).

٣. ولأنّ الضحی والليل نعمة من نعم اللّه سبحانه منّ بها علی عباده لما لهما من تأثير مباشر فی استقرار الحياة وهكذا الحال فی نزول الوحی نجوماً.

(١٧٧)

الفصل التاسع عشر

الفصل التاسع عشر القسم فی سورة التين

حلف سبحانه فی سورة التين، بأُمور أربعة: التين، الزيتون، طور سينين، البلد الاَمين، قال سبحانه: (وَالتِّينِ وَالزَّيْتُونِ * وَطُورِ سِينِينَ * وَهذَا الْبَلَدِ الاََمين * لَقَدْ خَلَقْنَا الاِنْسانَ فی أَحْسَنِ تَقْويم * ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلينَ * إِلاّ الَّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحات فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ) . (١) تفسير الآيات (التين والزَّيتُون) فاكهتان معروفتان، حلف بهما سبحانه لما فيهما من فوائد جمّة وخواص نافعة، فالتين فاكهة خالصة من شآئب التنغيص، وفيه أعظم عبرة لاَنّه عزّ اسمه جعلها علی مقدار اللقمة، وهيّأها علی تلك الصورة إنعاماً علی عِباده بها.

وقد روی أبو ذر الغفاری عن النبی (صلی الله عليه وآله وسلم) ، أنّه قال: «لو قلت انّ فاكهة نزلت من الجنة، لقلت: هذه هی، لاَنّ فاكهة الجنة بلا عَجَمْ (٢) فانّها تقطع البواسير، وتنفع من النقرس». (٣)

وأمّا الزيتون فانّه يعتصر منه الزيت الذی يدور فی أكثر الاَطعمة، وهو إدام، والتين فاكهة فيها منافع جمّة_______________.

١ ـ التين:١ ـ ٦.

٢ ـ العجم: نوی التمر، أو كل ما كان فی جوف مأكول كالزبيب.

٣ ـ مجمع البيان: ٥|٥١٠.

(١٧٨)

ذكر علماء الاَغذية أنّه يمكن الاستفادة من التين كسكر طبيعی للاَطفال، ويمكن للرياضيين ولمن يعانون ضعف كبر السنّأن ينتفعوا منه للتغذية، حتی ذكروا أنّ الشخص إن أراد توفير الصحة والسلامة لنفسه فلابد له أن يتناول هذه الفاكهة، كما أنّ زيت الزيتون هو الآخر له تأثير بالغ فی معالجة عوارض الكُلَی، حتی وصفها سبحانه بأنّه مأخوذ من شجرة مباركة، ولا نطيل الكلام فی سرد فوائدهما. (١) هذا وربما يفسر التين بالجبل الذی عليه دمشق، والزيتون بالجبل الذی عليه بيت المقدس.

وهذا التفسير وإن كان بعيداً عن ظاهر الآيات، ولكن الذی يدعمه هو القسم الثالث والرابع ـ أعنی: الحلف بـ (طور سينين * والبلد الاَمين) ـ إذ علی ذلك يكون بين الاَُمور الاَربعة السالفة الذكر صلة واضحة، ولعل إطلاق اسم الفاكهتين علی الجبلين لكونهما منبتيهما، والاِقسام بهما، لاَنّهما مبعثی جمّ غفير من الاَنبياء.

ثمّ إنّ المراد من طور سينين، هو الجبل الذی كلّم اللّه فيه موسی (عليه السلام) ، وقال: (إِنّی أَنَا رَبُّكَ فَاخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِالوادِ المُقدَّسِ طُوی) (٢) وقال: (إِذْ ناداهُ رَبُّهُ بِالْوادِ المُقَدَّسِ طُوی) (٣) وقال سبحانه مخاطباً موسی (عليه السلام) : (وَلكِنِ انْظُر إِلی الْجَبَل فَإِن اسْتَقَرَّ مَكانَهُ فَسَوفَ تَرانی فَلَمّا تَجلّی رَبّه لِلجَبَل جَعَلَهُ دَكّاً وخَرّ مُوسی صَعِقاً) . (٤_______________)

١ ـ فمن أراد التفصيل فليرجع إلی كتب علماء الاَغذية وما أُلّف فی هذا المضمار.

۲ ـ طه:۱۲.

۳ ـ النازعات:۱۶.

۴ ـ الأعراف:۱۴۳.

(۱۷۹) البلـد الأمين وقـد ذكر لفظ البلـد فى دعاء إبراهيم، حيث قال: (وَإِذْقالَإِبْراهيم رَبِّ اجْعَل هذا بَلَداً آمِناً وَارزُق أَهْلَهُ مِنَ الثَّمراتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُمْ بِاللّهِ وَاليَوم الآخر) (۱) وقال أيضاً: (رَبِّ اجْعَل هذا البلد آمناً وَاجْنُبْنى وَبَنِىّ أن نَعْبُد الأَصْنام) . (۲)

وقد أمر سبحانه نبيّه الخاتم، أن يقول: (إِنَّما أُمرت أن أَعبُدَ ربَّ هذه البَلْدة الّذى حرّمها ولَهُ كُلّ شىء وَأُمرت أن أكون من المُسلمين) . (۳)

وقـد جاء ذكر البلـد فى بعض الآيات كنايـة، قال سبحانه: (انَّ الّذى فَرَضَ عَلَيْكَ القُرآن لَرادّكَ إِلى مَعادٍ قُلْ رَبِّى أَعْلَم مَنْ جاءَبِالهُدى وَمَنْهُوَفى ضَلالٍ مُبين) . (۴)

والمراد من قوله (إلى معاد) هو موطنه الذى نشأ فيه.

وقد روى المفسـرون فى تفسـير الآيـة انّه لما نزل النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» بالجحفة فى مسيره إلى المدينة لما هاجر إليها اشتاق إلى مكة فأتاه جبرئيل (عليه السلام) ، فقال: أتشتاق إلى بلدك ومولدك، فقال: نعم. قال جبرئيل: فإنّ اللّه، يقول:(إنَّ الّذى فَرَضَعَلَيْكَ القُرآن لَرادّكَ إِلى مَعاد) يعنى مكـة ظاهراً عليها، فنزلت الآيـة بالجحفة، وليست بمكية ولا مدنية، وسـمّيت مكة معاداً لعوده إليها. عن ابن عباس. (۵)

كما ذكر أيضاً فى آية أُخرى بوصفه وقال: (أَوَ لَمْ يَرَوا انّا جَعَلْنا حَرماً آمِناً

---

۱ ـ البقرة:۱۲۶.

۲ ـ إبراهيم:۳۵.

۳ ـ النمل:۹۱.

۴ ـ القصص:۸۵.

۵ ـ مجمع البيان:۷|۲۶۸.

(۱۸۰)

وَيُتَخَطَّف النّاسُ منْ حَولهِم أَفَبالباطِل يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَةِ اللّه يكْفُرون) . (۱)

وقد وصف سبحانه البلد بالأمن وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف، وقد جعله وصفاً فى بعض الآيات للحرم، قال سبحانه: (أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَهُمْ حَرماً آمناً يجبى إليهِ ثَمرات كلّ شَىْءٍ رِزْقاً من لَدُنّا وَلكِنّ أَكثَرهم لا يَعْلَمُون) (۲)

وفى آية أُخرى يقول:(أَوَ لَمْ يَرَوا أَنّا جَعَلْنا حَرَماً آمناً وَيُتَخَطَّف النّاسُ من حَولهِمْ أَفَبالباطل يوَمنون وبنعمة اللّه يكفرون) . (۳)

والمراد من هذا الأمن هو الأمن التشريعى، بمعنى أنّه سبحانه حرم فيه القتل والحرب حتى قطع الأشجار والنباتات إلاّ بعض الأنواع مما تحتاج إليه الناس، والذى يوضح أنّ المراد من الأمن هو الأمن التشـريعى لا التكوينى قوله سبحانه: (إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنّاسِلَلَّذى بِبَكّة مُباركاً وَهُدىً لِلْعالَمين * فِيه آياتٌ بَيِّنات مَقامُ إِبراهيم وَمَنْ دَخَلَهُ كانَ آمِناً وَللّه عَلى النّاسِحِجُّ الْبَيْت مَنِ اسْتَطاعَ إِلَيْهِ سَبيلاً وَمَنْ كَفَرَ فإِنَّ اللّه غَنِىٌّ عَنِ الْعالَمين) . (۴)

فالآيـة الأُولى تحكى عن تشـريع خاص، وهو أنّ الكعبة أوّل بيت وضـعت لعبادة الناس، ويدل على ذلك أنّ فيه مقام إبراهيم، كما أنّ الآية الثانية تبيّن تشريعاً آخر، وهو وجوب حجّ البيت لمن استطاع إليه، وبين هذين التشريعين جاء قوله: (وَمَنْ دَخَلَهُ كانَآمِناً) وهذا دليل على أنّ المراد مـن الأمن هـو الأمن التشـريعى لا ـ التكـوينى، ولـذلك كـان الطغاة يسـلبون الأمن عن هـذا البلـد بين آونـة وأُخرى.

۱ ـ العنكبوت:۶۷.

۲ ـ القصص:۵۷.

۳ ـ العنكبوت:۶۷.

۴ ـ آل عمران:۹۶ـ ۹۷.

(۱۸۱)

ويشير إلى الاَمن بقوله سبحانه: (جَعَلَ اللّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الحَرام قِياماً لِلنّاسِوَالشَّهْرَ الحَرامَ) (۱) وصف البيت بالحرام، حيث حرّم في مكانه القتال، وجعل الناس فيه في أمن من حيث دمائهم وأعراضهم وأموالهم.

فهذه الآيات تشير إلى مكانة البلد الذي احتضن البيت الحرام، ذلك المكان المقدس الذي حاز على أهمية بالغة عند المسلمين على اختلاف نحلهم، فإليه يوجّه الناس وجوههم في صلواتهم وفي ذبائحهم وعند احتضار أمواتهم.

وفضلاً عن ذلك فانّه يعد ملتقىً عبادياً وسياسياً لحشود كبيرة من المسلمين، وما يترتب عليه من نتائج بناءة على صعيد مدِّ جسور الثقة بين كافة النحل الإسلامية. وبتبعه حاز البلد على مكانة مقدسة جعلته صالحاً للقسم به. المقسم عليه المقسم عليه للاَقسام الاَربعة ـ أعني: التين، الزيتون، طور سينين، البلد الاَمين ـ هو قوله سبحانه: (لَقَدْخَلَقْنَا الإِنْسانَ في أَحْسَنِ تَقْويم * ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ سافِلين) فيقع الكلام في أمرين:

أ: ما هو المراد من خلق الإنسان في أحسن تقويم ثمّ ردّه إلى أسفل سافلين؟

ب: ما هي الصلة بين الاَقسام الاَربعة وهاتين الآيتين اللتين هما المقسم عليه للاَقسام الاَربعة.

أمّا الاَوّل فربّما يقال: انّ المراد من خلق الإنسان في أحسن تقويم هو جودة

۱ ـ المائدة:۹۷.

(۱۸۲)

خلقه واستقامة وجوده من صباه إلى شبابه إلى كماله فيتمتع بكمال الصورة وجمال الهيئة وشدة القوة، فلم يزل على تلك الحال حتى يواجه بالنزول أي رده إلى الهرم والشيخوخة والكهولة فتأخذ قواه الظاهرة والباطنة بالضعف، وتنكس خلقته، قال سبحانه: (وَمَنْنُعَمِّرهُ نُنَكِسْهُ فِي الخَلْقِ أَفَلا يَعْقِلُونَ) (۱) لكن هذا التفسير لا يناسبه الاستثناء الوارد بعده قال سبحانه: (إِلاّالّذينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُون) أي غير مقطوع.

فلو كان المراد من الآية ما جرت عليه سنّة اللّه تعالى في خلق الإنسان فهي سنّة عامة تعم الموَمن والكافر والصالح والطالح، مع أنّه يستثني الموَمن الصالح من تلك الضابطة.

فالاَولى تفسير الآيتين بالتقويم المعنوي، وردّه إلى أسفل سافلين هو انحطاطه إلى الشقاء والخسران بأن يقال: انّ التقويم جعل الشيء ذا قوام، وقوام الشيء ما يقوم به ويثبت، فالإنسان بما هو إنسان صالح حسب الخلقة للعروج إلى الرفيق الاَعلى، والفوز بحياة خالدة عند ربه سعيدة لا شقوة فيها، قال سبحانه: (وَنَفْسٍ وَما سَوّاها * فَأَلْهَمَها فُجُورَها وَتَقْواها) (۲) فإذا آمن بما علم ومارس صالح الاَعمال رفعه اللّه إليه، كما قال: (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصّالِحُ يَرْفَعُهُ) (۳)يس، وقال عزّاسمه: (يَرفَعِ اللّهُ الّذينَآمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذينَ أُوتُوا العِلْمَ دَرَجات)(۴) ، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على ارتفاع مقام الإنسان وارتقائه بالإيمان والعمل الصالح مقاماً عالياً ذا عطاء من اللّه غير مجذوذ، وقد أشار في آخر

۱ ـ يس:۶۸.

۲ ـ الشمس:۷ـ ۸.

۳ ـ فاطر:۱۰.

۴ ـ المجادلة:۱۱.

(۱۸۳)

هذه السورة إلى العطاء الدائم، بقوله: (فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيرُ مَمْنُون) .

وعلى ذلك يكون المراد من أسفل سافلين هو تردّى الاِنسان إلى الشقوة والخسران. (۱)

وأمّا وجه الصلة فلو قلنا بأنّ المراد من التين الجبل الذى عليه دمشق، وبالزيتون الجبل الذى عليه بيت المقدس وهما مبعثا جمّ غفير من الاَنبياء، فالصلة واضحة، لاَنّهذه الاَراضى أراضى الوحى والنبوة فقد أوحى اللّه سبحانه إلى أنبيائه فى هذه الاَمكنة ليخرج الناس من الظلمات إلى النور ويهديهم إلى أحسن تقويم، ويصدهم عن التردى إلى أسفل سافلين.

وبعبارة أُخرى: إنّ هذه الاَماكن مبعث الاَنبياء ومهبط الوحى، فهوَلاء بفضل الوحى يهدون المجتمع الاِنسانى إلى الرقى والسعادة التى يعبر عنها القرآن بأحسن تقويم،ويحذرونه من الانحطاط والسقوط فى الهاوية التى يعبر عنها سبحانه بـ(أَسْفَلَ سافِلين) .

إنّما الكلام فيما إذا كان المراد من التين والزيتون، الفاكهتان المعروفتان اللتين أقسم اللّه بهما لما فيهما من الفوائد الجمّة والخواص النافعة، فعندئذٍلاتخلو الصلة من غموض، فليتدبر.

ولاـ يخفى انّ كلّالمخلوقات، من حيوان ونبات توحى بالجلال و الاحترام لها وبالجمال وكمال الخلق، وهى تبدو مبرمجة أو مخلوقة هكذا لا تحيد عن ذلك، فهل رأيت طيراً لا يبنى عشه أو لا يُطعمُ فراخه؟ أم رأيت حيواناً لم يهبه اللّه الذكاء والمقدرة على تحصيل رزقه، أو الدفاع عن نفسه؟ حقاً انّهذه المخلوقات لا تعرف الهزل، فهى جدّيّة ولكن فى وداعة، غريبة ولكن فى جمال، وبسيطة

---

۱ ـ الميزان:۲۰|۳۱۹ـ ۳۲۰.

(۱۸۴)

ولكن فى جلال آسر. إن كلاً منها تسير على الطريق التى اختطها الخالق لها طائعة ملبّية، وهى تسبّح بحمد ربّها كلّها. إنّها لا تعرف الكذب أو المصانعة، بل هى متّسقة مع نفسها ومع ما حولها، بل و مع الكون جميعاً. فى تناغم عجيب وجمال بديع. فتعالى اللّه الظاهر بعجائب تدبيره للناظرين والباطن بجلال عزّته عن فكرة المتوهمين. (۱ــــــــــــــــــــ)

۱ ـ أسرار الكون فى القرآن:۲۸۳.

الفصل العشرون

الفصل العشرون القسم فى سورة العاديات

حلف سبحانه فى هذه السورة بأُمور ثلاثة: العاديات، الموريات، المغيرات. قال سبحانه: (وَالعادِيات ضَبحاً * فَالمُورياتِ قَدحاً * فَالمُغيراتِ صُبحاً * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعاً * إنَّ الاِنْسانَلِرَبِّهِلَكَنُود * وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهيد * وَانّهُ لحبّ الخَيْرِ لَشديد) . (۱)

تفسير الآيات (العاديات) من العدو وهو الجرى بسرعة.«الضبح» صوت أنفاس الخيل عند عدوها، وهو المعهود المعروف من الخيل، ومعنى الآية أُقسم بالخيل التى تعدو وتضبح ضبحاً.

(فَالمُوريات قدحاً) فالموريات من الايراء وهو إخراج النار، و«القدح» الضرب، يقال: قدح فأورى: إذا أخرج النار بالقدح،والمراد بها الخيل التى تخرج النار بحوافرها حين ضربها الاَحجار

(فالمغيرات صبحاً) الإِغارة: الهجوم على العدو بغتة بالخيل،وهى صفة أصحاب الخيل ونسبتها إلى الخيل بالمجاز والمناسبة،والمعنى: أُقسم بالخيل المغيرة على العدو بغتة فى وقت الصبح.

(فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعاً) والنقع: الغبار، والمراد إثارة الغبار حين العدو، لما فى

---

۱ ـ العاديات:۱ـ ۸.

(۱۸۶)

الإِغارة على العدو بالخيل من إثارة الغبار. والضمير فى «به» يرجع إلى العدو المستفاد من قوله: والعاديات، والباء للسببية.

(فوسطن به جمعاً) فلو قلنا بتشديد السين يكون المعنى حاصروا الاَعداء، ولكن القراءة المعروفة هى بلا تشديد الفعل فيكون معناه أى صاروا فى وسط الاَعداء بما انّ هجومها كان مباغتاً خاطفاً استطاعت فى بضع من اللحظات أن تشق صفوف العدو وتشن حملتها فى قلبه وتشتت جمعه.

ثمّ الضمير إمّا يرجع إلى العدو المستفاد من قوله: (والعاديات) أو إلى النقع فيكون المعنى فوسطن صباحاً أو فى خضمّ النقع صفوف الاَعداء.

ويحتمل أن يرجع الضمير إلى الصبح، ويكون الباء بمعنى «فى» أى وسطن فى الصبح جمعاً.

وعلى كلّ حال فالآيات تحلف بالخيول التى تسرع إلى ميدان الجهاد بسرعة حتى تضبح ويتطاير الشررَ من تحت حوافرها باستدامة ضرب الحافر للاَحجار، وعند انجلاء الصبح تشنّ هجوماً شديداً يثير الغبار فى كلّ جانب ثمّ تتوغل إلى قلب العدو وتشتت صفوفه.

وهذا يعرب انّ الجهاد له منزلة عظيمة إلى حد استحق أن يقسم بخيوله والشرر التى تتطاير من حوافرها والغبار الذى تثيره فى الهواء.

هذا كلّه حول الاَقسام، وأمّا جواب القسم، فهو قوله:(إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُود) والكنود، اسم للاَرض التى لا تنبت ويطلق على الإِنسان الكافر والبخيل، فكأنّه جُبِّل على نكران الحق وجحوده وعدم الاِقرار بما لزمه من شكر خالقه والخضوع له. يقول سبحانه: (إِنَّ الإِنْسانَلَكَفُور) (۱) وهو اخبار عمّا فى طبع

---

۱ ـ الحج:۶۶.

(۱۸۷)

الإِنسان من اتّباع الهوى والانكباب على الدنيا والانقطاع بها عن شكر ربّه، وفيه تعريض للقوم المغار عليهم، بأنّهم كانوا كافرين بنعمة الإِسلام، وهذا على وجه يشهد الإِنسان على كفران نفسه، كما يقول: (وَإِنَّهُ عَلى ذلِكَ لَشَهيد) .

ثمّ إنّه يدلّل شهادته على ذلك بقوله: (وَإِنَّهُ لحُبّ الخَير لَشَديد) والمراد من الخير المال.

ثمّ إنّ هذه الآيات لا ـ تنافى ما دلت عليه آية الفطرة، قال سبحانه:(فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينَ حَنيفاً فِطْرَةَ اللّهِالّتى فَطَرَالنّاسَ عَلَيها لا تَبديلَ لِخَلْقِاللّهِ ذلِكَ الدِّينُ القَيِّم وَلكِنّ أَكْثَر النّاسِ لا يَعْلَمُون) . (۱)

وجه عدم التنافى انّ الإِنسان كما جبل على الخير جبل على الشر أيضاً، فكما ألهمها تقواها ألهمها فجورها، وكما أنّه هداه إلى النجدين، ولكن السعادة هو من يستخدم قوى الخير ويتجنب قوى الشر.

والحاصل انّ الآيات القرآنية على صنفين: فصنف يصف الإِنسان بصفات سلبية مثل قوله: (يوَس) (۲) (ظلوم كفّار) (۳) (عَجُولاً) (۴) (كَفُوراً) (۵) (أكثر شيء جَدلاً) (۶)، (ظَلُوماًجَهُولاً) (۷)(كَفور مُبين) (۸) (هَلُوعاً) (۹) إلى غيرذلك

---

۱ ـ الروم:۳۰.

۲ ـ هود:۹.

۳ ـ إبراهیم:۳۴.

۴ ـ الإِسراء:۱۱.

۵ ـ الاسراء:۶۷

۶ ـ الکهف:۵۴.

۷ ـ الَاحزاب:۷۲.

۸ ـ الزخرف: ۱۵.

۹ ـ المعارج: ۱۹.

(۱۸۸)

من الصفات السلبیة الواردة فی القرآن الکریم.

وصنف آخر یصفه بصفات إیجابیة تجعله فی قمة الکرامة والعظمة.

فقد بلغت به الکرامة انّه صار «مسجوداً للملائکة» (۱) مخلوقاً بفطرة اللّه (۲)

منشأ بأحسن تقویم (۳) مفضلاً علی کثیر من المخلوقات (۴) حاملاً لَامانة اللّه (۵)

سائراً فی البر والبحر ومرزوقاً من الطیبات ومکرماً عند اللّه (۶) إلی غیر ذلک من الآیات التی تصف الإِنسان بصفات إیجابیة.

ولا منافاة بین الصنفین من الآیات، وذلک لَانّ تلک الکرامة إنّما هی للاِنسان الذی تمتع بکلا الوصفین، فهو عندما یلبّی نداء العقل والشرع ینل کرامته العلیا، ویکون مظهراً لقوله:(وَفَضَّلْناهُمْ عَلی کَثِیرٍ مِمَّنْ خَلَقْنا تَفضیلاً) (۷) ولو خضع لدعوة النفس والهوی، یکون مظهراً للصفات السلبیة، کفوراً یوَساً هلوعاً کنوداً إلی غیر ذلک من الصفات الذمیمة. فالکمال کلّالکمال لاِنسان تکمن فیه قوی الخیر والشر فیقوی إحداهما علی الَاُخری بإرادة واختیار دون أی وازع، فلو جبل علی إحدی القوتین دون الَاُخری لما استحق المدح ولا اللوم دون ما إذا کان فیه أرضیة الخیر والشر فیعالج أرضیة الشر بتوجیهها نحو الخیر والکمال، ولذلک نری انّه سبحانه یستثنی بعد الحکم علی الإِنسان بقوله: (ثُمَّ رَدَدْناهُ أَسْفَلَ

---

۱ ـ الَاعراف:۱۱.

۲ ـ الروم:۳۰.

۳ ـ التین:۴.

۴ ـ الإِسراء:۷۰.

۵ ـ الَاحزاب:۷۲.

۶ ـ الإِسراء: ۷۰.

۷ ـ الإِسراء:۷۰.

(۱۸۹)

سافِلِین) الفئة الموَمنة العاملة بالصالحات ویقول:(إِلّا الّذینَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصّالِحاتِ فَلَهُمْ أَجرٌ غَیْرُ مَمْنُون(۱) .

إلی هنا تبین المقسم به والمقسم علیه.

بقی الکلام فی الصلة بین المقسم به والمقسم علیه، فنقول:

إنّه سبحانه بعث الَانبیاء لهدایة الناس، فمنهم من یهتدی بکتابه وسنّته، فهذه الطائفة تکفیها قوة المنطق؛ وثمة طائفة أُخری لا تهتدی،

بل تثير العراقيل فى سبيل دعوة الاَنبياء، فهدايـة هذه الطائفة رهن منطق القوة، ولذلك يقول سـبحانه:(لَقَدْأَرْسَـلْنا رُسُـلنا بِالبَيِّناتِ وَأَنْزَلْنا مَعَهُمُ الكِتاب وَالمِيزان لِيَقُوم النّاس بِالقِسْط وَأَنْزَلْنا الحَديد فيهِ بَأْسٌ شَديدٌ وَمَنافِعُ لِلنّاس) . (۲)

فهذه الآية مؤلفة من فقرتين:

الفقرة الاُولى التى تتضمن البحث عن إرسال الرسل بالبيّنات وإنزال الكتب والميزان راجعة إلى من له أهلية للهداية فيكفيه قوة المنطق والفقرة الثانيـة، أعنى:(وَأَنْزَلْنا الحَديـد) فهى راجعـة إلى من لا يسـتلهم من نـداء العقل والفطرة ولا يهتـدى بل يثير الموانع فلا يجـدى معهم سوى الحديد الذى هو رمز منطق القوة.

وبـذلك يعلم وجه الصـلة بين إنزال الحديد وإرسال الكتب، وبهذا تبين أيضاً وجه الصـلة بين الاَقسام والمقسم عليه، ففى الوقت الذى كان النبى «صلى الله عليه وآله وسلم» يعظ ويبعث رجال الدعوة لاِرشاد الناس، اجتمعت طائفة

---

۱ ـ التين:۵ـ ۶.

۲ ـ الحديد:۲۵.

(۱۹۰)

لمباغتة المسـلمين والهجوم على المدينة والاِطاحة بالدولة الاِسـلامية الفتية، فبعث النبى (صـلى الله عليه وآله وسلم) علياً مع سريّة، فأمر أن تسـرج الخيل فى ظلام الليل وتعدّإعداداً كاملاً، وحينما انفلق الفجر صـلّى بالناس الصـبح وشنَّ هجومه وباشـر و ما انتبه العدو حتى وجد نفسه تحت وطأة خيل جيش الاِسلام ، فهذه الطائفة لا يصلحهم إلا العاديات والموريات والمغيرات التى تهاجمهم كالصاعقة.

نقـل الفيض الكاشـانى فى تفسـيره عن تفسير القمى عن الصـادق (عليه السـلام) : «إنّها [سورة العادياتـج نزلت فى أهل وادى اليابس، اجتمعوا اثنى عشـر ألف فـارس وتعاقـدوا وتعاهـدوا وتواثقوا أن لاـ يتخلّف رجـل عن رجل ولا يخـذل أحـد أحـداً، ولا يفر رجل عن صاحبه حتى يموتوا كلّهم على حلف واحدويقتلوا محمداً (صلى الله عليه وآله وسلم) وعلى بن أبى طالب (عليه السلام) ».

إلى أن قال:

«خرج على (عليه السـلام) ومعه المهـاجرون والاَنصـار وسـار بهم غير سـير أبى بكر، وذلـك انّه أعنـف بهم فى السـير حـتى خـافوا أن ينقطعوا من التعب وتحفى دوابهم، فقـال لهم: لاـ تخـافوا فـانّ رسول اللّه (صـلى الله عليه وآله وسـلم) قـد أمرنى بـأمر وأخـبرنى انّ اللّه سيفتح علىّ وعليكم، فأبشـروا فانّكم على خير وإلى خير، فطابت نفوسـهم وقلوبهم، وساروا على ذلك السير التعب حتى إذا كانوا قريباً منهم حيث يرونه ويريهم، أمر أصحابه أن ينزلوا، وسمع أهل وادى اليابس بمقدم على بن أبى طالب (عليه السلام) وأصحابه، فأخرجوا إليهم منهم مائتا رجل شاكين بالسلاح، فلمّا رآهم على (عليه السلام) خرج إليهم فى نفر من أصحابه.

فقالوا لهم: من أنتم، ومن أين أنتم، ومن أين أقبلتم، وأين تريـدون؟ قال: أنا على بن أبى طالب (عليه السـلام) ابن عمّرسول اللّهوأخوه ورسوله إليكم ادعوكم

(۱۹۱)

إلى شـهادة أن لا إله إلّااللّه وانّ محمّداً عبده ورسوله، ولكم ان آمنتم ما للمسـلمين وعليكم ما على المسـلمين من خير وشر، فقالوا له: إياك أردنا، وأنت طلبتنا، قد سـمعنا مقالتك، فخذ حذرك واستعد للحرب العوان، واعلم انّا قاتلوك وقاتلوا أصحابك والموعود فيما بيننا وبينك غداً ضحوة، وقد اعذرنا فيما بيننا وبينك.

فقال لهم على (عليه السـلام) : ويلكم تهدّدونى بكثرتكم وجمعكم، فأنا أسـتعين باللّه وملائكته والمسلمين عليكم ولا حول ولا قوة إلّا باللّه العلى العظيم.

فانصـرفوا إلى مراكزهم وانصـرف على إلى مركزه، فلمّا جنّه الليل أمر أصـحابه أن يحسـنوا إلى دوّابهم ويقضـموا ويسرجوا، فلمّا انشق

عمود الصبح صلى بالناس بغلس، ثمّ غار عليهم بأصحابه فلم يعلموا حتى وطأهم الخيل، فما أدرك آخر أصحابه حتى قتل مقاتليهم وسبى ذراريهم واستباح أموالهم وخرب ديارهم وأقبل بالأُسارى والأَموال معه.

فنزل جبرئيل وأخبر رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) بما فتح اللّه على عليّ (عليه السلام) وجماعة المسلمين.

فصعد رسول اللّه (صلى الله عليه وآله وسلم) المنبر فحمد اللّه وأثنى عليه وأخبر الناس بما فتح اللّه على المسلمين، وأعلمهم انّه لم يصب منهم إلاّ رجلين، ونزل فخرج يستقبل عليّاً (عليه السلام) فى جميع أهل المدينة من المسلمين حتى لقيه على ثلاثة أميال من المدينة، فلمّا رآه على (عليه السلام) مقبلاً نزل عن دابته، ونزل النبى (صلى الله عليه وآله وسلم) حتى التزمه وقبّل ما بين عينيه، فنزل جماعة المسلمين إلى على (عليه السلام) حيث نزل رسول اللّه «صلى الله عليه وآله وسلم» وأقبل بالغنيمة والأُسارى و ما رزقهم اللّه من أهل وادى اليابس».

ثمّ قال جعفر بن محمد (عليهما السلام) : «ما غنم المسلمون مثلها قط إلاّ أن يكون من خيبر، فانّها مثل خيبر وأنزل اللّه تعالى فى ذلك اليوم هذه السورة:

(۱۹۲)

(وَالعاديات ضبحاً) يعنى بالعاديات: الخيل تعدو بالرجال،والضبح ضبحها فى أعنّتها ولجمها.

(فالموريات قدحاً * فالمغيرات صبحاً) فقد أخبرك انّها غارت عليهم صبحاً.

(فأثرن به نقعاً) قال: يعنى الخيل يأثرن بالوادى نقعاً.

(فوسطن به جمعاً * إنَّ الإِنسان لربّه لكنود * وانّه على ذلك لشهيد * وَانَّهُ لحبّ الخَيرِ لَشديد) قال: يعنيهما قد شهدا جميعاً وادى اليابس وكانا لحب الحياة حريصين». (۱)

بلغ الكلام إلى هنا فى شهر جمادى الأُولى

من شهور عام ۱۴۲۰ هـ من الهجرة النبوية

فى قم المحميّة وحوزتها المصونة

وتم بيد مؤلّفه الآثم المحتاج إلى ربّه العاصم جعفر السبحانى

ابن الفقيه الشيخ محمد حسين الخيابانى التبريزى تغمده اللّه برحمته الواسعة

وآخر دعوانا أن الحمد للّه رب العالمين

تعريف مركز القائمية باصفهان للتحريات الكمبيوترية

جاهِدُوا بِأَمْوالِكُمْ وَ أَنْفُسِكُمْ فى سَبيلِ اللَّهِ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (التوبة/۴۱).

قالَ الإمامُ علیّ ُبنُ موسَی الرِّضا – علَيهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللّهُ عَبْداً أحْيَا أمْرَنَا...َ يَتَعَلَّمُ عُلُومَنَا و يُعَلِّمُهَا النَّاسَ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَوْ عَلِمُوا مَحَاسِنَ كَلَامِنَا لَاتَّبَعُونَا... (بَنادِرُ البِحار – فی تلخيص بحار الأنوار، للعلاّمة فيض الاسلام، ص ۱۵۹؛ عُيونُ أخبارِ الرِّضا(ع)، الشّيخ الصَّدوق، الباب۲۸، ج۱/ ص۳۰۷).

مؤسّس مُجتمَع " القائميّة "الثّقافیّ بأصبَهانَ – إيرانَ: الشهيد آية الله" الشمس آباذی – "رَحِمَهُ اللهُ – كان أحداً من جَهابذة هذه المدينة، الذی قدِ اشتهَرَ بشَغَفِهِ بأهل بَيت النبیّ (صلواتُ اللهِ علَيهِم) و لاسيَّما بحضرة الإمام علیّ بن موسَی الرِّضا (عليه السّلام) و بساحة صاحِب الزّمان (عَجَّلَ اللّهُ تعالی فرجَهُ الشَّريفَ)؛ و لهذا أسّس مع نظره و درايته، فی سَنَةِ ۱۳۴۰ الهجريّة الشمسيّة (=۱۳۸۰ الهجريّة القمريّة)، مؤسَّسةً و طريقةً لم يَنطَفِئ مِصباحُها، بل تُتَّبَع بأقوَی و أحسَنِ مَوقِفٍ كلَّ يوم.

مركز" القائميّة "للتحرِّی الحاسوبیّ – بأصبَهانَ، إيرانَ – قد ابتدَأَ أنشِطتَهُ من سَنَةِ ۱۳۸۵ الهجريّة الشمسيّة (=۱۴۲۷ الهجريّة القمريّة)

تحتَ عنایـۀ سـماحۀ آیـۀ الله الحـاجّ السـیّد حسن الإمـامیّ – دامَ عِزّهُ – و مـع مساعَـدَۀِ جمـعٍ من خرّیجی الحـوزات العلمیّـۀ و طلاـب الجوامع، باللیل و النهار، فی مجالاتٍ شتّی: دینیّۀ، ثقافیّۀ و علمیّۀ...

الأهداف: الدّفاع عن ساحۀ الشیعۀ و تبسیط ثَقافۀ الثّقَلَین (کتاب الله و اهل البیت علیهمُ السَّلامُ) و معارفهما، تعزیز دوافع الشـّباب و عموم النـاس إلی التّحَرّی الأدَقّ للمسائل الدّینیّۀ، تخلیف المطـالب النّافعـۀ – مکـانَ البَلاـتیثِ المبتذلـۀ أو الرّدیئـۀ – فی المحـامیل (=الهواتف المنقولۀ) و الحواسیب (=الأجهزۀ الکمبیوتریّۀ)، تمهید أرضیّۀٍ واسعۀٍ جامعۀٍ ثَقافیّۀٍ علی أساس معارف القرآن و أهل البیت –علیهم السّلام – بباعث نشر المعارف، خدمات للمحققین و الطّلّاب، توسعۀ ثقافۀ القراءۀ و إغناء أوقات فراغـۀ هُواۀِ برامِـج العلوم الإسلامیّۀ، إنالۀ المنابع اللازمۀ لتسهیل رفع الإبهام و الشّـُبُهات المنتشرۀ فی الجامعۀ، و...

- مِنها العَدالۀ الاجتماعیّۀ: التی یُمکِن نشرها و بثّها بالأجهزۀ الحدیثۀ متصاعدۀً، علی أنّه یُمکِن تسریعُ إبراز المَرافِق و التسهیلاتِ – فی آکناف البلد - و نشرِ الثّقافۀِ الاسلامیّۀ و الإیرانیّۀ – فی أنحاء العالَم - مِن جـِهۀٍ اُخرَی.

- من الأنشطۀ الواسعۀ للمرکز:

الف) طبع و نشر عشراتِ عنوانِ کتبٍ، کتیبۀ، نشرۀ شهریّۀ، مع إقامۀ مسابقات القِراءۀ

ب) إنتاجُ مئات أجهزۀٍ تحقیقیّۀ و مکتبیۀ، قابلۀ للتشغیل فی الحاسوب و المحمول

ج) إنتاج المَعارض ثّلاثیّۀِ الأبعاد، المنظر الشامل (= بانوراما)، الرّسوم المتحرّکۀ و... الأماکن الدینیّۀ، السیاحیّۀ و...

د) إبداع الموقع الانترنتی "القائمیّۀ www.Ghaemiyeh.com" و عدّۀ مَواقِعَ اُخرَ

ه) إنتاج المُنتَجات العرضیّۀ، الخَطابات و... للعرض فی القنوات القمریّۀ

و) الإطلاق و الدَّعم العلمیّ لنظام إجابۀ الأسئلۀ الشرعیّۀ، الاخلاقیّۀ و الاعتقادیّۀ (الهاتف: ۰۰۹۸۳۱۱۲۳۵۰۵۲۴)

ز) ترسیم النظام التلقائیّ و الیدویّ للبلوتوث، ویب کشک، و الرّسائل القصیرۀ SMS

ح) التعاون الفخریّ مع عشراتِ مراکزَ طبیعیّۀ و اعتباریّۀ، منها بیوت الآیات العِظام، الحوزات العلمیّۀ، الجوامع، الأماکن الدینیّۀ کمسجد جَمکرانَ و...

ط) إقامۀ المؤتمَرات، و تنفیذ مشروع "ما قبلَ المدرسۀ" الخاصّ بالأطفال و الأحداث المُشارِکین فی الجلسۀ

ی) إقامۀ دورات تعلیمیّۀ عمومیّۀ و دورات تربیۀ المربّی (حضوراً و افتراضاً) طیلۀ السَّنَۀ

المکتب الرّئیسیّ: إیران/أصبهان/ شارع "مسجد سیّد/ "ما بینَ شارع "پنج رَمَضان "ومُفترَق "وفائی/"بنایۀ "القائمیّۀ"

تاریخ التأسیس: ۱۳۸۵ الهجریّۀ الشمسیّۀ (=۱۴۲۷ الهجریۀ القمریّۀ)

رقم التسجیل: ۲۳۷۳

الهویّۀ الوطنیّۀ: ۱۰۸۶۰۱۵۲۰۲۶

الموقع: www.ghaemiyeh.com

البرید الالکترونی: Info@ghaemiyeh.com

المَتجَر الانترنتی: www.eslamshop.com

الهاتف: ۲۵-۲۳۵۷۰۲۳- (۰۰۹۸۳۱۱)

الفاکس: ۲۳۵۷۰۲۲ (۰۳۱۱)

مکتب طهرانَ ۸۸۳۱۸۷۲۲ (۰۲۱)

التّجاریّۀ و المَبیعات ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹

امور المستخدمین ۲۳۳۳۰۴۵(۰۳۱۱)

ملاحَظة هامّة:

المیزانیّة الحالیّة لهذا المرکز، شَعبیّة، تبرّعیّة، غیر حکومیّة، و غیر ربحیّة، اقتُنِیَت باهتمام جمع من الخیّرین؛ لکنّها لا تُوافِی الحجمَ المتزاید و المتّسِعَ للامور الدّینیّة و العلمیّة الحالیّة و مشاریع التوسعة الثّقافیّة؛ لهذا فقد ترجّی هذا المرکزُ صاحِبَ هذا البیتِ (المُسمَّی بالقائمیّة) و مع ذلک، یرجو مِن جانب سماحة بقیّة الله الأعظم (عَجَّلَ اللهُ تعالی فرَجَهُ الشَّریفَ) أن یُوفِّقَ الکلَّ توفیقاً متزائداً لِإعانتهم - فی حدّ التّمکّن لکلّ احدٍ منهم – إیّانا فی هذا الأمر العظیم؛ إن شاءَ اللهُ تعالی؛ و اللهُ ولیّ التوفیق.


مركز
القائمية
اصفهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
www
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹